صفحات من الذاكرة

بقلم

العبّاس بن أحمد عبد الفتّاح الحازميّ

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ح العباس أحمد عبد الفتاح الحازمي ١٤٣٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحازمي، العباس أحمد عبد الفتاح
صفحات من الذاكرة / العباس أحمد عبد الفتاح الحازمي - جازان، ١٤٣٥ هـ
٢٦٣ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٤-٠٢٨٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١ - الحازمي، العباس بن أحمد بن عبد الفتاح - مذكرات أ. العنوان
ديوي ٨١٨,٠٣٩٥٣١ ١٤٣٥/١٨٤٢

رقم الإيداع: ١٤٣٥/١٨٤٢
ردمك: ٤-٤٢٨٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

صفحات من الذاكرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين **أما بعد:**

فالحديث عن النفس عند العقلاء غير مرغوب فيه، لأن فيه تزكية للنفس وذكراً للمحاسن، فالمتحدث عادة عن مراحل حياته لا يذكر نقاط الضعف ولا يتعرض لها بشيء من النقد، وإنما يقف عند الذكريات الجميلة، والصور الحسنة والآثار الحميدة، ويعرضها في أجمل حللها، وهذا أمر يجعل المرء يتردد أحياناً في تسجيل ذكرياته عن حقبة من الزمن مرت عليه لقي فيها من المعاناة، وتغلب فيها على بعض الصعوبات، وتمتع فيها ربما بالتنقل من جهة لأخرى، وعرف فيها من عرف، واستفاد بعض الدروس ممن عرف، وخبر الرجال، وتقلبات الأحوال، وعلم أن الحياة مدرسة مفتوحة لمن رغب الاستفادة، ونشد الذكرى والاعتبار.

والذي يشجع على الحديث عن التجارب هو ما ينشده بعض الناس من أن التجارب قد تصور الحالات التي تمر بها المجتمعات والأسر، وتكشف التطور الذي تمر به الأمم، من خلال السرد القصصي إذا وفق الكاتب لعرضه بأسلوب جميل، ولغة راقية تشد القارئ وتستهوي الباحث.

وإذا كان بعض الروَّاد قد سجل شيئاً من ذكرياته فذلك لأن ذكرياته قد تركت آثاراً حميدة، وأوقفت القارئ والمتصفح على فترة زمنية ما كانت لتعرف لولا جهوده المباركة، وعمله الجليل بعرضها في صورة حسنة. والذكريات هي تاريخ لشخص ما عاش حقبة من الزمن وسط مجتمع تأثر به وأثر فيه، وهي تحكي

دور هذا الشخص في ذلك المجتمع. وأثره فيه، وتأثره به، وما طرأ على ذلك المجتمع من تطور، وما صاحب هذا التطور من وسائل ساعدت على قيامه أو حالت دون ذلك.

ولعل سائلاً يسأل عن أمر هو في الواقع مقبول، وحريّ بأن يجاب عليه، فيقول: ما الفائدة من تسجيل الذكريات وما المأمول من سردها وهي فترة زمنية غبرت،؟ وربما واقعنا اليوم أفضل منها بكثير ونحن في عصرٍ تطورت فيه وسائل الاتصالات، وتنوعت المعلومات وقرب البعيد، وأصبح العالم يعيش نهضة عمرانية ومعلوماتية لم تسبق؟

وللإجابة على هذا التساؤل نقول: نعم، إن واقعنا اليوم من حيث التطور العمراني، والصناعي والثقافي والاقتصادي أفضل مما كان، ولكن هذا لا يعني أن نُغفل ماضينا، وننسى ما فيه من خيرٍ وشرٍ، وأصالة وبر وتعاون وتكاتف، ومن صدق وصلة، ومن خوفٍ وطمأنينة.

وذكر الماضي يتيح الفرصة للمقارنة، ومعرفة ما نحن عليه اليوم، والأمة التي تغفل عن ماضيها ولا تستفيد من دروسه لا تحسن استغلال حاضرها فهذا الخير الذي نشهده اليوم لم يأت هكذا عرضاً دون جهود تبذل وأيدٍ تخطط وتعمل، ففي الوقت الذي كان حصولك على الماء والنور والهواء يكلفك الكثير أصبحتَ اليوم بضغط زر صغير تضيء المكان، وبضغط زر آخر تستقبل الهواء المنعش البارد، وتفك صنبوراً يأتيك الماء كما شئت وكيف شئت.

تستلقي على سرير نومك فتدير القناة الفضائية التي توقفك على أخبار العالم، وترفع سماعة التليفون أو جهاز الجوال فتستقبل المكالمات من أقصى العالم، وتتناول جهاز الحاسب الآلي فتخاطب الجهة التي ترغب التعامل معها بيسر

وسهولة وجهاً لوجه دون معاناة... الخ.

هذا الخير الذي وصلتَ إليه بعد المعاناة التي عاشها أسلافك تحتاج إلى شكر ومحافظة، والشكر لا يكون إلا بالعمل. ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] هذه سنة الله.

هذه النعم وهذه الخيرات لابد أن نحافظ عليها بطاعة ربنا، وإتباع سنة نبينا والاستقامة على الجادة، والالتفاف حول ولاة أمرنا، والنصح لهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد السفيه، وبذل النصح لكل مسلم لتسير السفينة بسلام، وتعيش الأمة في أمان، حتى نلقى الله غير مبدلين ولا ناكثين.

وإذا كنت أضع هذه المقدمة بين يدي الذكريات التي أستعيدها وأسجلها بعد ردح من الزمن مضى عليها. فإني أستميح القارئ الكريم العذر، وآمل أن يغض الطرف عن الهفوات التي تقع بين فصولها وأبوابها التي أتت مشوشة وغير مرتبة وقد جاءت استجابة لدواعي الكتابة التي تنشط أحياناً فتلح على المرء بتسجيل ما لديه والاستطراد في ذلك، وتصدّ أحياناً أخرى فيذهب لاستردادها فيجد العنت والمشقة والتعب فتأتي الكتابة بعد ذلك نسخة لتلك المعاناة.

وستجد عند قراءة هذه الذكريات مفرداتٍ وكلماتٍ وألفاظاً ربما عفا عليها الزمن، ولم تعد مستعملة في قواميس الجيل الجديد مثل: "القرعينة، المشارج، الدميم، المردم، الطراحة، الزرب، المدمك" وما عليك إلا أن تقلِّب صفحات الماضي، وتعود إلى كبار السن فتسألهم عن المقصود بها، فلربما وجدت الإجابة لدى الكثير منهم.

وقد اجتهدت حسب المستطاع في أن أوفر لك صوراً تشير إلى هذه المفردات

والألفاظ التي لم تعد مستعملة في الوقت الحاضر والذي يشفع لي في ترتيب الموضوعات المطروحة بين يديك أنها جاءت حسب التسلسل الزمني الذي فرض عليَّ نفسه فكان لابد لي أن أستجيب لتأتي الأفكار وفق ذلك التسلسل.

آملاً أن تجد في هذه الذكريات إضافة ولو يسيرة لمعلومات كنت تنشدها عن فترة من فترات التعليم التي مر بها كاتب هذه الأسطر والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

جازان

تقع منطقة جازان في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية في السهل الساحلي الممتد بين جبال السروات شرقاً والشواطئ الشرقية للبحر الأحمر غرباً وتطل على البحر الأحمر بشريط ساحلي يبلغ طوله ٢٠٠كم من شاطئ الشقيق شمالاً إلى شاطئ الموسم جنوباً. وتقدر مساحة منطقة جازان بنحو ١٣٥٠٠ كيلو متر مربع. وتضم ١٥ محافظة. و ٢٥ مدينة وما يقارب من ٩٧٠ قرية.

وتمتلك المنطقة مقومات سياحية نادرة قلما تتوفر في منطقة أخرى ففيها السهل والجبل وفيها الجزيرة والبحر وفيها الطبيعة البكر، ومناخها دافئ، وتتفرد بتنوع مناخي وتضاريسي وبيئي لا يوجد في غيرها. مما جعلها غنية بالمواقع السياحية، والمتنزهات الطبيعية التي تسلب الألباب، وتجذب لها الزوار من داخل وخارج المملكة للتمتع بها.

وتحتوي جازان على سلسلة جبال مرتفعة، وموازية لساحل البحر الأحمر تكسوها الخضرة الطبيعية، وهذه الجبال تنحدر منها أودية نحو الغرب تصب في السهل الساحلي وتروي أراضيه، وتكسو هذه الأودية أشجار كثيرة كثيفة متنوعة. مثل أشجار العرعر، والعثم والتالون والبراء والقرض والسدر والأثل والأراك والشت والعصم والمض وغيرها من الأشجار الكثيفة.

وقد قامت بها مزارع حديثة تزرع الفاكهة كالمنقا والجوافا والتين والباباي والموز والأناناس عدا الزراعة الموسمية التي تزرع الخضار كالطماطم والبامية والباذنجان واللوبياء والحبوب كالذرة والدخن والسمسم.

وبجازان عدد من الأدوية منها وادي بيش ووادي صبيا ووادي جازان ووادي شهدان ووادي وساع ووادي الرزان ووادي عتود، ووادي خلب، ووادي بيض ووادي الدحن، ووادي المعطن ووادي ليه ووادي ضمد وتقع خلف هذه الأدوية أراض زراعية عالية الخصوبة تشرب من مياه السيول كل عام حسب توفر الأمطار وغزارتها.

بلدة طيبة

البلاد والأمم والدول والشعوب تتعاقب عليها حالات من القوة والضعف، والتطور والتراجع، والنمو والانقباض، وهي في كل مرحلة من مراحل حياتها تلبس ما يتناسب مع واقعها وإمكانياتها.

ومنطقة جازان واحدة من المناطق التي تعرضت كغيرها لمثل هذه الحالات غير أن موقعها على السهل الساحلي بين جبال السراة والبحر الأحمر وفر لها الاتصال بكلٍ من مكة وصنعاء، وعدن، والقرن الإفريقي حيث يمر بها القاصدون لأداء مناسك الحج والعمرة من اليمن بالطريق الساحلي.

وهي محطة استراحة لطلاب العلم الذين كانوا يترددون بين مكة وصنعاء، ومحطة استراحة لأهل التجارة الذين يترددون بين جدة وعدن. هذا الموقع وفر لها فرصة الاتصال بأطراف الجزيرة العربية من الجنوب والوسط والجزء الشرقي من القرن الإفريقي.

وقد كانت منطقة جازان تعتمد في اقتصادها وإدارة شؤونها على مواردها الداخلية، ومصادر الدخل المحلية، من الحاصلات الزراعية والثروة الحيوانية والبحرية، من أسماك ولؤلؤ.

فهي سهل ساحلي خصوبته عالية، وأوديته كثيرة، وأمطاره موسمية وغزيرة، وكانت لا تتخلف في أغلب فصول السنة.

وقد كانت الزراعة في منطقة جازان تعتمد على مياه الأمطار والسيول التي تتعاقب خلال فصول السنة.

ونظراً لخصوبة التربة في منطقة جازان فقد كانت الأمطار والسيول المنحدرة من جبال السروات تساعد على توفير غطاء نباتي لأغلب أجزاء السهل الساحلي، مما سهل على المواطن تربية الماشية، والاتجار فيها، وأعطى فرصاً لتكاثر الحيوانات البرية التي تعيش على المراعي كثيرة الانتشار.

وإذا كانت معظم مناطق الجزيرة تعتمد على مصادرها الداخلية، فإن منطقة جازان كانت في أوائل العهد السعودي وقبل اكتشاف النفط من أغنى المناطق وذلك بسبب اعتمادها على مواردها المحلية.

فالغذاء مثلاً كان يعتمد على المحصول المحلي من الزراعة التي كانت توفر المادتين الأساسيتين للغذاء وهما الذرة والدخن. ولم تكن حاصلات الزراعة محدودة بهذين العنصرين فقد كانت توفر الخضار، كالطماطم والبامية والبقول، كالفجل والملوخية واللوبيا، والفواكه كالبطيخ والحبحب، والموز، والفركس، والشَّفَلَّح.

وكانت الثروة الحيوانية تساعد على توفير اللحوم والألبان ومشتقاته، ومهنة الصيد في البحر تساعد على توفير الأسماك مختلفة الأحجام والأنواع.

وزراعة السمسم تعين على توفير الزيوت، مع ما يستخرج من مشتقات الألبان، وكان الغذاء يتميز بالجودة واللذة، فهو لا تتعاقب عليه عجلات الطواحين، ولا يتعرض لدخان المصانع، ولا يلوث بالمواد الحافظة.

وإذا كان الغذاء من المحصول المحلي، والشراب من مياه الآبار العذبة، فإن إعداد الطعام وطهيه كان يتم بالوسائل المحلية، من مطاحن وأواني للطبخ، وأواني لحفظ مياه الشرب وتبريده، حيث كانت المصانع منتشرة، تصنع أدوات طهي الطعام وحفظه من الصخر أو الفخار. وتصنع أواني الشرب من الخشب أو الجلد هذا بالنسبة للغذاء.

أما المساكن: فتخضع لظروف الساكنين وأماكنهم، فإذا كانوا من الجبال، فمساكنهم من الصخور التي تقطع من الجبال وترص بطريقة فنية، وتسقف بالأخشاب وتسمى "الحِيَفْ" وقد تعمل على دورين أو ثلاثة.

وإن كانوا من تهامة، فمساكنهم العشش غالباً، أو المدامك، وربما سكن بعضهم في بيوت تبنى من الآجر المحروق والمطلي بالجص، وذلك في المدن الكبيرة كجازان وصبيا وصامطة وأبو عريش.

والعشة تبنى من الجريد المستخرج من الغابات المنتشرة في طول المنطقة وعرضها، غابات السدر والأراك والدوم والمض. والعشة يلف عليها من الخارج غشاء يعد على ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى: «الوزرة»:**

وهو الغشاء الواقع في أسفل المبنى، ويتكون من أشجار المرخ ارتفاعه لا يزيد عن مترين يثبت على الخشب، ويشد بحبال تضمن ثباته وبقاءه مدة طويلة، وربما وضع تحت المرخ نبات الإجليل.

- **المرحلة الثانية: «البريم»:**

وهذا الغشاء يتكون من نبات الإجليل، وهو من الحشائش المتماسكة يغطى به الثلث الأوسط من المبنى «العشة» وتلف عليه حبال تساعد على حفظه من التساقط تشد هذه الحبال بحبال الوزرة.

- **المرحلة الثالثة: «الغَشْو»:**

وهذا غطاء يتكون من نبات يسمى "الثمام" يكسى به الجزء الأعلى من العشة، والعشة توضع بشكل مخروطي له أضلاع أعلاها ينتهي عند نقطة الصفر

مَشْدود بعود مستقيم يسمى "القرعينة" هذا العود تثبت فيه أضلاع العشة من الداخل، وتلف حوله الحبال من الخارج بشكل جميل متوازن، يحفظ الثمام من التساقط، وحجم العشة من الداخل يشكل دائرة تتسع لعدد من الأسرة، تتراوح بين أربعة أسرة وعشرة، حسب الحجم المتفق عليه، وعدد أفراد الأسرة المستفيدة من العشة.

هذه العشة تطلى من الداخل، وتوضع فيها رفوف لحفظ الأواني، وأوتاد تعلق فيها المكاتل. ويُعمل لها بابان، أحدهما شمالي أو جنوبي والآخر غربي، ويتنافس الناس في إعدادها، وتزيينها، كما يتنافسون اليوم في إعداد مساكنهم وقصورهم، وهي تلائم المناطق الساحلية ذات الأمطار الغزيرة والتي لا تتوفر فيها الكهرباء ولا وسائل التبريد الحديثة.

أخي القارئ الكريم: نعم لقد كانت ظروف المعيشة التي يعيش فيها مواطن الجزيرة العربية قبل العهد السعودي وفي بدايته قاسية، وقد كانت حالات الناس متقاربة من حيث توفر الإمكانيات، وشح الموارد. وربما كان وضع المواطن في تهامة أحسن حالاً من غيره، لتوفر الأراضي الزراعية، وقدرته على استغلالها طول العام.

وربما يطول بنا الحديث لو توسعنا في التفصيل، وذكر مصادر الدخل وحالات الزراعة، وأوضاع الناس الاجتماعية، وعادات الزواج، والتنقل بين محافظات المنطقة، والسفر لأداء فريضة الحج والعمرة. والسفر لطلب العلم، وليس هذا مقصد البحث. وإنما هي إلماحة بين يدي هذه الذكريات.

ولكن المتتبع لأوضاع المجتمع في منطقة جازان والمستقرئ لتاريخها في هذه الفترة يلمس أنها رغم بعدها عن مواطن التقدم الصناعي والمهني وأسباب التجارة يلمس أنها كانت تملك مقومات البقاء وذلك من خلال:

١ - النشاط العلمي:

الذي لم يتوقف ولم ينقطع. فموقعها بين مكة وصنعاء يسّر لها استمرار المدّ العلمي والثقافي من خلال هجرة أبنائها إلى العاصمتين الكبيرتين، والتزود بكل مفيد، وقد كانت مجالس العلم منتشرة، والمدارس والمقارئ متوفرة، إذا جاء موسم الحرث والزرع توقفت أياماً وليالي ريثما يحصد الناس مزارعهم، ويجمعون غلات أراضيهم، وإذا انقطع الموسم عاد الناس إلى مدارسهم، وباشروا حلق التعليم وواصلوا الدرس.

٢- النشاط التجاري:

لقد كانت الحركة التجارية مستمرة بين جدة وعدن، وجازان تقع في الوسط بين المركزين التجاريين، فينالها نصيبها من البضائع والسلع التي تحتاجها المنطقة كالأقمشة والمجوهرات، والتوابل والعطور التي ترد من الهند.

٣- النشاط الزراعي:

جازان معروفة بخصوبة التربة وتوفر المياه، والسهل الساحلي يستقبل خلال فصول السنة السيول التي تأتيه عبر الأودية الممدودة من شمال المنطقة إلى جنوبها. وقد دأب المزارعون في المنطقة منذ القدم على إقامة سدود ترابية، تعترض الأودية فترفع مياه السيول إلى الأراضي الزراعية، وتسقيها حسب أعراف توارثوها منذ القدم، يسقي المرتفع ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يأتي عليها جميعاً، تقام هذه السدود بالشراكة بين المستفيدين كل حسب ما يمتلك، حيث يكون هناك " مسوّد للأرض" ومعنى المسوّد مسح كامل للأرض، يبين ويوضح أصحاب الأملاك، ومقدار ما يمتلكه كل شخص، وعلى قدر ملكه يعطى منزلة في العقم تزيد وتنقص حسب الكثرة والقلة.

يشترك أصحاب كل عقم في إقامة عقمهم الذي يروي أراضيهم، ويتعهدونه في كل موسم ولا يسع أحداً منهم التخلف عن القيام بواجبه، وتظهر من خلال اشتراكهم اللحمة الاجتماعية التي تجمع الناس على أمر فيه مصلحتهم المشتركة، وتُجسِّد التعاون الذي كان موجوداً في ذلك المجتمع ليس على مستوى العقوم، بل وفي المباني، وإقامة الدور، وحفر الآبار، وتعميقها، وإنشاء المساجد وتعميرها.

الحركة الزراعية تقوم عليها حياة المجتمع وبقاؤه، فمنها مادة الغذاء للإنسان والحيوان، ومنها مادة شراء المستلزمات اليومية والشهرية، فالسيولة النقدية لا تتوافر للجميع، والذي عنده غلة كبيرة يستطيع بيعها وشراء ما يلزمه، وتوفير ما يحتاجه.

أعود وأكرر أن المنطقة كانت تملك مقومات البقاء، فالغذاء من المحصول الزراعي، والمياه من الآبار، والمباني من الأشجار، والألبان واللحوم من الثروة الحيوانية الموجودة والتي لا يكاد يخلو منها بيت، ووسائل النقل الجمال والحمير، ووسائل طهي الطعام وحفظ المياه والتبريد من الصناعات الموجودة داخل المنطقة. هكذا كان حال الناس، وهكذا كان وضعهم. فيه يسر وسهولة، وفيه بساطة في التعامل، وفيه تعاون على جلب المصلحة ودفع الشرور.

الظبية

هذا الاسم قد يشدك وأنت تطالعه، وقد ينقلك إلى صورة لا تتناسب مع البناء والتعمير، والمساكن والتشجير، والشوارع والطرقات، وإنما يوحي إليك بقطعان من الغزلان البرية التي تعيش في المحميات في الوقت الحاضر، فما العلاقة يا ترى بين هذا الاسم وبين البلدة المسماة بالظبية؟

وللإجابة على هذا التساؤل يروي المؤرخون أن موقع القرية " الظبية" كان يشتمل على غابات كثيفة من السدر والسلم والأراك والأثل، لا زال السدر يمثل جُزْءاً منها. هذه الغابات كانت مأوى لقطعان الظباء والتي كانت تعيش فيها، وتأوي إليها، وتشرب من مياه الأودية التي تتجمع بعد هطول الأمطار بها.

ونظراً للتوسع السكاني فقد امتدت الأيدي البشرية على هذه الغابة وبدأت تقطع الأشجار، وتحفر الآبار، وتعمر الديار، وتتجمع في هذا الموقع للاستقرار. وأطلقت على هذا التجمع اسم "الظبية" واحدة من الظباء الذي كان هذا الموقع مقراً لإقامتها وغدوها ورواحها.

لكن متى بدأ هذا التجمع؟ ومن هو أول من اختطه؟؟ وأين كانت البداية؟ هذه أسئلة تتردد على ألسنة الساكنين، ولكن أحداً لا يأتيك بخبر موثق يروي الغليل، ويعتمد على البرهان والدليل.

وإذا كنت أسجل ذكرياتي عن بلدة الظبية فسيكون الحديث عن الظبية بين عامي ١٣٧٥هـ و ١٣٩٠هـ وهي الفترة التي تزامنت مع مرحلة الطلب والتنقل بين مدن المملكة للتعليم، حيث بدأت الدراسة في المرحلة الابتدائية عام ١٣٧٤هـ

وقد كانت الظبية في هذا التاريخ مثل غيرها من مدن المنطقة مجموعة من الدوائر، كل أسرة تعيش في دارة، الدارة تشتمل على حائط «سور» يقام حول المباني الداخلية بمثابة «سور» يحمي محتويات «الدارة» هذا السور يتكون من رمال تحيط بمحتويات الدارة، هذه الرمال ترفع عليها أشواك من السَّلَم والسدر، وربما بعض غصون الأراك وترفع حتى تستر ما بداخل السور وقد يعمد بعض الموسرين إلى إقامة مُشارج داخل السور المحيط بالدارة، هذا المشارج يتكون من الجريد الطويل المستخرج من أشجار السدر والأثل والأراك يلف أعلاه بحزام يتكون من حريجتين من الجريد الصغير أو المض، وتكسى الحريجتان بحشائش الإجليل أو الثمام أو المرخ وتشد بالحبال، هذا المشارج يضفي على السور طابعاً جمالياً من ناحية، ويسد الخلل الواقع في السور إن وجد.

هذا السور يحيط بمحتويات الدارة التي تشتمل غالباً على العشش المقامة للسكنى ولاستقبال الضيوف، وقد تكون واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أكثر من ذلك حسب حجم الأسرة وتعدد ساكنيها. وتشتمل على «بُناية للتنانير»[١]. بضم الباء وهي المطبخ القديم الذي يجهز فيه الطعام للأكل وتوضع بداخله التنانير.

ولابد لكل عشة من طراحتين إحداهما غربية والثانية شمالية أو جنوبية حسب أبواب العشة، والطُّرَّاحة[٢] تكون في مقدمة مدخل العشة ويفصلها عن العشة "المِرْدَم"[٣].

---

(١) البُناية: بناء مكوّن من الطين ومخلفات الأبقار والإبل يتراوح ارتفاعه غالباً بين متر ونصف ومترين، مربع أو مستطيل الشكل، غير مسقوف، يقام بجانب العشة يشتمل على عدد من التنانير.

(٢) الطراحة: مساحة منبسطة من الأرض في مقدمة العشة، ترتفع عن مستوى الأرض بمقدار ثلاثين سنتمتر تقريباً، توضع عليها الأسرة للجلوس والنوم في الصبح والمساء.

(٣) المردم: جزء مرتفع من الأرض، يوضع في بوابة العشة يفصل أجزاء العشة الداخلية عن الطراحة.

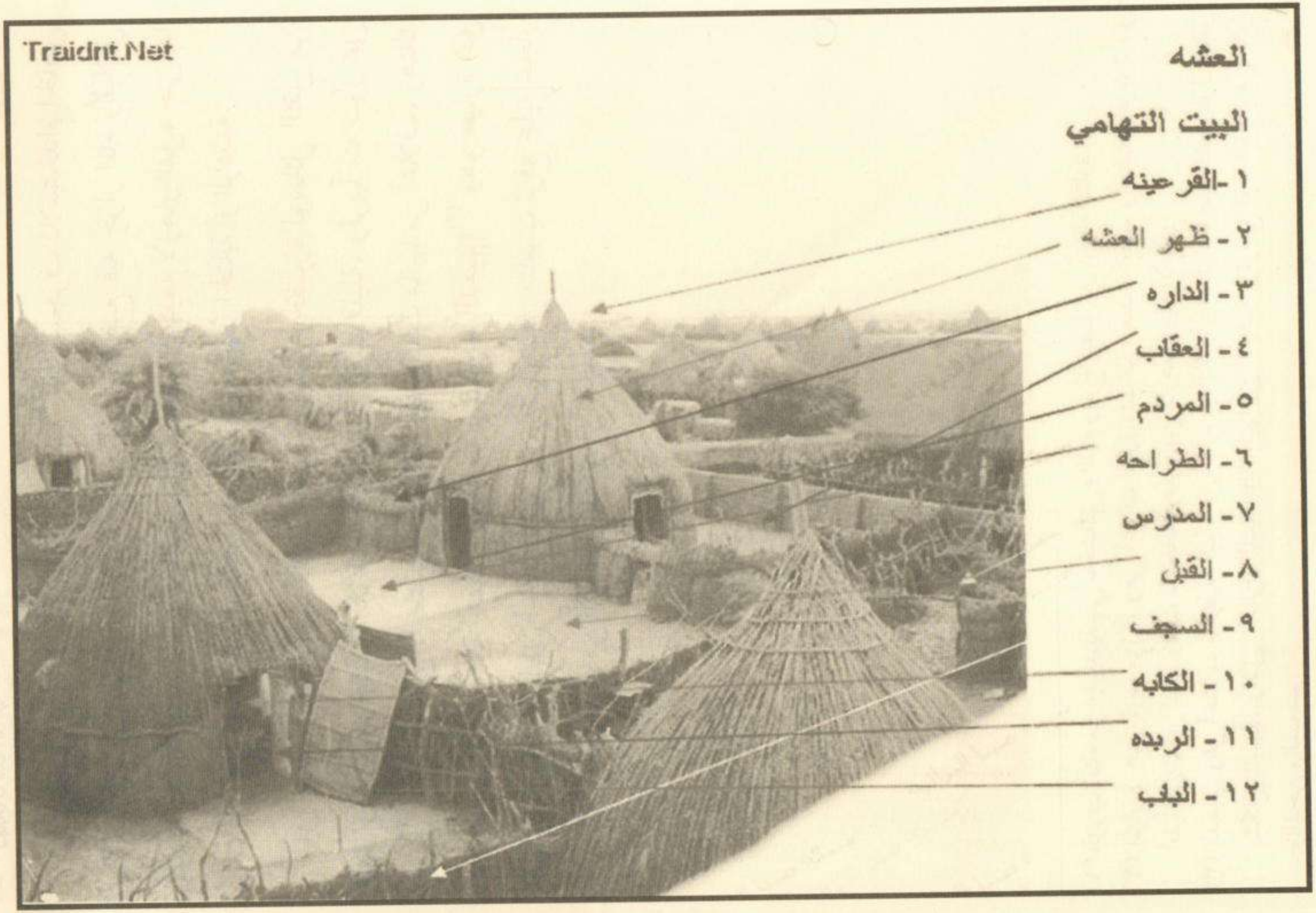
وقد يفصل بين العشش بعض الزروب[١] أو السجوف للاستخدام الخاص أو الاستحمام. وتشتمل الدارة على موقع للمياه توضع فيه جِرَار الماء والبَلابِل والسِّرداب، وغالباً ما يكون بجانبها شجَرة للحناء ورديمة لأزهار الفل، حتى إذا سالت المياه من الجرار فإن تسرب المياه يكون في حوض الحناية أو الرديمة.

وفي جانب هذا السور تكون حضيرة للبقر، وحضيرة لوسائل النقل من الحمير والجمال، وحضيرة للأغنام والضأن إذا كانت قليلة، وقريباً منه سور على مزاوم[٢] القصب حتى لا تعتدي عليها الدواب وتتلف ما بها من أعلاف، وهناك مكان قريب من الرقابة تحفظ عليه الغلة يسمى «بالدميم»[٣] وهو عبارة عن أخشاب من الدوم المطلي أحياناً بالقطران تُرص بشكل مناسب ترفع عليه عجار الحب وهي غلة السنة من الذرة أو الدخن أو السمسم.

(١) الزرب: بناء من الجريد يكسى بالحشائش والثمام والمرخ يفصل بين أجزاء الدارة.

(٢) المزاوم: جمع مفرده مزوم، وهي أعلاف الذرة والدخن، عندما تحصد وتجفف وتحزم، ترص أفقياً على شكل القش وذلك للمحافظة عليها من الأرضة ومياه الأمطار.

(٣) الدميم: وهو أخشاب مستطيلة كبيرة من الدوم أو الأثل أو السدر، ترص بعضها فوق بعض بشكل مناسب، وتطلى بالقطران للمحافظة عليها من الأرضة، وتوضع فوقه الغلال من الذرة والدخن والسمسم.


Traidnt.Net
العشه
البيت التهامي
١ -القرعينه
٢ - ظهر العشه
٣ - الداره
٤ - العقاب
٥ - المردم
٦ - الطراحه
٧ - المدرس
٨ - القبل
٩ - السجف
١٠ - الكابه
١١ - الربده
١٢ - الباب









ما قبل الابتدائية

المرء في صغره لا يستطيع أن يُمَيِّز بعض الأمور التي تمر عليه، وقد تبقى لديه بعض الصور شديدة الوهج التي تساهم في تكوين شخصيته، وهذه الصور يلتقطها من أشد الناس التصاقاً به، وأقربهم إليه، ومن يا ترى أقرب للإنسان من أمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر وأرضعته من لبانها ومنحته العطف والحنان، والدفء والأمان.

وصاحب هذه المذكرات كان آخر العنقود من أبناء الأسرة، خرج إلى الحياة ولم يعرف والده الذي كان يوليه ويولي إخوته الكثير من المودة والحب كما يروي ذلك بعض أفراد الأسرة. وقد اختاره الله إلى جواره في الخامس عشر من شهر شعبان عام ١٣٦٩هـ وعمر الكاتب يومئذ لا يتجاوز سنة وسبعة وثلاثين يوماً تقريباً.

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على صاحب هذه المذكرات أنه لم يشعر يوماً بمرارة اليتم والحرمان الذي يشكو منه بعض من فقد والديه، فقد عوضه الله بأم حانية، وإخوة كانوا رجالاً يقدرون حق الرحم، ويبذلون من أجل إسعادها الكثير، ولقد ضمني وإخوتي الرجال والنساء بيت واحد، القيادة فيه للأم التي واجهت فقدان زوجها بروح راضية وإيمان عميق. واضعة نصب عينيها تربية من تحت يدها ليخرجوا إلى الحياة أسوياء.

وكان الإشراف للأخ الأكبر السيد الحسن، والذي لا يحلو لي أن أسميه إلا بالسيد حفظه الله ورعاه.

نعم لقد كان نعم المشرف، ونعم المربي، والذي لم يدخر شيئاً من وسعه في سبيل إسعاد إخوانه وأسرته، وقد أوصاه والده رحمه الله كما علمت بالمحافظة على إخوانه وأخواته ورعايتهم، فكان من أفضل من يؤدي الأمانة ويقوم بالواجب.

ومن فضل الله علينا أن أمي زوجة أبيه كانت خالته من النسب، فهو لا يناديها إلا بالوالدة، وكنت أعتقد أنها أمه الحقيقية، ولم أكتشف أنها خالته إلا بعد دخولي المعهد العلمي في صامطة وبلوغي سن التكليف، وهذا الذى جعلني أقول في مقدمة الحديث: «إن المرء في صغره لا يستطيع تمييز بعض الأمور».

ولقد كان الوالد رحمه الله موفقاً في اختياره للزوجة الثانية بعد فقد زوجته الأولى، فلم يبتعد كثيراً بل اختار أخت المتوفاة، لترعى الأسرة وتقوم بواجب التربية، وقد حصل ذلك ولله الحمد والمنة.

استطاع الوالد رحمه الله قبل وفاته أن يعيّن اثنين من أبنائه على وظائف حكومية، هما الحسن والحسين. أما محمد رحمه الله وكان أكبر من الحسين فقد تركه يشرف على الأراضي الزراعية، ووكله لجميل تعامله وحسن أدبه وجميل خطه ليحصل على وظيفة، وقد كان له ذلك. وقد تولى الوالد رحمه الله بنفسه تعليم أبنائه، ووفر لهم المعلمين، ليساعدوهم على حفظ شيء من القرآن والتأدب بآدابه.

بداية التعليم

من الأمور الطبيعية أن أيّ ناشئ يعيش في بيئة ينتشر فيها التعليم أن يسلك مسلك سابقيه، خاصة وأن المدارس النظامية قد بدأت تشق طريقها في المنطقة وقد كان للشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ جهود مباركة في نشر المدارس في المنطقة، وقد كانت مدارس خيرية، تُعنى بتعليم القرآن الكريم، والقراءة، والكتابة ونالت الظبية نصيبها مثل غيرها، حيث تولى الشيخ علي بن عبد الله خواجي، والشيخ محمد بن حسن الحازمي تدريس طائفة من ناشئة القرية في الجزء الشرقي منها، وتولى الوالد إسماعيل بن علي عقيلي رَحِمَهُ اللَّهُ التدريس في الجزء الغربي. وقد كنت واحداً من طلابه في الجانب الغربي.

وقد كانت بالظبية مدرسة للبنات تولت التعليم فيها السيدة الوالدة شريفة بنت محمد بن علي الحازمي أم الأخ محمد بن محمد حسن الحازمي رَحِمَهَا اللَّهُ. وقد هيأت المدارس التي أسسها الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ هيأت كثيراً من الناشئة للدخول في المدارس النظامية، وأوجدت لديهم الحس التعليمي وأقبلوا يسجلون أسماءهم، ويتنافسون في الانتظام في الدراسة في مدارس وزارة المعارف يوم ذاك، وهذا ما جعلني أنتظم كغيري من أبناء القرية في مدرسة الظبية الابتدائية عام ١٣٧٥هـ.

الابتدائية

عندما يعود المرء لذكريات التعليم الابتدائي في بدايات السبعينيات يستعيد شريط مجموعة من المعلمين كانت لكل واحدٍ منهم بصمته الخاصة على طلابه وفي مادته، وإذا ذكر المعلم الناجح والإداري الجاد، والمربي الغيور، والمدير القدير فيأتي الأستاذ الفاضل/ إسماعيل بن أحمد الحازمي رحمه الله على رأس قائمة المعلمين الفضلاء الذين قادوا مسيرة التربية والتعليم في بلدة الظبية.

وإذا كان ربان السفينة ماهراً في قيادته، عارفاً بطريق سيره، فإن الوصول إلى بر السلام يغدو سهلاً ميسراً. وقد استطاع الأستاذ الحازمي بما لديه من فطنة إدارية، وحسّ اجتماعي، وحرص تربوي أن يصل بمدرسته وطلابها إلى مستوى يغبطه عليه كثير من أقرانه ومحبيه.

والإداري الناجح هو الذي يستطيع أن يوظف القدرات كل حسب استعداده وطاقته لتؤدي في النهاية دوراً متكاملاً، وهذا ما لمسناه بعد بلوغنا مرحلة التمييز، أمّا يوم كنا بين يديه وهو يهز عصاه حيناً، ويشتد في التوجيه حيناً آخر، ويمارس لعبة الطائرة بروح مرحة، ومنافسة بالغة، فما كنا نعرف قيمة ذلك التصرف، ولا نقدره حق قدره.

الأستاذ الحازمي خريج المدرسة العلمية في صنعاء، والمدرسة السلفية في مسجد الفليحي[1] صاحب المواهب الجمة استطاع بحنكته الإدارية، وحسه الاجتماعي، أن يستقطب عدداً من المدرسين الفضلاء ليساعدوه على أداء مهمته

(١) مسجد الفليحي: مسجد كبير مشهور في مدينة صنعاء، يأوي إليه طلاب العلم خاصة المغترب منهم، تقام فيه دروس لأهل السنة، تدرس فيه كتب الأمهات الست.

وإنجاح رسالته، واستطاع أن يوظف قدراته لتؤتي أكلها طيباً مباركاً، كان الواحد منهم لا يكتفي بساعات العمل أثناء اليوم الدراسي بل يستدعي طلابه ساعات إضافية داخل المدرسة، ليطمئن أن الجميع قد هضموا المادة العلمية، وأتقنوا مفرداتها، وقد كان المدرسون على مستوى من الفهم والإدراك لا يرشحهم للمدرسة الابتدائية فحسب؛ بل إن قدراتهم تتجاوز ذلك بكثير. وإن أنس لا أنسى الأستاذ القدير رفيق داود الشنطي، أردني الجنسية فلسطيني الأصل حاصل على شهادة "المترك" وهي فوق الثانوية بسنتين، إذ كان مدرساً للغة العربية، ولم تكن مواهبه قاصرة على اللغة العربية، وإنما كان موسوعة ثقافية، وما أجمل الساعات التي كان يقضيها مع طلابه يتحدث فيها عن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ويذكر جمال حيفا ويافا وغزة والقدس وما أجمل الأبيات التي كان يرددها في حب الوطن والشوق إليه:

وطني لو شغلت بالخلد عنه ** نازعتني إليه بالخلد نفسي

وقد كان يقف كثيراً مع قصيدة جبران خليل جبران:

داع إلى العهد الجديد دعاكِ ** فاستأنفي في الخافقين علاك

يا أمة العرب التي هي أمنا ** آي الفخار نميته ونماك

يمضي الزمان وتنقضي أحداثه ** وهواك منا في القلوب هواك

أما الأستاذ علي النجار وزميله علي أبو شنار فقد تعلمنا منهم الحماسة وإنشاد الشعر الوطني الجاد واسمع ما كان يُلقَّن الطالب يوم ذاك:

سـل صـفحة الأيـامي ** تنبيـك عـن إقـدامي
واسـأل جميـع النـاس ** عـن عزمتـي وبـاسي
مجاهـد صـنديد ** مقاتـل عنيـد
العلـم قـد سـقاني ** حماسـة الشـجعان
لا خـوف يعترينـي ** في الـذود عـن عرينـي
نشـيدي الموقـع ** دبابـة ومـدفع
قولـوا بـأعلى صـوت ** يـا مرحبـاً بـالموت

ولا تعجب أخي القارئ العزيز إذا وجدت خللاً فيما أسجله لك في هذه الذكريات فإني أسجلها من حفظي ولم أعد فيها إلى مذكرات أو سجلات قديمة فالوقت الذي كنا نتعلم فيه ما كنا نحفل بهذه الأمور، ولا نتصور اليوم الذي يأتي ونحن نحتاج لمثلها. ولكن يبدو أن التلقي يوم ذاك ما كان يشوبه طمع في منصب أو حرص على مركز أو حب لمصلحة عاجلة وإنما كان العلم لذات العلم. وما أجمل الساعات التي كان يقضيها مدرسونا الفضلاء مع أهلنا وإخواننا يتذاكرون فيها الأدب والتاريخ، وينشدون الشعر ونحن نسمع ونستمتع بما يقال، بل كانوا يطلبون منا ترديد هذه الأناشيد والقصائد عليهم وهم في مجالس العلم والأدب.

وأرجو أخي القارئ المبارك أن تصبر على هذه الثرثرة التي تعيدك إلى زمن قد يزيد عن خمسين أو ستين سنة عن أناس قد طواهم الزمن ولم يخلدهم التاريخ، ولكن أعمالهم محفوظة عند ربهم أسأل الله أن يجازيهم عنها خيراً. من هؤلاء الأستاذ مسعود هكذا عرفته كان صارماً حازماً جاداً مدرساً للرياضيات لا يقبل الكسل، ولا يسمح بتأخير الواجب عن وقته، ويستعمل العصا في حق المقصرين وكنا نحفظ جدول الضرب بين يديه كحفظ الفاتحة أو أشد.

أما الأستاذ نافع فقد كان نافعاً حقاً وله من اسمه نصيب، إذ كان وفقه الله إن كان حياً، ورحمه إن كان ميتاً، كان مهتماً بمادتي التاريخ والجغرافيا، وأذكر أن المنهج قد تغير في السنة التي كنا ندرس فيها على يديه، وقد جاء التغيير متأخراً وقد عوض هذا التأخير بساعات إضافية كان يعلمنا فيها ولم ينته العام إلا وقد أتم المنهج.

وعندما أذكر هذه الفئة من المدرسين، أسجل بالشكر والتقدير جهودهم، ومساهمتهم في تعليم أبناء المنطقة كل مفيد ونافع، في وقت كانت الحياة صعبة، وكان التنقل عسيراً، وكانت المساكن غير مهيأة، ولكن حبَّهم للعمل وحرصهم على توعية الجيل، أعانهم على تخطي الصعاب، وبذل الأسباب التي أرجو الله ألا يحرمهم أجر ما صنعوا وجزاء ما قدموا.

أما المدرسون الوطنيون فيأتي على رأس القائمة الأستاذ القدير عبد الرحمن باصهي هذا الأستاذ أوتي موهبة في الخط لم يصل إليها كثير من المتخصصين، وقد كان يحسن تدريس المادة وكان شجاعاً وكريماً وهما خلتان متلازمتان. أما كيف كان شجاعاً، فقد ساد عندنا في البادية أن أبناء المدن وهو منهم لا يقدرون على مواجهة الشدائد، ويخافون من المصارعة ومقابلة الرجال، وقد كان الأستاذ الباصهي مضرب المثل في التحدي والقدرة على مصارعة العتاة. أما كيف كان كريماً، فكان لا يلقاك إلا ويكرمك ويطالبك بزيارته، وينفق ما في جيبه، ولا يرى لنفسه فضلاً في ذلك، بل هي سجية جبله الله عليها، وفطره على التحلي بها، وقد كان وفياً مع طلابه ويعتز بهم حتى بعد ترك التدريس وانتقاله لأعمال أخرى.

أما الأستاذ محمد عقيل من أبي عريش فقد كان مدرساً للتربية البدنية، وقد كان قريباً من طلابه يتعامل معهم بروح الأخوة، وكوّن منهم فريقاً رياضياً قوياً

متميزاً يباري بهم فرق المدارس المجاورة، وربما تغلب في كثير من المباريات على أقرانه، وذلك بفضل أسلوبه في التعامل وطريقته في التدريب.

وقد كانت المنافسات بين المدارس على أشدها في ذلك الوقت، وهنا أذكر زيارة قام بها الأستاذ الفاضل أحمد بن محمد صالحية لمدرسة الظبية الابتدائية، وأنا في السنة السادسة الابتدائية وقد دخل الفصل يغطي نيابة عن مدرس المادة، وبدأ يناقش الطلاب في مادة الفقه، فيسأل عن الأيام البيض وحكم الصيام فيها، وأيام التشريق وحكم الصيام فيها، ولماذا كان الصيام سنة في الأيام البيض ومكروهاً في أيام التشريق، وأنها أيام أكل وشرب. وهو بهذه الأسئلة يقارن بين طلاب مدرسة الظبية ومدرسة الملحاء التي كان يعمل بها رحمه الله. وقد سره مستوى طلاب الظبية التعليمي.

وأخيراً لا تستغرب أن يقوم المراسل في مدرسة الظبية أو الفراش كما يحلو للبعض أن يسميه وهو عصامي نبيل، لا تستغرب كيف يتابع هذا الفراش وهو الأستاذ الفاضل ناصر عية الذي واصل الدراسة في مدرسة الظبية، وتخرج فيها، وأكمل دراسته في معهد المعلمين، وأصبح مدرساً ناجحاً لا تستغرب كيف يتابع أبناء المدرسة ليس في بيوتهم بل وحتى في مزارعهم فيدفعهم للمدرسة دفعاً، ويأخذ على أيديهم ويحول بينهم وبين الغياب، ويتوعد ويتهدد كل ذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل المتابعة الجادة من مدير كان قدره أن يكون المسؤول الأول في المدرسة فينتقي لها من العاملين من تبرأ بهم الذمة، ومن يكونون عونا له على أداء الأمانة التي أوكلها الله إليه.

هذه المرحلة الابتدائية، فمن هم الزملاء يا ترى الذين أسعدنا الحظ بمشاركتهم الطلب في هذه المرحلة؟

زملاء الابتدائية

كانت الأعداد محدودة وكان طلاب الفصل لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين فالدفعة التي سبقتنا كان عدد طلابها سبعة، والدفعة التي كنت أحد أفرادها كان عدد طلابها ثمانية. وكان في قلة العدد وسيلة جيدة للسيطرة على الفصل وإيصال المعلومة كاملة، وزملائي في الدراسة هم:

١- **الأستاذ: إدريس بن عبد الله بن أحمد خواجي** تخرج في معهد المعلمين بجازان، وقد كانت معاهد المعلمين منتشرة أيام حصولنا على الشهادة الابتدائية، لتغطي يومها الحاجة الماسة للمدرسين، واصل دراسته التكميلية وعاد للتدريس في مدرسة الظبية الابتدائية وكان يدرس اللغة العربية، ويمتلك القدرة على إيصال المعلومة والسيطرة على الفصل ويحسن المتابعة، والذي أعرفه عن الأستاذ إدريس أنه كان قارئاً للقرآن صاحب صوت ندي. ممن يحب الهدوء ويؤثر العزلة.

٢- **الأستاذ: إسماعيل بن علي بن أحمد الحازمي**. وكانت دراسته في المعاهد الصحية، ومارس العمل في وزارة الصحة، واشتغل ببعض الأعمال الحرة.

٣- **الأستاذ: حسن بن محمد الصم الحازمي** كان من المدرسين الفضلاء ترك أثره بين طلابه ومن المنافسين الأجلاء في التعليم تخرج من معهد المعلمين وأتم الدراسة التكميلية بعد حصوله على وظيفة التدريس وعاد ليساهم في بناء جيل من أهالي بلدة الظبية.

٤- **الأستاذ: عيسى بن يحيى محمد جُرَم** وهو أيضاً من خريجي معهد المعلمين وممن أتم دراسته التكميلية بالطائف، ولكن الأستاذ عيسى كما يقول الشيخ علي

الطنطاوي صاحب حكايات. له تاريخ حافل في مكة وفي المدارس التي عمل بها في هروب وبيش وصنبة واستقر به المطاف أخيراً في بلدة الظبية، ومما يتميز به الأستاذ عيسى قدرته على معرفة الأسر والبيوت والقبائل والأشخاص، وانتماء بعضهم وحسه الاجتماعي المتميز.

٥- **الأستاذ: قاسم بن أحمد بن علي فياض** واصل الأستاذ قاسم دراسته في معهد المعلمين مع زملائه الكرام وتخرج فيه وأتم الدراسة التكميلية بالطائف وقد استفاد كما يقول من غربته في الطائف ومسلية الكثير، حيث تعرف على شرائح من المجتمع غير الذي يعرفهم من أبناء قريته، واكتسب من ثقافتهم الاجتماعية وطباعهم الفطرية الشيء الذي جعله يتأسى بالحسن منها ويحاكيها. وقد عاد ليدرس أبناء قريته فيرد الجميل الذي قدمته له هذه البلدة في يوم ما.

وقد أحيل الزملاء جميعاً على التقاعد لبلوغهم السن النظامية كما أحيل المتحدث عنهم وعادوا من جديد لإحياء ذكرى الزمالة فأنشأوا دورية مع بقية الزملاء في البلدة يلتقون فيها شهرياً يناقشون ذكريات الماضي ويعالجون ما يستطيعون من أمور الحاضر، ويفيدون من تجاربهم في الحياة من حضر مجلسهم، ويستضيفون أحياناً بعض الوجهاء للاستفادة مما لديهم وربما يأتي المجال لإفراد هذه الدورية بباب مستقل.

٦- **الأستاذ: الشيخ محمد بن محمد بن حسن الحازمي** رحمه الله. لقد واصل الأخ محمد رحمه الله دراسته بالمعهد العلمي في سامطة وتخرج منه عام ١٣٨٥هـ وأكمل دراسته الجامعية في كلية الشريعة وتخرج فيها عام ١٣٩٠هـ وعين مدرساً بمدرسة بلجرشي وزامل الدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي وكانت له به صلة جيدة وكان رحمه الله صاحب حسٍ اجتماعي مميز يفي لأصدقائه ويواصلهم وقد انتقل

للعمل بمدرسة صبيا المتوسطة وكان نعم المدرس. الأستاذ محمد الحازمي رَحِمَهُ اللهُ صاحب فطرة سليمة وكرم حاتمي، «أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب» هذه العبارة التي كان دائماً يرددها. كان من أول المزارعين بالمنطقة زرع التين والجوافا وكانت زراعته ناجحة وزرع في نفوس أصدقائه وزملائه محبته وتقديره وافاه أجله رَحِمَهُ اللهُ بعد معاناة من المرض وقد كان راضياً بقضاء الله مسلماً أمره له تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وألحقنا به صالحين. وقد ترك عدداً من الأبناء هم على خير نسأل الله أن يجعل فيهم العوض وأن يرزقهم البر بأبيهم، وحسن الدعاء له، والسير على طريقته.

٧- **الأستاذ: حسن بن علي بن محمد فقيه** رَحِمَهُ اللهُ. ربما كان الأستاذ حسن أصغرنا سناً، وأول من استجاب لنداء ربه، حيث وافاه أجله عن عمر يناهز الخمسين عاماً في ١٠/ ٥/ ١٤١٨هـ وهو على رأس العمل إذ كان يعمل مدرساً بمدرسة نخلان الابتدائية، كان الأستاذ حسن رَحِمَهُ اللهُ سليم القلب، منشرح الصدر، كريم المعشر جيد المخبر تلقاه دائماً باسم الثغر لا يؤذي أحداً.

استوطن مدينة صبيا قريباً من أهل زوجته بعيداً عن مواطن الشهرة وقد خلف عدداً من الأبناء والبنات. نسأل الله أن يجعل فيهم العوض ويجعلهم من البارين بأبيهم بعد وفاته. والأستاذ هو أحد أبناء الوالد علي بن محمد فقيه المربي الفاضل الذي أدار مدرسة العالية فترة غير قصيرة وكان نعم القائد، واستقر به المقام في العالية واكتسب كثيراً من الأراضي الزراعية وأصبح واحداً من أهلها. نسأل الله أن يطيل في عمره على الطاعة ويرزقه حسن الختام.

المعهد العلمي في صامطة

العلم نور كله وشرف العلم بشرف المعلوم، وكلما كان العلم متصلاً بالشريعة وخادماً لها كانت درجته أعلى وأجره أكثر والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، والرسول ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**».

ولقد اقتضت حكمة الله أن يسخر الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ليقوم بالدعوة في منطقة جازان في وقت كانت أحوج ما تكون لمثل دعوته وقد وجدت الدعوة أرضاً خصبة ومجتمعاً متعطشاً لقبول الخير فأثمرت الدعوة وكان من ثمارها "المعهد العلمي في صامطة" هذ المعهد الذي أخذ على عاتقه تعليم الناشئة وتخريج عدد من طلاب العلم كانت لهم اليد الطولى في رفع كاهل الجهل عن المنطقة ونشر الخير وتعليم الناس ما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم.

وإذا كنت أسجل هذا الخير عن المعهد فلا يعني ذلك أنه الوحيد الذي كان ينشر الخير فلقد ساهمت معه جهات متعددة من مدارس ووزارة المعارف في ذلك الوقت، ولكنه كان الأبرز والأظهر لوجود مناهج متخصصة في تعليم الشريعة واللغة العربية والعلوم الاجتماعية والخير يجر بعضه بعضاً، ولقد جاءت نقطة البداية في التوجه إلى المعهد العلمي من تسجيل الأخ الشيخ محمد بن حسن بن محمد الحازمي وإخوته الدراسة في المعهد عام ١٣٧٩هـ نعم لقد سبقنا الشيخ رحمه الله إلى المعهد وكان معه زملاؤه من أصحاب الدفعة الأولى التي تخرجت من مدرسة الظبية الابتدائية وفي مقدمتهم أخواه علي وحمود وابن عمهم الأستاذ حسن بن علي بن يحيى الحازمي وابن عمتهم أحمد بن يحيى خواجي ولكن هذا الأخير لم يواصل بالمعهد وقد واصل دراسته بمعهد المعلمين الابتدائي في جازان.

والخير يجر بعضه بعضاً. ولما جاءت الدفعة الثانية من مدرسة الظبية كان فيهم الشيخ حسن حرف الحازمي وموسى بن يحيى خواجي وعلي بن حسن الحازمي وعلي بن أحمد عبد الفتاح وقد علموا بتسجيل الدفعة الأولى وانتظامهم في الدراسة فساروا على نهجهم.

ثم جاءت الدفعة الثالثة التي كان فيها كاتب هذه الأسطر في وقت قد ازدحمت الطلبات من الداخل على التسجيل في معهد صامطة، ولم يعد يستوعب كل الطلبات فكان لابد من اختبار للمتقدمين ليسهل انتقاء من يتجاوز الاختبار ويعتذر لمن لا يتجاوزه. وقد يسر الله بمنه وكرمه تجاوز الاختبار وتم التسجيل في المعهد طالباً منتظماً عام ١٣٨١هـ وقد كانت الرحلة من الظبية إلى صامطة تستغرق يوماً كاملاً. يبدأ هذا اليوم من قبل صلاة الفجر حيث يتجه المسافر على راحلته إلى صبيا ليجد سيارة الدعبي[1] أو سيارة البريد فيعتلي فيها بصعوبة بالغة وسط الزحام الشديد مع المسافرين، وإذا استطاع أن يحصل على مقعد في مقدمة السيارة "السلة" فكأنما حصل على الدرجة الأولى في طائرة بوينج ٧٣٧ وتبدأ الرحلة من الصباح الباكر ويستقبل المسافر رائحة مياه البحر الملوثة والسبخ ورائحة البنزين مع عادم السيارات القديمة فيقبل بعضهم ذلك ويتحمل الروائح لتعوده ويستقبلها بعضهم بالقيء والتذمر ولكن عليه أن يصبر فبعض السفر نوع من العذاب.

لا تتصور أنه سيجد في جازان استراحة فاخرة أو مكاناً معداً للاستقبال أو فندقاً من ثلاثة أو أربعة أو خمسة نجوم، وإنما عليه أن يتجه إلى أقرب قهوة،

(١) الدعبي: سائق سيارة مشهور، كان يمتلك سيارة ينقل فيها الركاب من صبيا إلى جازان ذهاباً وعودة.

وهكذا كانت تسمى " قهوة" فيها كراسي محبلة بحبال من الطفي أو المحيص[1]، وعليها أعداد من البشر من مختلف الفئات من الباعة وتجار الماشية، والجمّالة وسائقي السيارات ومعاونيهم، وبعض الفارغين ممن يتعاطون الشيشة عليه أن يتجه إلى هذه القهوة ليقضي فيها صدر يومه منتظراً سيارة بعد صلاة الظهر ينادى عليها بصوت مرتفع "صامطة الأحد، صامطة الأحد" ويكرر النداء ليجتمع معه عدد من الركاب.

هذه السيارة من نوع نسميه في ذلك الوقت " أبلكاش" وهو من أفخر المراكب أو ونيت ويأتي بعده في الدرجة، يمتلك هذه السيارة غالباً رجل يدعى حسين علاالله أو محمد كفات أو صالح التميمي أو محمد حسن أو محمد الحارثي ولابد لكل سائق من معاون، مهمة هذا المعاون جمع الأجرة من الركاب، وحمل الصيجان ووضعها تحت السيارة عندما تواجه كومة من الرمال فتستقر فيها. وما أكثر الرمال في طريق صامطة يوم ذاك.

وهنا ينبغي ألا أنسى الوالد أحمد بن علي شاجري يرحمه الله الذي كان يسكن في جازان لا أدري لماذا يسكن ولكنه كان يمتلك محلاً صغيراً فيه (شِراب ماء) شِراب جمع شربة، والشربة مثل الكوز إناء مصنوع من فخار يتسع للتر أو لترين من الماء والماء أيام سفرنا كان ينقل إلى جازان من وادي جيزان وهو غالي الثمن، يضع الوالد أحمد هذه الشِراب على طاولة من الخشب تفتح من الأعلى بقدر ما يتسع لنزول الجزء الأسفل من الشربة ويبقى أعلاها معرضاً للهواء حتى يبرد الماء في الشربة ويبيع محتوى هذه الشربة بقرشين أو أربعة قروش، وكثيراً ما كان يحسن

---

(١) المحيص: نوع من الحبال يستخرج من الجبين وهو شجر ينبت باليمن، ويفتل وتُحَبَّلُ به الكراسي والسرر للجلوس عليها.

إلينا في سفرنا فيسقينا دون مقابل. نسأل الله أن يسقيه من حوض الجنة ويجزيه عما كان يقدمه خيراً، وكنا نسرّ برؤيته وهو يسأل عن أهلنا ووجهة سفرنا ويدعو لنا بالخير.

وفي صامطة كنا من أسعد الناس يومئذ إذ كان الشيخ محمد الحازمي يرحمه الله قد هيأ السبل ووفر النزل وقام بالرعاية الأبوية المتميزة. وقد كان صاحب علاقات اجتماعية مؤثرة يعرف كيف ينتقي أصحابه وكيف يتعامل معهم. وفر يرحمه الله النزل ولا أدري كيف وفره واستقبل أبناء الظبية جميعاً وشملهم برعايته وعطفه وتوجيهه، مما كان له الأثر في تفوق مجموعته، وقد اختار لهم أُمّاً حانية[1] تعد لهم الطعام، وما أجمل ما كانت تصنع من الطعام يومئذ مقابل أجرة زهيدة. وقد استطاع الشيخ الحازمي بحكم حنكته وتجربته أن يوزع الأعمال بين زملائه كل حسب قدرته وقضينا في صامطة أياماً تحت إشراف الشيخ الحازمي أنسانا فيها الغربة وأعاننا على تخطي الصعاب واستشراف المستقبل.

نعم: أقول من أسعد الناس وقد كانت الإضاءة يومئذ على نور ينبعث من الفانوس الذي يجتمع حوله خمسة أو ستة من الدارسين كلهم يستفيدون من ضوء هذا الفانوس الذي يعمل على " الكيروسين" القاز، وينام الواحد منا على سرير من الحبال لا توجد أحياناً تحت رأسه مخدة، ولا يمتلك فراشاً وثيراً يتوسده أو يلتحف به، وإذا عانى من مغص أو احتاج إلى الحمام فالخلاء مكان مناسب لقضاء حاجته. وكنا نجتمع في رمضان لتلاوة القرآن على فرش من الخصف ونشعر بالغبطة والطمأنينة والراحة. ونغترب عن أهلنا الثلاثة الأشر والأربعة ونحن على بعد كيلوات محدودة.

---

(١) الأم الحانية: هذه امرأة صالحة كانت تعد لنا الطعام مقابل أجرة زهيدة وكانت رحمها الله تتسم بالإخلاص والوفاء وحسن المعاملة.

والذي جعلنا نشعر بالسعادة والغبطة في صامطة وفي المعهد العلمي هو ما يحفل به المعهد يوم ذاك من قامات علمية، وطاقات بشرية، ودراسة جادة جعلت المنافسة بين الطلاب على أشدها، واستثارت همم الدارسين وحفزتهم لينالوا شرف العلم الشرعي وبركته، فكنت ترى المساجد تعج بالطلاب ليلاً ونهاراً، ما منهم إلا متوسد لكتابه، حريص على استغلال وقته، مشمر لحفظ ما أسند إليه.

وقد كان المعهد يومئذٍ يضم نخبة من علماء الأزهر الأجلاء، قدموا ليساهموا مع بقية زملائهم في نشر العلم مع الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن وقد كان المعهد جامعة مصغرة في صامطة، فيه عدد من العلماء ليسوا من الأزهر فحسب بل ومن الهند وباكستان واليمن، فهذا الشيخ سعد الدين من الهند يعلم الفقه الحنبلي، والشيخ محمد شريف من الباكستان يدرس في التفسير، والشيخ عبد الصمد يدرس اللغة العربية وعندما يتحدث فكأنما هو من أصول عربية في البادية، وهذا الشيخ أحمد بن راشد الإبي من اليمن وقد حاز على شهادتي كلية الشريعة واللغة العربية من الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية حالياً) وهو بحر لا ساحل له، حيثما سألته وجدته حاضر البديهة، يتحفك بكل طارف وتليد.

وكنت ترى الزيّ الذي يمثل كل جنسية، فهذا الأزهري بجبته الواسعة وعمامته المدورة وقلنسوته المدلاة، وإذا تحدث في أمر ما أشبعه وشدك إليه طائعاً مقبلاً غير لاه.

وأذكر ممن أذكر من المدرسين الفضلاء من الأزهر الشريف الأستاذ محمد بن عبد الله الأزهري، كان يدرس مادة التفسير، وكان صاحب عبادة، وإذا تكلم أو تحدث في موضوع أوفاه حقه، ولا انسى له وقفة مع قوله تعالى في آخر سورة

الشورى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] وقد نقلها لي فضيلة الشيخ حيدر بن عبد الله الحازمي حفظه الله كيف يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، وقد تبدلت الأمور وتغيرت الأحوال فالأرض غير الأرض والسموات غير السموات، والناس في عرصات القيامة على فئات ثلاث. فئة تسير على الأقدام، وفئة على مراكب مهيئة تستقبلهم الملائكة تبشرهم بنعمة من الله ورضوان، وفئة ثالثة يمشون على رؤوسهم والعياذ بالله.

لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار، يستعرض الشيخ الأزهري هذه الصورة والطلاب منصتون كأنما على رؤوسهم الطير يستزيدون من علمه ويتلهفون لمعرفة الكثير مما لديه.

وهنا أذكر الشيخ/ أبو العطا محمد إسماعيل مدرس "ابن عقيل" في النحو، وهو صاحب قامة طويلة، وجسم ممتلئ، وحزم وعزم وعلم غزير، وكأنما يستظهر شرح ابن عقيل، فلا تفوته منه شاردة ولا واردة، إذا بدأ الدرس أقبل عليه طلابه، وأنصتوا، لا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يخوض فيما لا يخصه، يُعنى بمادته، ويحرص على عبادته.

أما الشيخ عبد الوهاب الأحمدي مدرس مادتي العروض والأدب العربي فلا تمل من إنشاده وتغنيه بالشعر العربي الأصيل، يمتلك ذائقة فائقة وقدرة غير عادية على الكتابة بخطي النسخ والرقعة.

وأما إبراهيم الزيات مدرس الجغرافيا " تقويم البلدان" فقد أوتي بسطة في الجسم والعلم، وكان يطوّف بطلابه في العالم يتحدث عن المناخ والتضاريس وأعداد السكان، والمنتجات الزراعية والحيوانية والبترولية والعلاقة بين البلدان التي يدرِّسها وبين المملكة العربية السعودية التي يدرِّس فيها.

وخلاصة القول أن عامي ١٣٨١-١٣٨٢هـ كانا حافلين بعدد من القامات العلمية الوافدة من أرض الكنانة، ومن غيرها من بلدان العالم الإسلامي ساهمت حسب علمي في إرساء نهضة علمية شهدها المعهد العلمي في صامطة في تلك الفترة. وقد بلغني أنه سبقهم عدد لا يقل عنهم قدرة وكفاءة شارك هو الآخر في تشييد تلك النهضة العلمية المباركة وقد ساروا جنباً إلى جنب مع طلاب الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله الذي تولى إدارة المعهد منذ تأسيسه، وكان نعم القائد ونعم المربي ونعم الموجه ونعم الداعية الفقيه بأمور الدين والدنيا. نسأل الله أن يسكنه في عليين وأن يتغمده برحمته الواسعة.

طلاب الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله

أما طلاب الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله الذي لم تتح لي رؤيته فقد توفي آخر عام ١٣٧٧هـ أي قبل دخولي المعهد بأربع سنوات فقد كانوا خير من يمثل شيخهم وعلى رأس الجميع أخوه الشيخ محمد بن أحمد الحكمي الذي تولى إدارة المعهد بعد وفاة أخيه، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله، والشيخ حسين بن أحمد النجمي، والشيخ علي بن يحيى بهكلي، والشيخ محمد صغير عبد المحسن رحمة الله عليه، كان هؤلاء المشائخ يعملون في التدريس وكان في الجانب الإداري الشيخ يحيى بهلول رحمه الله، والشيخ عمر بن أحمد جردي رحمه الله.

ولا تعجب إذا علمت أن الشيخ المحدث أحمد بن يحيى النجمي كان يعلمنا مادة النحو وهو رجل متمكن من المادة العلمية وأن الشيخ حسين بن أحمد النجمي كان يعلمنا بجانب مادة الفرائض التأريخ الإسلامي تاريخ الخلفاء الراشدين والسيرة، وقد كان بارعاً في أدائه هادئاً في عرضه، متقناً لمادته العلمية.

أما الشيخان محمد بن صغير عبد المحسن وعلي البهكلي فقد كان الفقه مادتهما المفضلة، وكم هي الوقفات الجميلة التي كان يقفها فضيلة الشيخ محمد صغير رحمه الله مع شرح الورقات في أصول الفقه، وما أحسن ما كان يقدمه من التوجيه والإرشاد والتذكير بيوم المعاد، ولا يترك فرصة سانحة إلا اهتبلها وذكّر من خلالها نسأل الله أن يجزيه خيراً وأن يعلي درجته في الجنة.

هذه ومضات يسيرة أسجلها بين يدي هذه الذكريات، وهي لا تفي بحق مشائخي الفضلاء والحديث عنهم يستغرق المطولات، ولكن طبيعة البحث اقتضت مثل هذا الذكر، ولعل من يقرأ مثل هذه الذكريات من طلابهم من يسل

قلمه ويستعيد ماضي أيامه ليسجل بقلم الوفاء ما لم أستطع ذكره ولم أقدر على بسطه. وطلابهم كثير وهم أقدر مني للتصدي لهذه المهمة التي ينبغي أن تعطى حقها.

وكم هو جميل أن يتولى المعهد العلمي في صامطة هذه المهمة فيختار من رجاله الأفذاذ وهم كثر من يكتب عن المدرسين الذين تعاقبوا على التدريس في المعهد العلمي في صامطة، وسيجد السجلات التي تسعفه بالمعلومات الثرة، والأخبار الوفيرة، وسيقابل العديد ممن لديهم المادة التي تعينه على تقصي كثير من الأخبار والرحلات ومادة البحث.

الجيل الأول من طلاب المعهد العلمي في صامطة

سعد المعهد العلمي في صامطة عام ١٣٨٣هـ باستقبال الدفعة الأولى من طلابه ممن تخرجوا في كلية الشريعة وعادوا يردون الجميل الذي وهبهم إياه هذا المعقل المبارك.

لقد تم ترشيح الشيخ علي صديق عريشي رَحِمَهُ اللَّهُ والشيخ زيد محمد هادي مدخلي حفظه الله، تم ترشيحهما للتدريس بالمعهد قبل تخرجهما وقد قاما بواجبهما خير قيام. كان الشيخ العريشي يرحمه الله يعمل وكيلاً للمعهد ويدرس بعض المواد، ولم يتم اختياره للوكالة إلا لما يتمتع به من الهدوء والاتزان وحسن السمت والصبر والحنكة الإدارية.

أما الشيخ زيد حفظه الله فقد كان مدرساً قديراً وصاحب باع طويلة في العلوم الشرعية والعربية وقد نال نصيبه من الدراسة مع طلاب الشيخ حافظ الحكمي وواصل دراسته الجامعية ليجمع بين التعليم النظامي إضافة إلى ما حققه على يد المشائخ الأجلاء وقد ظهر أثر ذلك التنوع من خلال جهوده العلمية والدعوية ودروسه التي ما برحت تؤتي ثمارها نسأل الله أن يكتب لنا وله التوفيق ويحسن لنا العاقبة.

وأذكر هنا موقفاً لا أنساه لفضيلة الشيخ زيد وفقه الله ورعاه، إذ كان يعلمنا مادة النحو في الثانية المتوسطة وتخصصه شريعة ولكن باعه الطويلة في العلوم والتربية ساعده على أداء رسالته وكسب رضا طلابه عنه.

حينما أتم عرض درس في مادة النحو طَالَبَ من طلابه من يستطيع إعادة

الدرس وتسابق الكثير للإعادة وكنت أحدهم، وربما كنت أصغرهم سناً، وما كان منه إلا أن اختارني للإعادة تشجيعاً لي، وأخذاً بيدي للاستفادة وهي طريقة تربوية عالية الأثر شديدة الوقع على المتلقي.

وأذكر عندما كلفنا بواجب لنعده في البيت ونقدمه له في تطبيقات المادة العلمية كتب لي على دفتر التطبيقات بيتاً من الشعر لا زلت أذكره فأشكره على تسجيله وتشجيعه وحسن اختياره وجميل تفاؤله:

إن الهـــلال إذا رأيـــت نمـــوه ** أيقنـــت أن سيصـــير بـــدراً كـــاملاً

وقد تولى الشيخ زيد حفظه الله تدريس مادة التفسير في القسم الثانوي وهو من حفظة كتاب الله فكان بارعاً في عرضه متمكناً في أدائه ملماً بأطراف مادته، لا يقف عند جزئيات المنهج المحدودة بل يتعدى ذلك ببيان أثر هذا القرآن على الفرد والجماعة، وكيف يهدي من التزم به إلى الجنة، ولقد رأيت بعض طلابه في الفصل يذرف الدموع خوفاً من الله وخشية له، متأثراً بما يسمع من توجيه الشيخ خاصة عندما يعرض للحديث عن الجنة والنار.

وهذا أقصى ما يرجوه المعلم الناجح من طلابه وهو أن يصل التعليم إلى قلوبهم، ويقربهم من ربهم، ولا يبقى الهدف من التعليم هو فهم المحتوى وتجاوز الامتحان.

هذه بعض سمات الشيخ زيد حفظه الله ورعاه في التدريس عدا ما يتمتع به من البساطة والهدوء ووقار العلماء وهيبتهم. ولعل الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية عندما اختارته للتدريس قبل تخرجه لمست فيه هذه المعاني فرشحته لذلك.

أما طلاب الدفعة الأولى من المعهد والتي قدمت بعد التخرج عام ١٣٨٣هـ فكان على رأسهم فضيلة الشيخ إبراهيم بن حسن الشعبي رحمه الله، والشيخ محمد بن ناصر الحازمي رحمه الله، والشيخ محمد بن أحمد المهدي وفقه الله، وقد تبعهم عام ١٣٨٤هـ المشائخ : قاسم بن علي شماخي ومشهور بن عبد الله شماخي، ومحمد بن دعيش الشعبي ، حفظهم الله جميعاً وعلي بن محمد أبو زيد الحازمي رحمه الله وقد كانوا نجوماً مضيئة في سماء المعهد، وبمشاركتهم لمشائخهم العاملين في المعهد اكتمل العقد فاجتمعت تجربة الشيوخ مع همة الشباب وطموحهم فكان الأثر واضحاً على الطلاب تعلماً وتعليماً ونشاطاً.

وعندما أسجل ذكريات عن مشائخي الفضلاء أعتذر شديد الاعتذار عن تقصيري في إيفاء البعض حقه خاصة ممن لم أشرف بالتلقي عنهم أما من تلقيت عنهم فقد أسجل بعض الذكريات على مقاعد الدراسة والإفادة من علومهم، وتجاربهم التربوية.

والذين تلقيت عنهم هم: الشيخ إبراهيم بن حسن بن محمد الشعبي حيث كان يعلمنا مادة النحو "ابن عقيل" والأدب العربي، والشيخ محمد بن ناصر الحازمي حيث كان يعلمنا النحو في الأولى الثانوية، والشيخ قاسم الشماخي حيث كان يعلمنا البلاغة الواضحة، والشيخ محمد دعيش الشعبي حيث كان يعلمنا الأدب العربي، والشيخ محمد المهدي حفظه الله حيث تعلمنا على يديه مادة الأدب العربي.



■ **الشيخ الأستاذ/ إبراهيم بن حسن بن محمد الشعبي:**

لقد سبقت الإشارة إلى تخرج الشيخ الشعبي في كلية الشريعة من الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية عام ١٣٨٣هـ وقد باشر التدريس بعد التخرج في نفس العام.

وقد كانت الدراسة في المعاهد العلمية في ذلك الوقت تهتم بالمنهج الدراسي حفظاً وفهماً لمضمون المنهج وأداءً له أثناء الامتحان. والعلاقة بين المدرس والطلاب لا تتجاوز الفصل الدراسي وما يتلقاه الطالب من معلمه من معلومات أثناء الحصة، إلا أن الأستاذ القدير والأديب الأريب والشاعر الملهم والمربي الفاضل الشيخ إبراهيم الشعبي رحمه الله قد خرج عن هذا المفهوم للتعليم والتربية بمنهج مغاير يجمع بين التعليم في الفصل والتطبيق العملي في السلوك والتربية واسمع ما يقوله رحمه الله في هذا المعنى:

ولي أمل في فتية خلت أنني ** رسمت على أكبادها خطراتي
ولقنت ألباباً بعزم ونيَّة ** وأودعتها ما جاش في خلجاتي
ودرس الصبا نقش على صخرة القضا ** إذا قيس بالأرتاش والشذراتي

فقد فتح الباب على مصراعيه لتلقي أسئلة الناشئة والردّ عليها بأسلوب مقنع، ولغة راقية، وأداء مميز، الأمر الذي جعل النابهين من الطلاب يتجهون إلى هذا الأستاذ الذي جعل من التعليم نموذجاً جديداً يلفت الأنظار إليه، ويشد الناشئة للتلقي على يديه.

ولم يقف الأمر عند فتح الباب للأسئلة، بل تعدى ذلك بفتح باب المكتبة وفتح الصدر لاستيعاب كل جديد، وفتح الجيب للتعاون على كل مفيد، كان هذا في وقت لا تزال التربية في ربوعنا لا تعني غير الحفظ والتسميع.

لم يكن المنهج الذي سلكه صاحبنا يرحمه الله مأخوذاً من نظريات مقررة، أو أفكاراً من خارج البلاد مستوردة بل هو سليقة جبله الله عليها، وفطرة منحه الله إياها، يتعامل بها مع الطلاب، لذلك كان أثرها كبيراً على طلابه والراغبين في الاستفادة مما لديه واسمعه يقول:

حـيِّ الشـباب وقـدر الأحـرارا ** واهـد الثنـاء لجيلنـا إكبـارا
واكتب على صفحات قلبك حبهم ** وافخر فإنك قد صحبت خيارا
واشـعر بأنـك راتـع في روضـة ** تجنـي الـثمار وتقطـف الأزهـارا
يا طالـب العلـم الشـريف إلى متـى ** تـروي القـريض وتـنظم الأشـعارا
وتطالـب الأقـصى ودونـك أمـة ** جهلـوا الحـرام وكـرروه مـرارا
أمعلمـي الأشـبال في حقـل الهـدى ** والمنجبـين شـبابنا الأبـرارا
والحـاملين لـواء شـبان الحمـى ** الـنشء يتبـع حيـث سرتـم سـارا
فتخـيروا لشـباب يعـرب موقفـا ** يـرضي الإلـه ويلفـت الأنظـارا
وزنـوا بمعيـار الـشريعة سـيرهم ** واهدوا السبيل وحرروا الأفكـارا
إن المصـيبة أن تقلـد جـاهلاً ** وتحيـد عـن سـنن الهـدى مختـارا

وقد أعانه على اختيار هذا المنهج ما يتمتع به من حدة الذكاء، وصدق الأداء وحسن التعامل، والصراحة في علاج ما يعترض الطلاب من مشكلات، وما يواجهون من معضلات، والنظرة المتوازنة بين طلابه، فلا يفرق فيها بين قريب وبعيد، وذكي وبليد إلا بقدر ما يحتاجه أحدهم من توجيه، وما يستوعبه من معلومة.

وبالرغم من أن الأستاذ الشعبي يرحمه الله كان متخرجاً في كلية الشريعة إلا أنه تولى تدريس اللغة العربية في بداية حياته العملية، وقد أثبت قدرته على تدريس

المادة وتفوقه على أصحاب التخصص وأعانه على ذلك شاعريته المبدعة وإحساسه المرهف، ونبوغه المبكر وطموحه غير المحدود.

وقد أمضى في المعهد فترة كان فيها ملء أعين الطلاب، ومصدر عزهم وفخرهم ومرجعهم فيما يعانون من مشكلات. ومستشارهم فيما يواجهون من قضايا واسمعه يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

يا إخوتي في الدين هل من فتية ** لله تنتظم العلا وتترجم
فاستمسكوا بعرى العقيدة إنها ** نعم الملاذ وعروة لا تفصم
إن البناء بلا أساس عرضة ** للانهيار بهزة يتهدم
هيا بنيَّ نعاهد الله الذي ** منح الهدى وعلى المحجة نقسم
ألا نخاتل في حقائق ديننا ** أو نستغل الدين فيما يحرم
أو نشتهي عيب البريء تعطشا ** لمثالب قد نَدَّ عنها المسلم
فالظلم مرتعه وخيم فانهضوا ** بالحق تشرف أمة وتعظَّم
والحق مرٌّ فامضغوه فإنما ** تحلو الحياة متى أسيغ العلقم
إن كان مطمح كل عاشق غاية ** ترف الحياة فبطن أرض أكرم
والعلم إن لم تحمه التقوى فلا ** تحفل بأرباب له قد عمموا

والأستاذ الشعبي يرحمه الله من القلائل الذين يستوعبون التعليمات ويحرصون على تطبيقها بدءاً بنفسه ومن تحت يده من العاملين، وهذا المنهج قد لا يعجب بعض المتساهلين ولكنه إذا عمم وأخذ صفة الشمول وطبق على جميع أفراد المجتمع أصبح مستساغاً وتم قبوله.

والحق مرٌّ فامضغوه فإنما ** تحلو الحياة متى أسيغ العلقم

والذي يعجبك من أمر الشعبي رحمه الله أنه كان يسع الناس جميعاً بحلمه وعلمه، فتجد عنده اجتماع الأضداد، وهو يعطي كل واحد ما يناسبه ولا يعني ذلك مداهنة الناس، والظهور أمام كل شخصية بوجه، كما يظن ذلك من يسمع أو يقرأ هذه الذكريات. كلا بل إن الرجل يرحمه الله كان واسع الأفق بعيد النظر، قد رسم لنفسه منهجاً يتشح بالصراحة، وينبض بالصدق والناس تطمئن للصادق الصريح، فتطرح بين يديه آمالها وآلامها في وقت قد عزّ فيه الناصح الذي يتعاطف مع كل محتاج، ويقدم المشورة بكل تجرد وشفافية.

وهو مع تقديمه للنصيحة والمشورة لا يحتاج منك ثناءً، ولا يرجو منك نوالاً بل هي لوجه الله خالصة، فإن أحببتها فخذها، وإن لم تعجبك فلن يثرب عليك، وربما عدت إليه مرة أخرى، فلا يتبرم بمجيئك ولن يكف عن توجيهك. هكذا عهدنا شيخنا رحمه الله، وكم هي المواقف التي شهدناها بين يديه، وعنده من الخصوم الكثير، وهو يحل قضاياهم، ويفك نزاعاتهم واختلافهم، ويقنعهم بما يطيب نفوسهم.

وشيخنا رحمه الله من القلائل الذين أثروا الساحة الفكرية والأدبية والاجتماعية بفكره وعضاته، وتوجيهاته، وإن لم يسجَّل من ذلك إلا القليل، لكن المرافقين له والقريبين منه يعرفون وفرة ما عند الفقيد الراحل يرحمه الله.

وهو صاحب أول ديوانية في منطقة جازان، استدعى في ديوانيته عدداً من العلماء، ورجال الفكر والأدب والتاريخ والدعاة والشعراء من داخل المنطقة وخارجها، وذلك لمناقشة عدد من الموضوعات التي تهم الناشئة وتثري أفكارهم بالنافع والمفيد. وكانت مجالسه عامرة بالبحث العلمي والنقاش الفكري، والطرح الأدبي، والشعر الرصين، وتاريخ المنطقة، والفكاهة البريئة، والتوجيه التربوي،

وكان بابه مفتوحاً للاستشارات، وتقديم النصح لمختلف فئات المجتمع، وتجربته الطويلة الإدارية والتربوية واستيعابه للتعليمات منحته القدرة على تقديم المشورة الصائبة والرأي السديد.

رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وتجاوز عنا وعنه وغفر لنا وله إنه سميع مجيب الدعاء.

ولشيخنا رَحِمَهُ اللهُ ديوان شعر مطبوع جمع فيه بعض قصائده وبعضها لا يزال مخطوطاً محفوظاً بين يدي أبنائه وآمل أن تتاح لهم الفرص لنشر ما تيسر منها وله كتاب عن منهج السلف في الدعوة قدم له صاحب الفضيلة الشيخ صالح الفوزان.

وما لم أسجله من أخباره وأسفاره وذكرياته أتركه لأبنائه وهم ألصق الناس به يعرفون ما لم أعرف وفيهم النجباء وفيهم الشعراء وما أخالهم إلا قد سجلوا شيئاً من ذلك وهم حديثو عهد بوفاته، والذي لا يعرفونه من أخباره قد يجدونه اليوم عند زملائه، وحبذا لو بدأوا اليوم في عمل شيء من ذلك إحياءً لذكرى والدهم ووفاءً له، ونشراً للخير والبر والصلة التي عهدته يرحمه الله يقوم بها بين الناس.



الشيخ محمد بن ناصر (أبو القاسم) الحازمي:

لقد تولى فضيلة الشيخ أحمد بن علي حمود حبيبي الترجمة لبعض أعيان الحوازمة في كتابه " بهجة الأزمان في تراجم بني هاشم بمنطقة جازان" وكان ممن ترجم له الأستاذ محمد بن ناصر الحازمي، والأخ الشيخ أحمد بن علي حمود حبيبي قريب الصلة بالمترجم له وعنده القدرة على رسم الصورة الحقيقية لكل من ترجم لهم، وكأنما يمتلك ريشة فنية يتتبع بها خصائص المترجم له فيخرجها للقارئ تكاد توقفك على معالم شخصيته وأبعاده النفسية والاجتماعية وقد أوتي حظاً في اصطياد المواقف التي ترسم معالم شخصيات من ترجم لهم فجزاه الله خيراً وبارك في جهوده. ولقد ذهبت أبحث عن الجديد في حياة الشيخ محمد بن ناصر الحازمي فوجدت أنه قد كفاني الشيء الكثير ولذلك فسأسجل ترجمته نقلاً من كتاب الشيخ أحمد بن علي حمود حبيبي.

وإذا كان هناك من زيادة فهي وصف للشيخ الحازمي رحمه الله الذي قدم من الرياض عام ١٣٨٣هـ للتدريس في المعهد العلمي بصامطة وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة وقد كان في قمة العطاء، وكان قريباً من طلابه يعطي المعلومة، ويتابع للتأكد من ثباتها، وكان رحمه الله يعلِّم " شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" يحفظ الألفية ويحفِّظ الطلاب حيث يخصص يوماً للاستماع لهم وإحياء التنافس الشريف بينهم.

يقول الشيخ الحبيبي حفظه الله: " هذا الرجل عالم في العلوم الشرعية واللغة العربية على حدٍ سواء، ومتمكن في مادة النحو، ومن أول المتخرجين من جامعة الإمام في منطقة جازان، وهو من المدرسين القلائل المجيدين لفن التدريس، وإيصال المعلومات إلى أذهان الطلبة، وهو من القلائل الذين يهضمون ما

يدرسونه وعنده القدرة على تفهيم الطلاب ولو عن طريق النكتة، صاحب بشاشة وطلاقة وقوة تشبيه ومقارنة بين الصور المعنونة، والمحسوسة، حتى لقد عرف بذلك واشتهر به، فلا يمكن أن يتحدث عن شيء إلا ويقربه بشيء محسوس، ويظهر في صورة تشبيهية رائعة. وهو كذلك ذكي، وحاضر النكتة، ولا يخلو من سخرية أحياناً، راجح العقل، يزن الأمور قبل الخوض فيها، حليم وصبور يرى أثر الغضب في وجهه، ولكن يصبر، ولا يطلق العنان للسانه للانتقام، يتصرف بحكمة، نشأ يتيماً وتربى في مدرسة الاعتماد على الذات، بعد الله، له عقل واقعي، لا يعجبه الإسراف في أي شيء له فراسة صادقة، وتجارب سابقة، وإرادة قوية معتدل في الإنفاق يعطي بحساب، ويأخذ بحساب، يتحكم في قوله وفعله إذا استبان له رجحان أمر عرف ذلك في قسمات وجهه، وفي تبسمه الظاهر، وهو عصاميٌّ بحق، كوَّن نفسه من الصفر، فقد تحدى العوامل التي أقعدت غيره عن مواصلة التعليم، واجتازها رغم يتم نشأته، فقد درس على مشائخ بلده أمثال القاضي العلامة أحمد بن حسن عاكش رحمه الله، والقاضي العلامة هادي بن علي مطيع، ثم التحق بالدراسة النظامية في صامطة، وكان أحد طلائع المعهد العلمي بصامطة الأولى، وكان متميزاً في دراسته عن كثير من أقرانه بالفهم للدرس والهضم لما يدرسه حتى تخرج من كلية الشريعة عام ١٣٨٣هـ كان مثالاً للطالب المجد والمدرس المهاب، وبقي متقلباً في تدريس كثير من المواد، مما جعلته يتحول إلى كشكول من المعارف والعلوم. وقد أحيل على التقاعد لطلبه، وله مع التدريس نشاط ملموس، في الدعوة إلى الله، وإلقاء المحاضرات، وبعض الدروس في المساجد وهو عالم، وعامل، وداعية متمكن من معرفة ما يدعو إليه، وبحكمة وبصيرة، وملتزم بتعاليم الإسلام عقيدة وشريعة قد لا تفوته صلاة الجماعة إلا من عذر قاهر، وقد بقي في عطائه، ونشاطه حتى أقعده المرض، فانحسر نشاطه عن ذي قبل، رحمه الله رحمة واسعة. انتهى.



الشيخ محمد بن أحمد المهدي الحازمي :

ومن المدرسين الفضلاء الذين تلقيت عنهم في المعهد العلمي بصامطة فضيلة الشيخ محمد بن أحمد المهدي الحازمي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد كان يدرسنا في الثانية الثانوية مادة الأدب العربي، ومع أن تخصصه شريعة، إلا أن همة الجيل الأول من المتخرجين في كلية الشريعة وهو منهم كانت تعينهم على تخطي الصعاب، وتجاوز ما مثله يهاب باقتدار وكفاءة.

والأستاذ المهدي من أهل التقوى والصلاح يأسرك بأدبه وتجله لتقواه وقد ترجم له الأستاذ أحمد الحبيبي فقال: " هذا الرجل طالب علم عرف عنه شدة تمسكه بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، والتفوق في مادة التوحيد على أقرانه أيام الطلب، وهو البقية الباقية من أهل الفضل والعلم والعمل والصلاح والإصلاح هكذا نحسبه ولا نزكي على الله أحداً، هذا الرجل وأبوه من قبله كانا يحبان طلاب العلم، وقد ساعد أبوه كثيراً طلاب العلم حتى استغنوا عن هذه المساعدة وهي مساعدة في محلها، وقد صادفت موضعها من أهلها.

أما المترجم له فهو صادق اللهجة، ورع محافظ حيي متواضع جم الأخلاق، بشوش في وجوه الرفاق، آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر، يعمل في صمت وبُعْدٍ عن هالة الإعلام يضيق صدره بزيف الحضارة، وينشرح صدره للحق، قليل الاختلاط بالناس إلا إذا دعي أجاب، لا يتكلم بما لا يعنيه، على وجهه تلوح أنوار العبادة وسجايا الإصلاح، يفصل بين المتنازعين إذا ما أتوه، عالم وخصوصاً في أصول الدين، وله أسلوب جميل في الإقناع، وإذا أمر بمعروف فعلى أصوله، فلا يشهر ولا يذل بل غالب أمره يستدعي من ينصحه، أو يذهب إليه، وينفرد به في

مكان لا يوجد غيرهما ثم يكلمه بروح العالم الناصح وإلا بالمشفق، وبكل ادب ولطف، وكأنه هو المنصوح متحفظ في لسانه وكأن عليه رقابة محكمة. وهو جهوري الصوت في المحاضرات والندوات وهو متمكن مما يحاضر فيه، وقد ولد عام ١٣٥٦هـ بمدينة ضمد، وقد تعلم في الكتاتيب وخاصة عند المعلم الفقيه محمد بن إبراهيم الأقصم الحازمي، حتى أتقن القراءة والتلاوة ثم ظهرت مدرسة سلفية كان يموِّل القائمين عليها والده رحمه الله وأجزل ثوابه، فالتحق بهذه المدرسة، وكان بها من المدرسين الشيخ هادي بن علي مطيع رحمه الله، ثم التحق بعدها بمعهد صامطة ... إلى أن قال: وفيه مجمل صفات المدرس الناجح والمعلم الواعي والمربي القدير، ثم انتقل إلى التوجيه التربوي، فكان خير مثال للناقد البصير والمرشد القدير، والموجه الخبير.

الشيخ محمد بن دعيش الشعبي:

الشيخ محمد دعيش كان من الدفعة الثانية التي وصلت إلى المعهد العلمي بصامطة وكان طلاب الدفعات الأولى التي تخرجت من المعهد العلمي بصامطة لا تواصل التعليم إلا في كلية الشريعة، وكان هناك تحفظ على الدراسة في كلية اللغة العربية ويأتي هذا التحفظ بسبب المناهج التي تدرس في كلية اللغة فهي لا تُعنى بالفقه وأصوله وعلم الفرائض، وعلوم السنة والشريعة، وقد تشرب الطلاب حب هذه العلوم مع أخذهم بنصيب جيّد من علوم اللغة العربية التي تعين على استيعاب النصوص واستخراج المنطوق والمفهوم منها، فكان من الصعب عليهم ترك ما ألفوه، وهجر ما تعودوه، وكان لابد للمعهد العلمي بصامطة أن يستقبل الدفعات القادمة، ويستعين بهم في تدريس مواد اللغة العربية اعتماداً على ما حصَّلوه من معلومات سابقة، ولأن منهج النحو في الكليتين (الشريعة، واللغة) متقارب فكلا الكليتين كانت تدرس كتاب ابن هشام وقد تولى الشيخ محمد دعيش في بداية حياته العملية تدريس اللغة العربية كالنحو والأدب وكان نعم المدرس يبذل أقصى جهده في الإعداد للمادة العلمية، ويقدمها في ثوب قشيب ولغة أديب ومنهج سهل للمتلقي قريب.



الشيخ قاسم بن علي شماخي:

الشيخ قاسم الشماخي صاحب همة عالية وطموح كبير واستشراف للمستقبل ووفاء مع محبيه وصدق في التعامل، وصراحة في النصح، تبدو عليه هذه الملامح لأول وهلة تلقاه فيها.

وإذا سبرت غوره وأمعنت في الولوج إلى خصائصه وجدت رجلاً سهلاً في التعامل رقيق القلب حسن الطباع كريم الشمائل صاحب عبادة يأسرك بتواضعه وكرمه ونبل سلوكه.

قدم الشيخ قاسم إلى المعهد العلمي في صامطة وهو في قمة العطاء وفي أوج الطموح يتطلع إلى النهوض بطلابه والأخذ بأيديهم للمقاصد الشريفة والأهداف النبيلة والرتب العلية. وقد تولى مثل غيره من طلاب كلية الشريعة تدريس اللغة العربية، والرجل الجادّ تبقى جديته ملازمة له في كل الأحوال لا ينفك عنها ولا يرغب باستبدالها بما هو دون وتظهر جدّية أبي عيسى حفظه الله ورعاه في أدائه لدرسه، حيث لا يميل إلى اللهو ولا إلى التبسط بل يمضي في درسه صارماً يلقن العلوم ويستحث الفهوم، ويدفع للمنافسة ويشجع على التفوق.

وكم هو جميل أن تسمع من الشيخ الشماخي صاحب التخصص الشرعي تحليلاً دقيقاً للاستعارة في الحرف عندما يستعرض قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨] ولا زلت أذكر الساعات التي أمضاها هذا الشيخ المبارك ليوصل هذه المعلومة إلى أذهان طلابه، وما ذاك إلا لما يحمله من جدية في العطاء وإخلاص في الأداء وحبٍّ للمهنة التي كان يؤدي دورها وهكذا كل حرٍّ أبي تأبى عليه شهامته وأصالته إلا أن يقدم أفضل ما يملك حتى تبرأ ذمته ويستوفي ما عنده من جهد وطاقة.

ولم تقف همة الشيخ الشماخي عند هذه الصورة الجميلة بل كان ولا زال الموجه الخبير والأستاذ القدير الذي يغمرك بتواضعه، ويبادرك بنصحه نسأل الله أن يمد في عمره ويبارك في عمله ويرزقه التوفيق وحسن الختام.

وقد انتقل الشيخ قاسم حفظه الله ورعاه من المعهد العلمي في صامطة إلى العمل في المعهد العلمي بالباحة وتولى إدارة المعهد هناك، ثم انتقل بعد ذلك إلى العمل في المعهد العلمي بأبها، وقاد مسيرة التوجيه في المعاهد العلمية ردحاً من الزمن وقد تم اختياره لهذه القيادة لما يتمتع به من الصفات الإيجابية وقدرته على توظيف الطاقات والاستفادة منها وحسن تعامله مع الغير، واستقر به المطاف اخيراً مديراً عاماً لتعليم البنات في أبها، وقد كان نعم العامل نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وقد ترجل عن صهوة العمل الحكومي ليشرف على أسرته وأولاده وأحفاده ويقوم على شؤونهم، بعد عمر قضاه في التعليم كان مثالاً للحريص على أداء الأمانة والقيام بواجب المسؤولية.

أثر الجيل الأول في طلابهم

الدراسة النظامية التي يتلقى فيها الطالب التعليم على مقاعد الدراسة ويتعلم على أيدي مدرسين قد نضجوا في مدرسة الحياة، وتقلبوا بين اللين والشدة والعسر واليسر، وعرفوا الخير والشر هذه الدراسة تختلف عن دراسة الكتاتيب وحلق المساجد، وربما كانت الأخيرة وهي التي عرفها السلف ذات أثر إيجابي في تعميق المادة العلمية وتنوعها وتأصيلها وهي لا يأتيها إلا راغب وحريص أما التعليم على مقاعد الدراسة والذي غلب مؤخراً على طلاب الجامعات ودور التعليم في الأقسام الابتدائية والمتوسطة والثانوية فمزيته من نوع آخر حيث جاء هذا التنظيم بعد أن أصبحت التربية جزءاً لا ينفصل عن التعليم بل ربما كانت التربية هي الثمرة من التعليم إذ كيف يتم تدريس مادة علمية ولا يتم تطبيق مدلولها في واقع الحال.

وإذا وصل التعليم في يوم ما إلى مثل هذه الحال فاقرأ على التعليم السلام.

الأثر الذي تركته الدفعات الأولى والتي عملت بعد التخرج في التعليم كان أثراً إيجابياً بكل المقاييس، ولعلي في الأسطر القليلة القادمة أضع يديك على شيء من هذه الإيجابيات والتي لم تكن معروفة من قبل.

١- التقارب الفكري والعمري والثقافي بين المعلم والطالب، فليس هناك فارق كبير بين الطالب والمعلم لا من حيث العمر ولا من حيث الثقافة ولا الفكر وهذا مما يُسهّل على المدرس قراءة أفكار طلابه ومعالجتها بما يتناسب والمرحلة التي يعيشونها. ويسهل في نفس الوقت على الطالب تقبل الأفكار والاستجابة لما يُعرض عليه.

٢- الاستعداد العلمي والثقافي والاجتماعي لدى المدرسين المستجدين فمعلوماتهم قوية وهم نتاج مدرسة علمية قوية وقد أضافوا إليها ما حصلوه من الكليات التي تعلموا فيها، وهم على استعداد للخروج مع طلابهم في رحلات اجتماعية وثقافية وهم على استعداد لتبادل الزيارات وطرح بعض الرؤى والأفكار التي تثري الجانب العلمي والثقافي.

٣- هم من الدفعات الجديدة، ولكل جديد لذة. دماؤهم فوارة، ومواهبهم متميزة، وإقبالهم على العمل برغبة. كل منهم يودّ أن يبني له بين طلابه قاعدة. وهذا مما جعل العطاء جاداً والعمل مباركاً.

٤- كان الكثير منهم صاحب مكتبة، يقرأ كل جديد ويقتني كل مفيد مما تدفع به المطابع من فكر وثقافة وعلوم منفتحة على الثقافات العربية والإسلامية السائدة في تلك الفترة، وكان أحدهم يفتح باب مكتبته للقراءة والاستفادة والإهداء في وقت لم تكن هذه الثقافات منتشرة ولا موجودة.

٥- الحرص على إحياء النشاط الثقافي والفكري والأدبي في صفوف الطلاب من خلال الإذاعة المدرسية والتي كانت تقام عادة في الفسحة حيث كان الطلاب يتنافسون في تقديم مواد ثقافية وعلمية وأدبية، ويقدمونها بين يدي معلميهم لتصحيحها وعرضها من خلال الإذاعة المدرسة. هذا عدا النوادي الثقافية التي تقام في المناسبات وعند زيارة بعض الموجهين للمعهد والاحتفاء بهم وإنشاد القصائد بين أيديهم.

٦- وأخيراً كان المدرسون القادمون يتتبعون حاجة أبنائهم ويتلمسون مشكلاتهم، ويراعون ظروفهم ويقدرون مواقفهم، فيقدمون لكل واحدٍ منهم العلاج المناسب في الوقت المناسب دون منة أو ضجيج. في وقت لم يكن هناك

إشراف اجتماعي ولا ثقافي. وقد قاموا بهذا الدور تطوعاً منهم وعملاً لوجه الله سبحانه وتعالى، وقد كان أثره بالغاً على نفوس طلابهم، مما أكد التقارب، ونشر الاحترام والتقدير لكل معلم جادٍ ومرب فاضل ينشر التعليم بين أبنائه، ويترجمه سلوكاً في واقع حياته.

نسأل الله أن يثيبهم على ما قدموا ويجزل لهم الأجر جزاء ما صنعوا ويرفع درجات المتوفى منهم في عليين ويحسن ختام الباقين.

مناهج المعاهد العلمية

المناهج الدراسية في المعاهد العلمية كانت ولا تزال – إن شاء الله – مدروسة بعناية فائقة، وهي ذات هدف محدد، تُعنى بدراسة مواد الشريعة كالتوحيد والفقه والتفسير والحديث والفرائض بعد القرآن الكريم، وتعطي لأصول الفقه ومصطلح الحديث جزءاً يعين الطالب على إدراك شيء من علومهما، وتُعنى بمواد اللغة العربية وهي علوم الآلة التي لابد منها لكل طالب علم شرعي، ولا تغفل العلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا. وتعطي مبادئ في الرياضيات تعين الطالب في قسمة التركات بالفرائض. وقد قررت إدارة المناهج في الفترة الأخيرة تدريس مادة اللغة الإنجليزية لتعين الطالب على الإلمام بمبادئ تلك اللغة ولم تغفل علوم الحاسب الآلي.

ويلاحظ المتتبع لهذه المناهج التدرج العلمي في مفردات المنهج، ففي الفقه مثلاً يَدرُس الطالب كتاب: "زاد المستقنع" وهو كتاب في الفقه الحنبلي يبدأ من كتاب الطهارة، ويأتي على جميع أبواب الفقه ككتاب الصلاة والزكاة والحج والصوم وكتاب البيوع والشُفْعَة والعارية والإجارة... إلى أن ينتهي بباب الحدود والإقرار بعد باب القضاء. فإذا ألمَّ الطالب بكتاب زاد المستقنع إلماماً جيداً فقد حمل زادًا شرعياً يؤهله للفصل في الخصومات بين الناس، ويعطيه القدرة على حل المنازعات خاصة إذا كان ذا سلوك حسن وسيرة محمودة وصاحب حلم وأناة.

وفي الحديث يقرأ الطالب كتاب: "عمدة الأحكام" وهو مرتب حسب تسلسل زاد المستقنع، ففي الوقت الذي يتعلم فيه الطالب الأحكام الفقهية من الزاد، يدرس أدلة تلك الأحكام من السنة، ويعرف الآراء الواردة في المسائل الفقهية، وأدلة كل رأي والترجيح بعد معرفة الخلاف.

هذا بالنسبة لمادتي الفقه والحديث.

أما التوحيد، فيتعلم الطالب في القسم المتوسط كتاب: " التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب" وهو كتاب مشروح ويشتمل على مسائل في التوحيد، تجعل الطالب يقف من بداية حياته العلمية على العقيد الصحيحة، ويتمثلها سلوكاً وفهماً وتطبيقاً. وإذا انتقل إلى القسم الثانوي عزز هذه المعلومات، وتوسع في معرفة ما تجب معرفته من أقسام التوحيد، ومعرفة الملل والنحل، والفرق الضالة وشبهة كل فرقة والردِّ عليها، وذلك ن خلال دراسته للعقيدة الواسطية في الأولى الثانوية، والتدمورية في الثانية الثانوية، والمذاهب المعاصرة في الثالثة الثانوية، والطالب بدراسته لهذه المناهج يكون قد وقف على مذهب السلف في الاعتقاد وتحصن علميا وفكريا. ووقف على شيء من أساليب السلف في الكتابة والاستدلال والاستنباط. وارتبط بطريقهم في إثبات الأسماء والصفات والبعد عن الشبهات التي وقع فيها الغلاة من المشبهة والمجسمة وأصحاب الكلام.

وهكذا الشأن في التفسير، فقد كان يقرر أيام دراستنا كتاب: "تفسير الجلالين" ولكن المدرسين كانوا على حذر في التعامل مع الكتاب فإذا وجدوا لدى صاحب الجلالين هفوة بادروا بالتنبيه عليها، وبسطوا منهج السلف الصحيح، وأشاروا إلى ما يجب إتباعه في تلك المسألة.

وكان يدرس في أصول الفقه: "شرح الورقات" وهو على صغر حجمه كتاب يوقفك على مبادئ في الأصول ليست باليسيرة، تفتح الذهن على كثير من أبواب أصول الفقه، وهو علم يؤصل القواعد الشرعية، ويوضح طرق الاستدلال والاستنباط والترجيح والقياس.

أما مصطلح الحديث فقد كان يقرر في السنة الثانية الثانوية، وكان قد أعدّ مذكرته صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وهو صاحب قدم راسخ في التأليف والتربية والتوجيه، وكانت مذكرته نفيسة، ذات أثر حسن على الملقين والمتلقين.

وأما علم الفرائض فقد كان يدرس في القسم المتوسط وكان مدرسه شيخاً بارعاً وكانت المذكرة المقررة يوم دراستنا "عدة الباحث" وكنا نستعين معها بكتاب النور الفائض في علم الفرائض "للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي" رحمه الله خاصة في باب الجد والإخوة. وعلم الفرائض من العلوم التي تفقد قبل غيرها، وفي عناية المعاهد العلمية بتدريسه حفظ لهذا العلم، ونشر له بين ذراري المسلمين وعامتهم.

أما اللغة العربية فقد كان يقرر في القسم المتوسط النحو من كتاب: "النحو الواضح" لعلي الجارم ومصطفى أمين، وحسبك بالرجلين دراية واستيعاباً وتربية، وأصحاب رسالة علمية ومنهج سليم. وقد كان النحو الواضح في جزأين للأولى المتوسطة والثانية المتوسطة.

وفي الأدبي العربي الذي تحوّل أخيراً إلى النصوص كنا نتعلم "الأدب الجاهلي" في القسم المتوسط شعره ونثره، وأثره على اللسان العربي، ولا زلت أحفظ بعض نصوصه منذ تلك الأيام. نظراً لجزالة الألفاظ وحسن وقعها ووضوح معانيها. خاصة شعر عنترة بن شداد العبس، وخطب قس بن ساعدة الإيادي. فخذ مثلاً قول عنترة:

هـلا سـألت الخيـل يـا ابنـة مالـك ** إن كنـت جاهلـة بـما لم تعلـم
يخـبرك مـن شـهد الوقيعـة أننـي ** أغشـى الـوغى وأعـف عنـد المغنم
ولقد ذكرتك والرماح نواهـل مني ** وبـيض الهنـد تقطـر مـن دمـي
فـوددت تقبيـل السـيوف لأنهـا ** لمعـت كبـارق ثغـرك المتبسـم

أما الخطب فاسمع قول قس: "أيها الناس: اسمعوا وعوا من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، سماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فقاموا، أم تُرِكوا فناموا"... الخ.

نعم: إن اختيار هذه النصوص ضمن المنهج الدراسي بما فيها من ألفاظ جزلة ولغة سهلة، وعبارات واضحة، وفواصل متعددة، تربي في نفس الناشئ حب اللغة العربية، وتصقل مواهبه في وقت مبكر.

ولا أدري لماذا عَدَلَ المنظرون لمناهج اليوم عن مثل هذه النصوص وذهبوا يبحثون عن نصوص أخرى لا تروي غليلاً، ولا تشفي سقيماً، وليتهم جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، فأعطوا شيئاً من الماضي، وأضافوا إليه من الحديث مما تقوَّم به الألسن، وتستنير بفهمه العقول، ويعيد الناشئ ليقلب الصفحات، بحثاً عن تراث أمته وديوان العرب الذي نزل القرآن الكريم بلغتهم فيتعرف من خلال تلك النصوص على كثير من ألفاظ الكتاب الحكيم، ويدرك شيئاً من أسراره ومعانيه.

أما العلوم الاجتماعية: فقد بدا واضحاً في مناهجها التسلسل التاريخي والبعد الجغرافي، ففي مادة التاريخ كانت السيرة النبوية في الأولى المتوسطة، وتاريخ الخلفاء الراشدين في الثانية المتوسطة، وتاريخ الدولة الأموية والعباسية في الثالثة

المتوسطة، وتاريخ الدولة العثمانية والمماليك في الأولى الثانوية والاستعمار ودوره في الاستيلاء على مقدرات الشعوب العربية والإسلامية في الثانية الثانوية، والتاريخ السعودي في الثالثة الثانوية.

وفي علم الجغرافيا كانت العناية شديدة ببيان عدد القارات والدول الإسلامية والعربية ومعرفة المناخ والتضاريس، وأهم المدن والمنتجات الزراعية والحيوانية والمعدنية. وعلاقة الدول بالمملكة العربية السعودية.

وفي القسم الثانوي كان مقرر النحو "شرح ابن عقيل" على ألفية ابن مالك وقد كان مدرس المادة رَحِمَهُ اللَّهُ يطالبنا بحفظ الألفية، ويخصص يوماً لمتابعة الحفظ وكان المقرر في البلاغة " البلاغة الواضحة" لعلي الجارم ومصطفى أمين، وفي الثالثة الثانوية " علم المعاني" لحامد عوني. وفي مادة المطالعة كان المقرر كتاب: "مع الرعيل الأول" وهو كتاب يحمل كثيراً من المعاني القيمة والأفكار الناضجة.

هذه لمحة بسيطة توقف القارئ الكريم على جزء من مناهج المعاهد العلمية وقد قدمت أن المناهج حضيت بعناية فائقة من الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية يوم ذاك.

والذي يبدو أن رجالاً ممن يخافون الله ويتقونه كانوا وراء مفردات تلك المناهج، يعدونها وينقحونها ويقدمونها للطلاب ويتابعون آثارها في صفوفهم، ويقيِّمون العمل بها، ويعدِّلون ما يحتاج إلى تعديل، ويطوِّرون ما يحتاج إلى تطوير.

والمنهج في كل علم هو الأصل الذي يُعْتَمَدُ عليه في توجيه مسيرة الناشئة فإذا صلح المنهج وكان وراءه رجال يدركون الهدف منه، والغاية من إعداده أَخْرَجَ للأمة جيلاً صالحاً يعرف رسالته في الحياة، ومسؤوليته أمام الأمة.

وقد جربت الرئاسة في يوم من الأيام التجديد في المنهج والاستفادة من بعض علوم العصر، وإدخال بعض المواد العلمية كالرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والجبر، والهندسة، والعلوم.... ولكنها خلصت بعد التجربة إلى عدم الاستفادة من هذا التجديد. فلاهي حافظت على طريقتها ومنهجها السابق، ولا هي كسبت جديداً من هذا التجديد الذي أفقدها هويتها وشتت أذهان طلابها. وذهب بها بعيداً عن الأصل الذي أنشئت من أجله، وهو التخصص في دراسة علوم الشريعة، وما يعين على فهمها من علوم الآلة.

والذي يتتبع أحوال الجيل الذي تتلمذ على هذه المناهج يدرك جيداً المستوى الذي حققوه والوعي الذي أحرزوه والنتائج التي وصلوا إليها فما أن يلمع اسم صاحب قدم راسخة في علوم الشريعة أو اللغة العربية أو يظهر شاعر مبدع أو كاتب رصين، إلا ولهذه المناهج أثرها في حياته وخذ أمثلة على ذلك العاملون في القطاعات الحكومية في وزارة العدل وهيئة كبار العلماء ودار الإفتاء والعاملون في وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد وعدد كبير من العاملين في وزارة التربية والتعليم، والعاملون في الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجيل كبير من المحامين، وعدد لهم وزنهم في وزارة الداخلية ووزارة الدفاع ووزارة الشؤون البلدية والقروية ووزارة الخدمة المدنية..... الخ.

وقد أثبت الجميع أن المنهج الذي تلقوا من خلاله دراستهم الأولية كان أثره واضحاً على وضوح الرؤية ووضوح الهدف واستنارة الطريق.

طلاب المعهد العلمي في صامطة

البيئة في كل مكان لابد أن تترك أثرها بين أفراد المجتمع. والبيئة العلمية التي أوجدها الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ وعززها تلميذه الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ تركت أثرها في المجتمع العلمي بقطاع صامطة. وبما أن المعهد هو الوحيد في تلك المنطقة وهو الأقدم فقد استطاع أن يستقطب عدداً كبيراً من الطلاب وينتقي للدراسة فيه الأصلح من أبناء المجتمع، وهذا أمر يفرضه العرض والطلب فعندما يكثر العرض يتفنن المستفيد في الانتقاء، وعندما يقل العرض يقبل المستفيد كل شاردة وواردة.

وقد جاءت على المعهد العلمي في صامطة فترة كان هو الوحيد الذي يستقبل طلاب العلم الشرعي ويربيهم، وكانت الفترة التي أمضيتها في المعهد العلمي مع زملائي حافلة بعدد من المشائخ الفضلاء استطاعوا أن يحيوا التنافس الشريف بين طلابهم في طلب العلم وقد كانت الدفعة التي تسبقنا تظم عدداً من القامات العلمية الموهوبة ويأتي في مقدمتهم الأستاذ الشاعر حسن بن علي أبو طالب القاضي، والأستاذ الأديب حجاب بن يحيى الحازمي، والأستاذ حسن بن علي حرف الحازمي، والأستاذ محمد بن مصلح الشعبي والأستاذ حسن بن أحمد اليامي رَحِمَهُ اللَّهُ والأستاذ حسن بن علي شراحيلي والأستاذ موسى بن يحيى بن أحمد خواجي، وكان التنافس بينهم على أشده وذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل البيئة العلمية التي كانت سائدة تلك الأيام في ربوع المعهد.

وكانت الدفعة التي تليها دفعة زملائي الكرام ومنهم الأستاذ الأديب الشاعر محمد بن علي بهكلي، والأستاذ زاهر بن أحمد اليامي، والأستاذ أحمد بن قاسم

الشعبي، والأستاذ حسن بن علي حلوي، والأستاذ عبده بن حسين مباركي، والشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الله مالك الأهدل، والشيخ هادي بن أحمد مدخلي، والأستاذ محمد علي موسى عطيف رَحِمَهُ اللهُ، وابن عمه الشيخ محمد يحيى موسى عطيف، والشيخ يحيى سيد عطيف، والشيخ أحمد بن إبراهيم مجممي، والشيخ علي بن محمد أبو راجح، والأستاذ الشاعر سليمان بن محمد قاسم الفيفي رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ عيسى بن محمد شماخي، والشيخ يحيى حسن محرق، وقد كانوا جميعاً أصحاب همم عالية واصلوا دراستهم الجامعية وحصل بعضهم على درجة الدكتوراه، وعادوا يؤدون رسالة التعليم بعضهم في المعاهد وأكثرهم في وزارة التربية والتعليم وكل واحد منهم كان أمة في رجل يعجبك في تدريسه ويسرك في تربيته وتوجيهه وما منهم أحد إلا قد تولى قيادة مدرسة أو معهد معلمين أو ثانوية، أو مكتب إشراف. أو معهد علمي.

وإذا كان الحديث عن التنافس العلمي الشريف فسأذكر هنا قصتين تدل على التنافس الشريف بين طلاب المعهد يوم ذاك.

الاولى بطلها الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد الله مالك الأهدل. فقد كان الأستاذ عبد الله الأهدل من الحريصين على التحصيل العلمي في المقررات الدراسية، لا يكاد يترك شاردة ولا واردة إلا ويسجلها ويحرص على حفظها وقد ساعده على ذلك حدة ذكائه وربما طاعته لربه أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدا، فقد وجدته يسجل المعلومات في منظومات شعرية ويكرر حفظها ويعيدها حتى لا تغيب عنه فالشعر يسهل حفظه عن النثر، وهكذا كان حاله في جميع المواد خاصة التي يتكرر فيها الأرقام وتتعدد فيها المسائل، فهو يهظم الموضوع وينْظِمه، ويحتفظ به لنفسه، ولا يطلع عليه إلا الخاصة.

أما القصة الثانية فهي مع الأخ الأستاذ: زاهر بن أحمد اليامي وهي أن الأستاذ زاهر كان من أصحاب المقاعد الأولى في الفصل، وعندما يُسأل عن إجابته في الاختبار أو في أعمال السنة يتظاهر بالضعف، وعدم الإلمام بالموضوع وهكذا وقد كان صاحب قدرة مميزة وإتقان حسن.

وكان يتتبع أوضاع زملائه وحرصهم على القراءة وفي أحد أيام الامتحانات في السنة الأولى الثانوية كان يقوم بدورة على المساجد ليتعرف على المنافسين وكانت دراستنا أيام ذلك أغلبها في المساجد فالمساجد مفتوحة والتهوية حسنة والكهرباء يومها معدومة، والمسجد مكان مناسب للقراءة فوجد بعض زملائه وقد عاد من أداء الامتحان متأبطاً كتابه للامتحان القادم واعتلى نافذة المسجد يستعد للتحضير للدرس الجديد. فعض أصبعه وقال: والله لقد علمت أنك ستتفوق هذه السنة ولقد لمست ذلك من إجاباتك، وعدم استعجالك في الخروج من قاعة الامتحان وعاد يحث الخطى ويجد السير في تحصيل المادة العلمية التي يقف امتحانها على الأبواب وهكذا كان بقية الزملاء في جدهم واجتهادهم وحسن أدائهم.

كن صقرا!

بعد الحصول على الشهادة الثانوية من المعهد العلمي في صامطة كان لابد من مواصلة الدراسة بالجامعة. وكانت الجامعات في أيامنا تلك لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة والمشهور منها أربع.

جامعة الإمام وكانت تسمى بالرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية وجامعة الرياض والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكلية الشريعة بأم القرى.

ونظراً لظروف الدراسة في المعاهد العلمية فكان الأقرب والأنسب الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية وكان مقرها الرياض فتأهبت للسفر إليه مستعيناً بالله.

وقد كان السفر إلى الرياض يومئذٍ عن طريق جده حيث لا تتوفر يوم ذاك رحلات مباشرة من جازان إلى الرياض، وإذا توفرت فأنا لا أعرف ذلك. وعمري يوم ذاك لا يتجاوز سبع عشرة سنة.

وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، فلقد وجدت وأنا في طريقي بمطار جيزان رفقة صالحة أعانتني على رحلتي التي حملتُ همومها كثيراً، وكان الذي يخطط لي ويعينني ويأخذ بيدي ويشاركني همومي هي أمي رحمها الله وأسكنها فسيح جناته، فكم بذلت وكم دعت وكم سهرت من أجل أن يسلك ابنها مسلك الرجال وكانت تجمع الريـال مع الريـال وتخفيه لتفاجئني في ساعة العسرة (هاك يا بني هذا المبلغ استعن به على أمورك. وكن صقراً). نعم هذا هو المطلب " كن صقراً" فالصقر لا يأكل الجيف ولا ينزل منازل الدون، وإنما هو شامخ دائماً ولا يستوطن إلا في المرتفعات. بعيداً عن مواطن الريب والشبهات.

هذه التربية تصدر من امرأة لم تتعلم في دور التعليم ولم تتلق الدراسة في ردهات الجامعات، وإنما كانت مدرسة الحياة هي التي تصقل ذهنها وتملي عليها مبادئ الفضيلة وأسباب النجاح.

الرفقة الصالحة من أبناء قرية الظبية وجدتهم في مطار جازان وهم الأخ علي بن حسن عريشي رَحِمَهُ اللهُ وأخوه حمد عندما كانا ذاهبين لأخيهم الموظف في مدينة الطائف مهدي حسن عز الدين عريشي صعدنا الطائرة وعزمنا على أداء مناسك العمرة وهي أول رحلة في حياتي أقوم بها خارج منطقة جازان، وأنا أفقه القوم، ومضيف الطائرة لا ينبه يوم ذاك على المواقيت وتجاوزها ولا يذكِّر المسافرين بما يلزم، ونزلنا مطار جده، وتذاكرنا العمرة وما يلزم لها من النية والتخلص من المخيط ولبس الإحرام، وفعلاً عمدنا إلى التجرد من المخيط ولبسنا ثياب الإحرام في المطار وعذرنا أنفسنا بجهلنا ثم أدينا العمرة خلف مطوف استقبلنا عند باب الملك عبد العزيز يرحمه الله. وبعد أداء العمرة اتجهنا إلى الطائف لأواصل بمفردي السير إلى الرياض ويبقى رفاق رحلتي عند أخيهم في الطائف. وقد استقبلنا الأستاذ مهدي بن حسن عز الدين الحارثي استقبال الرجال وأكرمنا وقام بواجب الضيافة وأمسينا لديه نشعر بالسعادة والأنس وفي مساء اليوم الثاني جاء موعد السفر للرياض على متن سيارة صغيرة "شفر" اختارها الأخ مهدي وساوم صاحبها على دفع الأجرة وهي تتسع لستة ركاب عدا السائق وقد كان الطريق معبداً والسير بعد صلاة العصر يستغرق الليل كله لنصل بعد الفجر إلى الرياض.

وكم كانت أعصابي مشدودة في تلك الرحلة، لم أنبس فيها ببنت شفة ولم أحدث أحداً من رفاقي الذين لا أعرفهم إلا تلك الليلة، نعم لم أحدث أحداً منهم وأنا ابن الغربة الذي لم يختلط مع أحد، ولم يصاحب أحداً، ولا يعرف حياة اللهو

ولا المزاح، وكنت أظن أن أي حديث مع هؤلاء الرفاق سيجر عليّ ما لم تحمد عقباه فآثرت الصمت، وتظاهرت بمعرفة كل شيء وكأني أعرف هذا الطريق منذ سنوات لكي لا يعلم القوم أنني جاهل فيستغلوا جهلي، ويسلبوني ما أمتلك من متاع ودراهم. وهكذا خُيِّلَ إليَّ أن أتصرف بعد أن سمعت التحذيرات المتعددة قبل المغادرة من الأهل والأصدقاء من مثل هؤلاء الرفاق.

ومما لا شك فيه أن ذلك السلوك كان ردة فعل لتربية البادية. وما كان ينبغي أن يصل الحذر بالمرء إلى مثل تلك الحالة. ولكنَّ طبيعة الحياة القروية في تحفظها وطبيعة بعض الأسر في محافظتها تدعو إلى ذلك.

وعندما أشرفت على مدينة الرياض هالني يوم ذاك الأنوار العجيبة المنتشرة في الشوارع والطرقات ولم أكن أعرف ذلك من قبل وأنا أدعو يا رب سَلِّمْ سَلِّم متى أصل عند أخي وزملائي سالماً معافى.

وكان أخي الأكبر مني مباشرة السيد علي بن أحمد عبد الفتاح قد سبقني في التخرج وقد سجل في كلية الشريعة، واستأجر بيتاً ووصفه لي وصفاً دقيقاً فلما وصلت الرياض أنزلني صاحب السيارة مع رفاقي في المكان المقرر لنزولنا وعرض عليَّ الخدمة فشكرته، وأخذت متاعي وتظاهرت بالمعرفة والدراية وطلبت "تكس أجره" وكان سعره يوم ذاك ريالين فقط. ووصفت له الطريق شارع المطار - مسجد عثمان بجوار الكلية الحربية. فأوصلني إلى المكان المطلوب ونزلت من السيارة وذهبت إلى باب البيت الذي وصفه أخي فدفعته كأني أعرفه من سنوات، وقد كانت المفاجأة مذهلة لأخي كيف عرفت؟ وكيف وصلت؟ ونسي أنه هو الذي وصف لي الطريق ومكان البيت.

كلية اللغة العربية

عندما تخرجت دفعتنا عام ١٣٨٥هـ من المعهد العلمي في صامطة، ما كان أمامنا خيار إلا في كلية الشريعة أو اللغة العربية في الرياض أو الدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وقد توجه الأغلب لكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض ومن عجب أن يتجه تلك السنة عدد كبير من خريجي المعهد العلمي في صامطة إلى كلية اللغة العربية وهم:

١- الأستاذ/ أحمد بن قاسم الشعبي.

٢- الأستاذ/ سليمان بن محمد قاسم الفيفي رحمه الله.

٣- الأستاذ/ زاهر بن أحمد اليامي.

٤- الأستاذ/ محمد بن إسماعيل رضوان رحمه الله.

٥- الأستاذ/ عبده بن حسين مباركي.

٦- الأستاذ/ حسن بن علي حلوي.

٧- الأستاذ/ هادي بن عباس الحكمي رحمه الله.

٨- الأستاذ/ محمد بن علي بهكلي.

٩- الأستاذ/ العباس بن أحمد عبد الفتاح الحازمي.

وكانت سمعة كلية اللغة العربية لا تحظى بالقبول لدى طلاب المعهد العلمي في صامطة أيام تخرجنا لأمرين، الأول: ما يشاع من صعوبة الدراسة فيها والتعقيد الحاصل في مناهجها الدراسية. والثاني: أن البيئة العلمية المسيطرة على طلاب

المعهد العلمي في صامطة بيئة شرعية، وكأن الخروج عن هذه البيئة خروج إلى شيء غير مألوف علماً أن الكلية في تلك الأيام كانت تدرس التوحيد والحديث والتفسير وكانت مذكرة الشيخ عبد الرزاق العفيفي في العقيدة مذكرة قوية تشتمل على أصول العقيدة، وتَبْسُطُ الكلام فيها بسطاً حسناً.

ويشترك مع كلية الشريعة في تدريس كتاب " أوضح المسالك" وتتفرد بتدريس مادة " الأدب العربي والنقد والبلاغة" ومادة " القراءة".

والذي جعلني أختار يوم ذاك كلية اللغة العربية، حب التجديد. والنفس دائماً مُولَعَةٌ بالجديد، حيث كان جميع مدرسي المعهد من كلية الشريعة وليس فيهم أحد تخرج من كلية اللغة العربية فذهبت مع زملائي لكلية اللغة للبحث عن الجديد ومعرفة ما فيها، ضناً مني أن ما حصلناه من علوم الشريعة في المعهد فيه الكفاية وهو ظن خاطئ والذي رسخه لديَّ عدم وجود توجيه مناسب وعدم إشراف مباشر، وقصور في المناهج التي لا تعنى بالإرشاد الأكاديمي في وقت مبكر.

ومع أنني سجلت في كلية اللغة العربية فلم أشعر بغبن لما وجدت فيها من قامات علمية وعلماء فضلاء عوضونا بعض ما فقدناه عن تسجيلنا في كلية الشريعة، على أن الباب مفتوح لمن أراد أن يتزود في علوم الشريعة أو حتى يسجل للدراسة فيها بعد التخرج من كلية اللغة العربية.

وتعلُّم اللغة العربية يكسب المتعلم قدرة فائقة في استجلاء النصوص ومعرفة مضامينها والاطلاع على أسرار المعاني والتمييز بين ألفاظها. واللغة هي الوسيلة لفهم معاني القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا يمكن لطالب الشريعة أن يحقق كبير فائدة إذا لم يكن متمكناً من اللغة العربية ومدركاً لأسرارها وإذا

استطاع المرء أن يجمع إلى تمكنه من اللغة العربية دراسة علوم الشريعة والتعمق فيها فذلك خير كثير وسيعينه ذلك على تبليغ الدعوة بلغة سليمة ونشرها بين الناس بالطريقة التي تناسب قدرات المتلقين ومستوياتهم ولعله من الخير الذي وهبني الله إياه أن أسجل في كلية اللغة العربية فلقد كان القضاء والعمل فيه بالمرصاد لطلاب الشريعة يوم ذاك وهو باب يخاف المرء من الولوج فيه، فمن ولي القضاء فنسأل الله أن يعينه ويسدد أمره ولقد صدق القائل:

إن نصف الناس أعداء لمن ** وَلِيَ الأحكام هذا إن عدل

فكيف بمن لم يعدل خاصة في هذا الزمان الذي تكال فيه التهم جزافاً دون تثبت أو تروي.

فإذا ركب القاضي سيارة فارهة أو بنى بيتاً حسناً أو تجمل في ثيابه أو تحسن دخله اتهم في أمانته وطعن في عدالته فنسأل الله السلامة والتوفيق ولقد كان العام الذي سجلت فيه مع زملائي في كلية اللغة العربية عاماً عقيماً من القدرات العلمية والمدرسين الأقوياء، فمصر في ذلك الوقت كانت تحت وطأة الناصرية يقودها عبد الناصر بالحديد والنار، والأزهريون لم يتمكنوا من الدخول للجامعات في المملكة للتدريس بها، والخلاف على أشده بين المملكة ومصر، بسبب الأوضاع في اليمن وتدخل عبد الناصر في الأوضاع اليمنية، ووقوفه مع الثورة ودعمه للسَّلال، وقد كان أثر تلك الأحداث على التعليم واضحة في تقص الكفايات العلمية التي تغطي العجز في المملكة، ومع أن المملكة حاولت أن تسد ذلك العجز بالتعاقد مع عدد من السوريين والأردنيين والسودانيين والعراقيين إلا أن ذلك لم يكن بدرجة كافية، وكانت الجامعات السعودية ومدارس التعليم العام والمعاهد بحاجة إلى عدد كبير من المدرسين ليغطي العجز، ويواكب النهضة العلمية المباركة التي تشهدها البلاد في تلك الفترة.

نعم لقد كان العام عقيماً، فالطالب عندما يسجل في الجامعة يتوقع أن يجد من المعلمين وأصحاب القدرات والكفايات من هم أفضل ممن درسوه في مدارسه التي تخرج فيها، وإذا وجد العكس خابت ظنونه، وتراجعت طموحاته وتقلص حماسه، وضعف عزمه.

الوظيفة والانتساب

هذا ما حصل في العام الأول من الدراسة في كلية اللغة العربية الأمر الذي حدا بعدد من الطلاب إلى ترك الدراسة على مقاعدها في الكلية والانتساب للجامعة وطرق أبواب العمل في المؤسسات الحكومية، وكانت أبواب الدولة مشرعة لمن أراد أن يعمل فيها والصحف كل يوم تطالعك بالجديد والعديد من الوظائف التي تبحث عمن يشغلها من الكفايات الوطنية فتسابق عدد من الطلاب للعمل وهجروا مقاعد الدراسة وذلك لأمرين:

الأول: تحسين الأوضاع المادية والتي كان نقصها شبحاً يخيف كل طالب، فالغربة تحتاج إلى مصاريف وليس في مقدور كل ولي أمر أن يعين ابنه على مصاريف الدراسة، والمكافأة غير مجزية، فلا تقوم بحق السكن والمطعم والمشرب والملبس، وليس هناك إسكان يأوي إليه الطلاب المغتربون.

الثاني: عدم قدرة المدرسين العاملين في تلك الفترة على جذب اهتمام الطلاب واكتسابهم، فلطالما دخل الطلاب مع مدرسيهم في معارك كلامية نتيجة الضعف العلمي عند المدرسين وعدم إقناعهم للطلاب بما لديهم من رؤى وأفكار.

والطالب في المرحلة الجامعية يحتاج إلى قدرات معينة تشبع رغبته وتروي نهمه وتثري تطلعاته بكل نافع ومفيد خاصة أنه في مرحلة عمرية شديدة التأثر بكل ما يراه وبكل ما يسمعه وهي مرحلة المراهقة المتأخرة.

وقد كان قدر كاتب هذه الأسطر أن يكون واحداً ممن تركوا مقاعد الدرس وخرجوا للعمل في ديوان الخدمة المدنية، وزارة الخدمة المدنية حالياً. والذي رغَّب

إليَّ ذلك أحد زملائي القادم معي من معهد صامطة حيث سبقني للتسجيل في الديوان مع زميل آخر ونجحا في امتحان المسابقة وأصبحا موظفين، فقد أطلعني على الإعلان الجديد الذي يرغب فيه الديوان شغل عدد من الوظائف في المرتبة السابعة يوم ذاك فتقدمت كغيري وقدمت أوراقي ومستنداتي وسابقت ونجحت في المسابقة. ومن عَجَبٍ أنني كنت الأول على المتسابقين الأمر الذي أعطاني فرصة الاختيار للوظيفة المناسبة.

وقد عملت في ديوان الخدمة المدنية سنتين تنقص قليلاً استفدت منها كثيراً من الخبرة والصداقة وتنوع المعارف والانفتاح على المجتمعات وخسرت شيئاً من التلقي مع زملائي على مقاعد الدرس. فالعلم بالمذاكرة والتلقي، والكتاب وإن كان يسد بعض النقص إلا أن العلم يُدرك بلسانٍ سؤول وقلبٍ عقول.

وقد لمست ذلك عيانا بيانا عندما عدت لمقاعد الدراسة في السنة الثالثة في كلية اللغة العربية عندما قدمت استقالتي حين قيل لي إنك لو تخرجت من الكلية منتسباً سيفوتك قطار التعليم وتبقى موظفاً إدارياً، ففضلت عند ذلك الاستقالة وعدت إلى الدراسة في الكلية وقد وجدت الفرق بيني وبين زملائي كبيراً. ففي العامين الذين أمضيتهما بعيداً عن مقاعد الدراسة وجدت الفرق الكبير بين طالب يتلقى من معلمه مباشرة وبين طالب آخر معلمه كتابه، فمهما كانت المناهج بسيطة، والمعلم مستور الحال وأنت تسمع منه مباشرة وتناقشه، فذلك أفضل بكثير من انفرادك بالكتاب وتتلمذك عليه. فحياة العلم المذاكرة.

الحج

الحج رحلة روحية ومؤتمر عالمي لم تدع إليه هيئة سياسية، أو مؤسسة حكومية، أو منظمة عالمية، أو حزب حاكم، أو شركة سياحية. وإنما الذي دعا إليه رب البشرية، على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام عندما قال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾[الحج: ٢٧].

وصاحب هذه المذكرات بعد حصوله على الوظيفة في ديوان الخدمة المدنية أصبح يرى أن أداء الفريضة في حقه واجبٌ وإن كان عمره لم يبلغ العشرين، وقد عرضت على الشيخ الفاضل رحمه الله محمد بن حسن الحازمي رغبتي في أداء هذه الفريضة عام ١٣٨٧هـ فاستحسن ذلك وعزم على الرفقة، ورفقة مثله لا تمل، والرحلة معه رحمه الله لا تزيدك إلا ثقة به وفقهاً في دينك، وأنساً في سيرك.

وقد سهل الله اصطحاب رجلين صالحين أحدهما زميل له رحمه الله هو الشيخ الفاضل أحمد بن عبد الرحمن الضمدي، والثاني محمد بن علي طماح الحازمي. وقد كانت الأمور ميسرة والرحلة سهلة لا تحتاج إلى تراخيص ولا كبير عناء ولا سيارة مكيفة ولا شيء مما يحرص الناس اليوم على تهيئته في رحلاتهم للحج.

والذي جعلني أسجل هذه الرحلة لأنها الأولى بالنسبة لي وزملائي، وقد أدينا أغلب المناسك فيها مشياً على الأقدام، وما كنا نعاني من تعب ولا إرهاق ولم يكن هناك زحام شديد يعوق سيرنا، ويعطل حركتنا ومن أجمل الصور التي واجهناها في هذه الرحلة المباركة لقاء عدد من أهلنا من حجاج بلدة الظبية وجدناهم ونحن ندخل من باب السلام وهم متجمهرون في نقطة على يمين باب السلام فاستقبلنا أهلنا بالحفاوة والترحاب، وقد بدت علينا مظاهر الراحة ومخايل

النعمة ففزع القوم جميعاً لاستقبالنا، وقد كان يجلس بجوار أصحابنا عدد من حجاج المشرق لا أدري إن كانوا من تركيا أو إيران أو الهند فلما رأوا حفاوة الاستقبال من أصحابنا ظنوا أن القادمين ممن يتبرك بهم وأنهم أصحاب شأن، فقاموا مع أصحابنا يبادلوننا التهاني بالحج ويتمسحون بنا، ويرددون عبارات لا نفهم معانيها. فحمدنا الله على نعمة العلم، وصحة المعتقد، وأشرنا إليهم أن هذا المكان الكل فيه يتضرع إلى الله وحده، ويرجو ما عنده، والناس فيه سواسية لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح وعلى الجميع أن يتجهوا إلى ربهم لطلب ما يقربهم إليه ويستفيدوا من أفضلية الزمان والمكان ويعملوا على مضاعفة العمل وزيادة الإحسان لعل الله يتقبل دعاءهم ويغفر ذنوبهم ويعتق رقابهم من المعاصي والآثام.

ولا تسل عن يوم عرفة وليلة مزدلفة ورمي جمرة العقبة، ويوم النحر، وكيف كنا نتناوب على حمل الأمتعة الخفيفة وماذا كان يحمل كل واحد. ولا زلت أذكر أن نصيبي من الأمتعة الجريد الذي كنا نغرسه في الأرض، ونضع فوقه اللحف، ونستظل تحته من حرارة الشمس في عرفة وفي أيام منى. وكان على كل واحد من الرفقة أن يحمل من الأمتعة ما يتناسب مع قدرته وطاقته.

وأذكر أننا لم نستقل سيارة في طول الطريق وعرضه، لا في خروجنا من مكة إلى منى وعرفة ولا أثناء عودتنا من عرفة إلى مزدلفة ومنى ومكة المكرمة، وكنا نشعر بالغبطة والسعادة. ولم يكن الزحام شديداً كما هو الحال في مثل هذه الأيام.

نسأل الله أن يتقبل حجنا، ويغفر ذنوبنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، ويحسن ختام من بقي من رفاق رحلتنا. إنه سميع مجيب الدعاء.

العود أحمد

وبعد العودة من رحلة الحج كانت هناك عودة إلى مقاعد الدراسة، والذي يعيش فترة من الزمن على كرسي دوار، وأمامه ماصة تُلمّع يومياً، وتقدم له الخدمات، ويمارس بعض السلطة، يصعب عليه أن يعود إلى مقاعد الدراسة، إلا إذا مارس على نفسه الضغوط، وكبح جماح الهوى، وحكَّم العقل والمصلحة، وذاك ما حصل ولله الحمد والمنة.

ولما تمت العودة إلى الكلية كانت الكلية تعج بعدد من القامات العلمية القادمة من الشام ومصر، وهي في أوج عطائها، واستواء عودها، واكتمال تجربتها، وكان على رأس الهرم في الكلية معالي الدكتور الهمام عبد الله بن عبد المحسن التركي حفظه الله ورعاه، حيث كان يومها عميداً لكلية اللغة العربية، والدكتور عبد الله صاحب همة عالية، ورؤية واضحة، وتجربة ناضجة، طموحاته غير محدودة، وقدراته غير معدودة.

ولقد خطا بالكلية خطوات موفقة، ظهرت آثارها على اختيار أعضاء هيئة التدريس في الكلية، وتمكينهم من العمل، وفتح المجال أمام كل واحد منهم ليقدم رؤيته، ويستفيد هو من تجارب الجميع، ويبدأ من حيث انتهى الآخرون، وإذا استطاع القائد أن يوائم بين التجارب والخبرات القادمة من أماكن متعددة، ويختار الأفضل منها، ويقدم الأحسن، فذلك دليل النجاح، ومصداق الوعي وحسن الأداء.

وما أظن معالي الدكتور التركي في حاجة إلى شهادتي، فأعماله وجهوده والآثار التي تركها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفي وزارة

الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد شاهدة على أن الرجل ينطلق من رؤية بعيدة المدى، واضحة الأهداف.

نعم: لقد كانت الكلية (كلية اللغة العربية) تعج بعدد من القامات العلمية القوية ويأتي في مقدمة تلك القامات من السعوديين الدكتور محمد بن عبد الرحمن المفدى، والدكتور محمد بن سعد بن حسين، ومن الشام سعادة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رحمه الله، والدكتور عبد القدوس أبو صالح، والدكتور أحمد توفيق كليب، والأستاذ عمر عودة الخطيب، والأستاذ عبد الرحمن النحلاوي، والأستاذ عاصم بهجت البيطار، ومن مصر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور محمد رجب البيومي، والدكتور محمد شاهين، والدكتور محمد عبد الخالق عظيمة، والدكتور محمد كامل الفقي، والدكتور أحمد الحجار وغيرهم.

الصحبة والصداقة

الصحبة والصداقة عاطفة سامية القدر، ونعمة غزيرة المآثر، وتترقى الصحبة بين أهل الخير والفضل حتى يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وإذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فتشبث بها، فلقاء الإخوان جلاء الأحزان، والمرء إذا كثر أصدقاؤه كانت ألسنتهم داحضة لما يرمى به من مزاعم، وأيديهم واقية له من الأذى، وما يدفع الحسد والعدوان بمثل الاستكثار من الأصدقاء، فهم عماد إذا استنجدتهم، وظهور إذا احتجتهم.

وميزان الإنسان أصدقاؤه، فمن صاحب الفساق والمبتدعة تسابقت إليه الظنون وإذا صاحبت قوما فاصحب منهم الأخيار، أولي التقى ولا تصحب الأردى فتشقى مع الردي.

إن من نعم الله على عبده في دنياه أن يهبه صديقاً مخلصاً لطيف القول، غزير العلم قليل المخالفة، كثير الموافقة، عظيم المساعدة، كتوم السر، كثير البر، صادق الأمانة، مأمون الخيانة، كريم النفس، حسن الاعتقاد، صادق الوداد، سهل الانقياد، واسع الصدر، جميل الصبر، باذل النصيحة، ساتر القبيحة، إن غبت عنه عذرك، وإن أقبلت إليه قبلك، لا ينم بسريرة، ولا يظهر خبيئة، لا يسأل عما ووري عنه، ولا يتكلم فيما حجب عنه، لا يدخل على أحد في حديثه ولا يتطلع إلى قارئ في كتابه، ولا يقطع على متكلم كلامه، يجمع بين طلاقة الوجه وحسن التودد، وقضاء الحوائج، لا تخشى بوائقه، ولا تختلف طرائقه. هذه صفات ونعوت إذا ظفرت بها أو بكثير منها في صاحبك فاحفظ وده، وارع حقه، وقم على مصالحه، وحافظ على صحبته، إذا دنا منك رحبت به، وإذا جلس عندك

وسعت له، وإذا حدثك أقبلت عليه، وإذا غاب دعوت له، وحفظته في أهله، إن كان شاهداً زرته وإن كان مريضاً عدته. هذه بعض صفات الخل الوفي، وهذه بعض مزاياه، وما ينبغي أن يقابل به، وما يلزم للحفاظ على صحبته.

أضع هذه المقدمة بين يدي حديثي عن الصحبة والصداقة لما للصحبة من أهمية في حياة الناس. فالمرء على دين خليله، والجليس الصالح كحامل المسك والجليس السوء كنافخ الكير، وفرق كبير بين الجليسين، والطالب الذي يُقْبِلُ على الدراسة الجامعية في أرض الغربة، بعيداً عن أهله وأسرته، ينفتح على مجتمع لم يتعود الجلوس معه، ولم يعرف شيئاً من تقاليده وعاداته، وأسراره، وحريّ بكل طالب ينتقل من التعليم العام إلى التعليم الجامعي أن يكون حصيفاً في اختيار الأصحاب، وانتقاء الأصدقاء. فما كل من يبتسم لك صادقاً في ابتسامته، ولا كل من تودد إليك مخلصاً في وداده.

أقول هذا من خلال تجارب عرفتها، وغُصَصٍ تجرعتها. وإذا كان الطالب من أسرة عريقة، وسلالة كريمة، فالمحبون له كثير، والخاطبون لوده عددهم وفير فليحذر المتخرج الجديد من المرحلة الثانوية. ولا يصاحب إلا مؤمناً، ولا يؤاكل إلا تقياً.

وكم من الطلاب ممن انتقلوا إلى المراحل الجامعية لمواصلة الدراسة وجدوا من أصحاب السوء من قادهم إلى موارد الهلكة، ومواطن الرذيلة فلا هم واصلوا الدراسة ولا هم اكتسبوا الفضيلة. وذلك بسبب بعدهم عن الإشراف المباشر، واغترارهم بالصاحب الغادر.

أقول هذا وقد عانيت ممن أظهر المحبة، وطلب الصحبة، وكنت أظنه صادقاً في وداده، مخلصاً في أهدافه ومراده، وما أن بلوته حتى تكشف لي منه الطمع،

وشدة الحرص والهلع. وقد قيض الله لي من المحبين من محضني النصيحة، وأوقفني على المشورة الصريحة، والطريقة الصحيحة دون معاناة تذكر أو أخبار تذاع وتنشر.

وجزى الله الشيخ محمد بن حسن الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خيراً هذا الرجل الذي لم يدخر شيئاً من وسعه إلا بذله من أجل إخوانه وزملائه ومحبيه وأصدقائه، وهو يبذل النصيحة أحياناً بالابتسامة، وأحياناً بالإشارة، وأحياناً بالتعليق اللطيف، وربما بالصمت الطويل. المهم أن الرجل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوتي الحكمة في علاج كثير من قضايا الشباب فجزاه الله خيراً على ما قدم ورفع درجته في عليين.

وقد كان نعم الصديق الصدوق، والخل الوفي الذي يؤثر على نفسه أحياناً ويقدم مصلحة صديقه على مصلحته الشخصية، وإن أنسى لا أنسى يوماً لقيني فيه في حديقة البلدية بمدينة الرياض. ومعي صاحب من أصحاب المصالح وقد رمقني من بعيد، ولم يثرِّب عليّ، ولكنه تابع وضعي مع ذلك الصاحب وشاركنا في صحبتنا حتى تخلصنا منه، وابتعدنا عنه. فلله دره من مربٍ ناجح، وزميلٍ وأخٍ وصديق ناصح.

رحلة أسرية للرياض

في عام ١٣٨٨هـ عزم أخي الكبير السيد محمد بن أحمد عبد الفتاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أداء نسك الحج، ولا أدري إن كانت الحجة الأولى أم أنه قد حج قبل ذلك، وعندما همّ بالحج حرصت الوالدة رحمها الله على مرافقته، وقد رحب بذلك وهيأ كل الوسائل الميسرة للحج، وكان الأخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمتع بروح مرحة وشخصية قيادية يحفظ الكثير من الأشعار والأخبار، ويحسن المسامرة والمذاكرة، ويثري المجلس الذي يحضره، ويقدم الخدمة لأهله وأصحابه وعشيرته بنفس راضية، لا تفارق الابتسامة شفتيه، ولا يجد الجالس معه سأماً ومللاً بين يديه.

وقد رافقه في تلك الرحلة عدد من الأقارب والأرحام، وبعد أن أدّى مناسك الحج بدا له أن يزور الرياض، وقد طلبت إليه الوالدة أن ترافقه في تلك الزيارة لترى ولديها علي والعباس المقيمين في الرياض. وقد كان العباس موظفاً في ديوان الخدمة المدنية وعلي طالباً في كلية الشريعة. وكم كانت الفرحة والسعادة والأنس بتلك الزيارة التفقدية، والتي سيطلع من خلالها أخي وأمي على سير حياتنا، وطريقة تعاملنا، ونظام عملنا، وسيتحول معها بيتنا من بيت عُزاب إلى بيت فيه أهله وذووه من العوائل.

كان الأخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ موظفاً في أمارة جازان وله العديد من الأصدقاء في الرياض وغيرها، وكانت له مراجعة في وزارة الداخلية وقد سعدت بمرافقته في زيارة عدد من أصحابه وأصدقائه، ولا زلت أذكر بعض الوصايا التي سمعتها من بعض أصحابه، ومنهم الأستاذ الفاضل محمد العابد بن إبراهيم قلم يحفظه الله وقد كان يوم ذاك موظفاً في سلاح الطيران. في الإدارة المالية. وقد أعدّ لنا عشاء

حسناً وجلس يتذاكر مع الأخ محمد ذكريات الصبا، والعمل في صبيا، ويتحدث عن الاجتماع بين الإخوة والتعاون بينهم وأثر ذلك على وحدة الصف واجتماع الكلمة ولمّ الشمل والعزة والتكامل، وكان الأخ العابد ثالث ثلاثة أخوة هم/ حسن وعبدالله ومحمد، وكان يلوّح للأخ محمد وهو خامس خمسة إخوة ذكور يلوّح له بأنك ينبغي أن تستفيد من إخوانك وتلم شملهم وتجعلون يدكم واحدة وأمركم شورى بينكم وتصدرون عن قيادة موحدة، وقد كان له ما طلب فهو منهج الأسرة منذ فارقت مؤسسها رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد تعرض الأخ محمد في هذه الرحلة لوعكة صحية أقعدته أياماً، ونغّصت علينا جمال الرحلة ومتعتها، وقد لمست من خلال متابعتي لعلاجه والإشراف على تمريضه حرصه رَحِمَهُ اللَّهُ على أولاده ووصيته بهم، وسألت الله أن يرفع ما نزل به من ضر ويعيده إلى أولاده سليماً معافى وقد كان له ذلك والحمد لله.

أما الوالدة رحمها الله فقد عجبت لحرصها ومتابعتها لأبنائها، فهي لم تكتف بالرسائل التي نبعثها بين فترة وأخرى لنطمئنها على حالنا وأوضاعنا فقد رغبت أن تطمئن على حال ولديها اللذين غابا عنها منذ فترة ولم يعودا من قريب. وهي عندما تقوم بهذه الزيارة تود أن تقف مباشرة على سيرة ولديها، وعلاقتهما بالآخرين، وتعاملهما مع المجتمع المحيط بهما ومدى نجاحهما في الدراسة وحرصهما على ذلك.

وهي عندما تستقرئ الوضع لا تتعامل مع ما تراه بأسلوب فج وطريقة جافة، لا، بل تشير برفق ولين إلى ما ينبغي عمله وما يلزم فعله، وهي عندما تسلك هذا المسلك التربوي العالي في التوجيه والإرشاد لا تصدر عن قراءة ولا تعليم، ولكنها فطرة سوية وهبها الله إياها، ومنحها لها فكان عملها موفقاً، وأثرها واضحاً.

وقد كان هذا المنهج في التعامل مرافقاً لها في كل شؤون حياتها، فهي تشير عليك ولا تلزمك، وتحسِّن الأمر بين يديك ولا تكرهك، وتدعو الله لك في الهداية والتوفيق، وسلوك سبيل الصالحين. نسأل الله أن يتغمدها بواسع رحمته، ويسكنها فسيح جنته، ويعلي درجتها في الجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

علماء كلية اللغة العربية

لكل منشأة أو مؤسسة أو إدارة رجال يعرفون أهدافها ويدركون مراميها ويرسمون توجهها، ويخططون لمستقبلها ويعملون على تحقيق ذلك بشتى الوسائل ومختلف الطرق.

وكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية واحدة من المؤسسات العلمية التي وفقت أثناء قيامها لعدد من الرجال الذين تولوا إعداد الخطة الدراسية ورسم المناهج العلمية، وتحديد الأهداف التي ترمي إليها رسالة الكلية انطلاقاً من رسالة الجامعة الكبرى. والتي قامت لتعليم الجيل لغة القرآن الكريم، وتبصيرهم بالتراث الذي يخدم هذه اللغة، وإحيائه بالدراسة والبحث والنشر والتحقيق.

ولابد وهي تحرص على تحقيق مثل هذه الرسالة، لابد لها من رجال، رجال يحملون مسؤولية العمل، ويعرفون أهميته، ويدركون الوسائل التي تؤدي إليه بيسر وسهولة، وكان في مقدمة أولئك الرجال الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي حفظه الله ورعاه. وقد استطاع الدكتور التركي أن يستقطب من الرجال ويوظف من الطاقات من يعي رسالة الجامعة ومسؤولية الكلية ودورها في إحياء التراث ونشره بعد تحقيقه ليغدو قريباً في متناول طلاب العلم ومحبي المعرفة، وناشدي البحث العلمي الرصين.

والأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رحمه الله، وقد كان رحمه الله باشا اسماً على مسماه، رجلاً آتاه الله بسطة في العلم والجسم، صاحب خلق رفيع، ونظام في التعامل بديع، وهو صاحب منهج مع طلابه لا يتخلف. إذا قرع الجرس إيذاناً

بدخول الدرس حمل حقيبته ووسائله ودخل المحاضرة، ولا يسمح بدخول أحد بعده مهما كان حاله. ولهذا تجد الطلاب يتسابقون لدخول حصته قبل موعد دخوله، فلا يدخل الفصل إلا وهو ممتلئ بالطلاب. وهو عندما يراهن على مثل هذا العمل، يعلم جيداً أن الطالب الذي يفوته درسه يفوته خير كثير ولن يعود لمثل ذلك، والطالب يعلم جيداً أن خسارته كبيرة، ولهذا لا يتخلف عن الحضور إلى محاضرته إلا ضعيف الهمة، قليل العزيمة عاثر الحظ، وهو بهذا العمل يربي الطلاب على احترام المادة، واحترام المعلم، والحفاظ على الوقت، والتزام النظام فهو معلمٌ قديرٌ ومربٍ فاضل.

وإذا بدأ يقرر الدرس جعل من السبورة لوحة جمالية بما يسطر عليها من أفكار ناصعة، ومعلوماتٍ نادرة، لا يقدر على عرضها إلا هو وأمثاله ممن يقودون الجامعة إلى مصاف الجامعات العريقة على مستوى العالم. ولقد كان يتسابق بعض طلاب الشريعة على حضور درسه، والاستفادة من عرضه مؤثرين ذلك على محاضراتهم وتخصصاتهم الشرعية.

والأستاذ الدكتور عبد الرحمن الباشا رَحِمَهُ اللَّهُ فوق أنه مدرس ناجح ومربٍ فاضل من الطراز القليل الذين جادت بهم الدنيا هو صاحب عاطفة رقيقة وصاحب خلق نبيل. والذي يقرأ كتابه صور من حياة الصحابة، وصور من حياة التابعين يلمس أثر كتابته على سلوكه، فلقد استفاد مما قرأ وكتب ولقد انعكس أثر تلك الصور على نهجه وتعامله، وهنا أذكر بعض كلماته التي لا زالت ترنُّ في سمعي رغم طول العهد وهو يودعني في لقاء جمعني به رَحِمَهُ اللَّهُ قبل وفاته " يا بني لا تنسانا من صالح الدعاء" نسأل الله أن يتجاوز عنه ويعامله برحمته ويعلي درجته في الجنة مع عباده الصالحين جزاء ما قدم إنه سميع مجيب الدعاء.

ومن القامات العلمية التي كان لها أثر واضح ودور بارز في كلية اللغة العربية الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح وهو صديق حميم للدكتور عبد الرحمن الباشا، وقد كان أبو صالح يقرر علينا مادة الأدب العربي "في عصر بني أمية والعباسيين" والباشا يقرر علينا مادة النقد الأدبي.

وكانا فرسي رهان تخرجا من جامعة دمشق وواصلا الدراسة العليا في الأزهر الشريف، والشيخان ينطلقان من مدرسة فكرية واحدة لا تعرف غير الجد والمثابرة، وتحفيز همم الطلاب، وصقل مواهبهم ودفعهم بقوة للبحث والقراءة الجادة، واكتساب المعارف من خلال الاطلاع على كتب التراث، ومعرفة ما فيها من كنوز، والتعامل معها كمصادر تتم العودة إليها عند البحث.

وكنا نتعلم من الأستاذ عبد القدوس أبو صالح احترام الكبير من الزملاء وتقديره، وإجلال أهل الفضل، وإعطاءه حقه. فمع أنه زميل للدكتور عبد الرحمن الباشا إلا أنه كان يجله، ويثني عليه كثيراً، ويعترف له بالفضل وعلو الكعب، ولا يتبرم من ذلك، ولم نلحظ في يوم من الأيام عليه شيئاً من المنافسة التي تكون عادة بين الأقران، كلا بل لمسنا روح الأخوة الصادقة، والمحبة الإيمانية التي يتحلى بها، ويتعامل بها مع زميله.

وقل مثل ذلك مع بقية أعضاء هيئة التدريس القادمة من الشام، فقد كانوا نجوماً تضيئ سماء كلية اللغة العربية، فتهدي الحائر، وتنير البصائر، وترفع الجهل عن الكواهل. فجزاهم الله خير الجزاء لقاء ما قدموا من جهد مشكور، وعمل صالح مبرور، وأرجو أن ينالهم من أبنائهم الطلاب ممن تعلموا على أيديهم واستفادوا من تربيتهم الدعاء المبرور بظهر الغيب فهو دعاء مستجاب كما ورد بذلك الأثر، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أما أعضاء هيئة التدريس القادمون من أرض الكنانة المشاركون في توجيه مسيرة الدراسة في كلية اللغة العربية فهم كثير ويأتي في مقدمتهم الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والأستاذ الدكتور أحمد الحجار، والدكتور محمد شاهين، والدكتور محمد عبد الخالق عظيمة، والدكتور محمد كامل الفقي، والأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي.

وهي كما ترى أسماء لامعة وقامات عريقة تنقلت في عدد من الجامعات واستفادت الكثير من الخبرات ثم جاءت لتصبّ ما حصلت عليه من تجارب بين يدي هذه الكلية فتعطيها خلاصة التجارب وتدفع بها لتكون منارة في هذه البلاد وفي بلاد العالم الإسلامي.

وهنا أذكر بعض المواقف التي شهدتها مع بعض هؤلاء العمالقة:

أما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فقد كان مشهوراً بالبساطة، ودماثة الخلق والتواضع الجم وهذه شيمة العلماء (ومن تواضع لله رفعه)، وما كان يبخل على طلابه بشيء مما يعرف ويسير بينهم كواحد منهم رغم فارق القدر والعمر.

وكان الأستاذ الحجار وهو مدرس مادة البلاغة " للقزويني" وهي مادة جافة يتعامل مع طلابه كما لو كانوا لا يعرفون أبجديات علوم البلاغة فهو يبسطها لهم ويقربها لأذهانهم ويعيد ويكرر حتى يقرب المعلومة لأضعف طالب في الفصل وأقلهم إدراكاً لهذا الفن، وما ذلك إلا لحرصه على أداء مادته وقيامه بالواجب في نشر العلم في صفوف طلابه.

أما الدكتور محمد شاهين وهو مدرس مادة "النحو" أوضح المسالك، فلله هو من رجل صاحب سمت فاضل وخلق حسن نبيل وأدب جم وعلم غزير، وحفظ لكتاب الله، وحسن استشهاد به وهيئة تفرض عليك احترامها وتقديرها هكذا كنت أفهمه.

ولقد كان الأستاذ الفاضل عميد كلية اللغة العربية بالأزهر الدكتور محمد كامل الفقي مدرس مادة الأدب العربي صاحب لغة راقية وقلم سيّال وعبارة تأسرك أسراً وتشدك للقراءة وهو صاحب نكتة لطيفة وشاعر فحل.

البحوث والتعرف على طريقة البحث

لم تكن مادة البحث مقررة على طلاب الكليات، ولم تكن معروفة من قبل، وكان الطالب يلمّ بالمواد المقررة ويقدم فيها الامتحان، وإذا تجاوزه منح الشهادة العالية، وذهب يمارس مهام عمله سواء في التدريس أو الإدارة أو القضاء وهكذا..

ولما تولى الدكتور عبد الله التركي عمادة الكلية وهو كما تحدثنا صاحب رؤية واضحة وأهداف سامية أدخل هذه المادة ضمن الخطة الدراسية، فكان على كل طالب قبل أن يتخرج من الكلية أن يقدم بحثاً حسب التخصص والموضوعات التي تطرحها عمادة الكلية، وقد كانت العمادة تطرح عدداً من الموضوعات وتعهد إلى بعض المشائخ بالإشراف عليها وتوجيه الطلاب بالكتابة فيها، وهذا العمل أوجد إذا صح التعبير " ثورة علمية رائدة" حيث هب جميع الطلاب لزيارة المكتبات والتعرف على كتب التراث وتقليب الصفحات والقراءة وجمع المادة العلمية من هنا وهناك، وظهرت مواهب، وتفتحت قرائح، ووجد التنافس بين الطلاب وتبادل المعلومات، وانتشرت على ضوء هذا الحدث الجديد المكتبات التجارية، وتم استقدام أمهات الكتب من المكتبات العالمية، وشهدت الكلية نهضة علمية وبحثية غير مسبوقة.

وقد أحسنت الكلية صنعاً عندما أدخلت مادة البحث في خطتها الدراسية وأسندتها إلى مدرس متخصص؛ ليتعرف الطالب على المراحل التي يسلكها في إعداد بحث علمي أو تحقيق مخطوط أو عمل دراسة لموضوع معين، وهذه المرحلة من عمر الكلية تحتاج إلى باحث يتتبع خطوات التطوير ويسجل كل شاردة

وواردة بأمانة علمية. ورؤية تفصيلية، تكشف عن بداية الفكرة وكيف تمت دراستها ومن هم رجالها، وما الوسائل التي سلكتها الكلية حتى استطاعت إقناع الطلاب بالمشاركة في هذا العمل، وما الأبحاث التي نجمت عن هذا العمل ومن هم رجاله، وهل يمكن تسليم البحوث الجيدة لأصحابها ليقوموا بتطويرها والإضافة عليها وإعادة إخراجها من جديد. إذا تم ذلك فستجني منه الكلية ثماراً حسنة، وتجربة رائدة جديدة أهم مقوماتها:

١- التواصل بين الكلية وأبنائها القدامى.

٢- نشر ثروة علمية غير قليلة ليستفيد منها الجيل المعاصر.

٣- رصد نشاط الكلية وتطويرها خلال فترة من الزمن.

التخرج من الكلية والزواج

من توفيق الله للمرء أن يهيئ له أسباب النجاح، ويعينه على تحقيق مطلبه في الدنيا، والنجاح في الدراسة خطو حسنة، ولكن الأهم منها أن ينجح المرء في حياته بتحقيق مرضاة الله، والتمسك بشرعه، والسير على هدي نبيه ﷺ، هذا هو النجاح الأهم، أما الحصول على درجة علمية معينة فهذا أمر يستوي فيه عامة الناس، وقد يكون في الحصول على هذه الدرجة استدراج لبعض الناس فيغتر بما حصل عليه وتزل به القدم وهذا لعمر الله الخسران الواضح والهلاك المبين، فالذي يحصل على الدرجة العلمية يكون له أتباع بحكم مركزه وتأثيره، وهؤلاء الأتباع يقلدونه فيما يأتي ويذر فإن هو سار نحو الجادة السليمة فاز وكتب له فوز أتباعه معه، وإن هو لا سمح الله مال مع الهوى وغرته نفسه الأمارة بالسوء وحاد عن الجادة هلك وكتب عليه هلاك من تبعه «**من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كتب عليه وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص من أوزارهم شيئاً**».

وما أجمل أن تتبنى الجامعات دورات خفيفة يشرف عليها رجال صالحون لكل متخرج وموظف جديد قبل أن يدلف الموظف إلى عمله تذكره هذه الدورة بواجبه ومسؤولياته وما يلزم له من حسن التعامل وجميل الأداء، حتى يقبل على العمل وقد وعى وأدرك أنه جزء من هذا المجتمع يشارك في البناء ويتولى تصحيح المسيرة خاصة في ضل إعلام اليوم الذي اختلط فيه الحابل بالنابل وأصبحت القنوات والشبكات العنكبوتية تضخ ما هب ودب دون أن تميز بين الغث والسمين والصالح والطالح.

وقد لمست أن هناك عدداً من الشركات والمؤسسات غير الحكومية قبل أن تمكن من قامت بتعيينهم من أعمالهم تعقد لهم دورات لمدة أسبوع أو أسبوعين توضح من خلال هذه الدورة للموظف الجديد أهداف المؤسسة ورسالتها وطبيعة العمل فيها والأخلاق التي ينبغي أن يتعامل بها مع الجمهور.

والمؤسسات الحكومية في نظري أولى عن غيرها خاصة المؤسسات الخدمية كالمستشفيات الحكومية والبلديات والأحوال المدنية والكهرباء والشرطة... الخ.

أعتذر للقارئ الكريم من الخروج على النص ولكنها سوانح علقت بالذهن فأودعتها هنا كفاصل يبعدك عن السرد الممل ثم أعود لأسجل كيف بدأت حياتي الجديدة بعد الاقتران بشريكة العمر.

الزواج في الإسلام سنة وهو نصف الدين للأثر الذي يروى عن رسول الله ﷺ: **«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر»**. به يحصل غض البصر وتحصين الفرج والذرية وليس من الضرورة أن يكون المتزوج ذا مال كثير وبيت كبير والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وكلما خفَّت مؤونة الزواج كانت البركة مصاحبة له، وهذا ما حصل ولله الحمد، فقبل أن أستلم عملي مدرساً بالمعهد العلمي في تبوك، استلمت وثيقة التخرج وعدت إلى أهلي أبشرهم بالنجاح فكانت المكافأة "زوجة صالحة" إن شاء الله تختارها الأم وأوافق عليها ونقترن وأعود للجامعة لأستلم قرار التعيين وأباشر مهام عملي في ٢٨/ ٨/ ١٣٩٠هـ.

تبوك

مدينة تبوك هي المدخل الشمالي للمكلة العربية السعودية وهي مدينة قديمة اشتهرت في عهد الرسول ﷺ عندما غزا الروم في شمال الجزيرة العربية "غزوة تبوك" وقد ظهرت للرسول ﷺ في تلك الغزوة معجزات.

يسكن المدينة عدد من القبائل العربية وهم: قبائل بلي وبنو عطية، وعنزة، والشرارات، والحويطات، وجزء من شمر، وبني عقبة، والروكة وبنو صخر والرشايدة.

ومدينة تبوك لا تبعد إلا كيلوات معدودة عن الحدود الأردنية وجوها صحراوي معتدل يقرب من جو البحر الأبيض المتوسط بارد في الشتاء حار جاف في الصيف وهي أرض منبسطة، المياه فيها جوفية بعيدة لا سطحية، وقد كانت تظهر على سطح الأرض إذا عمق الحفر فيها.

وعندما كثرت المزارع وانتشرت، وتعدد حفر الآبار احتاج المزارعون إلى مكائن لسحب المياه الجوفية من الأرض. وقد كنت تسير المسافات الطويلة في أرض تبوك لا تجد شجراً ولا ظلاً تستظل به، وبعد الطفرة التي شهدتها المملكة أصبحت تبوك قطعة من أرض الشام لكثرة المزارع وتنوع حاصلاتها.

فلا تسير مسافة إلا وتجد مشروعاً زراعياً غزير الثمار عالي الإنتاج للتقنية العالية التي رافقت المشروعات الزراعية في تبوك.

ومدينة تبوك تعتبر خط الدفاع الأول عن حدود المملكة العربية السعودية من الشمال، وقد أقيمت فيها قواعد عسكرية، وللجيش فيها مدينة حديثة وبها

عدد من ألوية الفرق العسكرية وخاصة المظليين، والجيش حيث ما حل تتنوع موارد المدينة التي يحل بها وتنمو بسرعة.

وقد كان أهل تبوك يشتغلون بالرعي وبعض التجارة، ويتتبعون في رعيهم مواطن الكلأ فيتنقلون من مكان لآخر بحثاً عن المراعي لماشيتهم، وعن مصادر المياه لسقي حلالهم. ويسكن كثير منهم الخيام في البراري أغلب أيام السنة وإذا توقفت الأمطار ونزل البرد عادوا إلى مواطنهم الأصلية. وأماكن تجمعاتهم المعروفة وهي حقل، وحالة عمار، وضباء، والوجه، وأملج، وتيماء، والبدع.

العمل الميداني

صدر قرار تعييني مدرساً للغة العربية في المعهد العلمي في تبوك في شهر شعبان عام ١٣٩٠هـ وقد كان الجو شاتياً وعندما سألت مدير التوجيه الفني في الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية الأستاذ عثمان السيار في ذلك الوقت عن سبب إرسالي إلى تبوك وهي مدينة بعيدة وباردة وأنا من جازان وهي منطقة حارة في أقصى الجنوب أجابني لقد أحسنا إليك، فالمعهد في مدينة يوجد بها مطار يسهل حركة التنقل منها وإليها، أما غيرها فلا يوجد بها مطار وهذا قد يضعك في حرج. هكذا قال لي، وكان يريد أن يقنعني بأن اختار لي المكان الأفضل.

لم أمانع كثيراً قبلت التوجيه، وتوجهت إلى تبوك وقد سبقني إليها ثلاثة من الزملاء من منطقة جازان وهم الأستاذ الفاضل الدكتور/ أحمد بن موسى سهلي، والشيخ الفاضل/ هادي بن علي دغريري، والأستاذ الفاضل/ هزاع بن حمود بشير. وقد كان فيها من قبل أخي السيد علي بن أحمد عبد الفتاح موظفاً في وزارة الدفاع والطيران بالشؤون المالية. وبه عدد كبير من أبناء منطقة جازان ممن يعملون في الجيش. كل هذه العوامل أعانتني على شد الرحال إلى تبوك، ويسرت لي العمل فيه.

فكيف يا ترى بدأ العمل في المعهد العلمي في تبوك؟

شاب يبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة، لم يطرّ شاربه ولم تنبت لحيته ويُدرّس مع مجموعة من عمالقة الشام تمرسوا بالعمل، وأفنوا ساعات حياتهم في القراءة والبحث. وجاءوا بعد تجارب خاضوها في عدد المدارس ليقدموا حصيلة ما أحرزوه في المعهد العلمي، وطلاب المعهد أبناء بادية، لم تعرف الحضارة، ولم

تتمرس بالتمدن، طباعهم غليظة وتعاملهم جاف، في ذلك الوقت، وهم كبار في السن، بعضهم اكبر من المدرس الذي يتنقل بين الصفوف كواحد منهم في شكله ولا يميزه عنهم إلا بشت من الصوف يرتديه أحياناً بل غالباً لأمرين: يستدفئ به من البرد القارس، ويعطيه ميزة عن طلابه تفصله عنهم وتزيد من هيبته لديهم.

وصلت إلى تبوك بعد رحلة طويلة عن طريق البر. هذه الرحلة لم تكن كتلك التي سافرت فيها من الطائف إلى الرياض. بل كانت مختلفة فقد أصبحت وأمسيت أعرف أحوال الناس، وأتعامل معهم بالحسنى، وأتبسم في وجوه الرفقة وهكذا حيث أخضعتني السنون الأربع التي قضيتها في الرياض للتمدن، ونفض غبار البادية، والتزمت الذي لزمني ردحاً من الزمان وهكذا الحياة، يتحول الناس فيها من حال إلى حال بسبب العوامل المؤثرة والمخالطة التي يكتسبون فيها الكثير من العادات والتقاليد والأعراف التي تعلمهم الجديد والمفيد أحياناً، وقد تكسبهم غير ذلك أحياناً أخرى.

وعندما وصلت تبوك كان في استقبالي صديق العمر وزميل الوفاء الأستاذ/ أحمد السهلي، وكان في ذلك الوقت " أعزب" أي لم يكن أهله معه وإلا فهو متزوج من وقت مبكر وعنده أطفال.

استقبلني واستأجرنا منزلاً صغيراً نقيم فيه ريثما نهيئ أمورنا، ونباشر أعمالنا، ونستقدم عوائلنا. وقدمني في اليوم الأول إلى مدير المعهد العلمي في تبوك وكان في ذلك الوقت الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الخضير حفظه الله ورعاه. وهو من القصيم ومن الجيل الأول صاحب حرص ومتابعة ومحافظة على الدوام. وقد سألني فضيلته عدة أسئلة يستشف منها معلوماتي ومقدرتي على التدريس وكأنه استحسن لغتي في التخاطب وقدرتي على التحدث بالعربية وقله اللحن. فكلفني بتدريس مادة النحو " ابن عقيل" في الأولى الثانوية.

وكنت الوحيد ممن يحمل تخصص اللغة العربية في المعهد من المدرسين السعوديين. وأما المشائخ من كلية الشريعة فقد كان في المعهد في ذلك الوقت ثلاثة من السعوديين وهم: فضيلة الشيخ/ أحمد بن موسى حاسر السهلي، وفضيلة الشيخ/ هادي بن علي دغريري، وفضيلة الشيخ/ محمد بن سليمان التويجري، وكان معهم عدد من المشائخ من الشام وهم: محمد علي الدعاس، وصلاح الدين شكر، ومحمد صالح مصطفى، وعبد الرحمن الغنام من مصر ومن مدرسي اللغة الأستاذ محمد صالح الجمل، والأستاذ صالح نهيا من الأردن للاجتماعيات وقد انضم إلى قائمة السعوديين الشيخ إبراهيم بن محمد إسماعيل فقيه رحمه الله.

التعليم مهنة شريفة

لا يتمارى الناس في شرف مهنة التعليم، ولا يتنازع العقلاء في أفضليتها على ما سواها من المهن، فالمعلم هو الذي يصنع الرجال، ويربي الأجيال، وينقح العقول، ويدرب الفحول. فلا تجد عالماً إلا وقد أفاد مما لديه، وتربى برهة من الزمن على يديه، ولا تجد قائداً مهما علا قدره، وعظم شأنه إلا وقد استفاد من المعلم، وأخذ مما عنده، وتخرج على يديه.

ومهنة التعليم إذا استوفت حقها من صاحبها ومن الناس كانت شرفاً في الدنيا، وذخراً وفلاحاً في الآخرة، فكم من خير يناله المعلم إذا هو استشعر مسؤوليته في الأداء، وكم من فضل يكسبه بإزاحة الجهل عن الأذهان وتربية العقلاء. ولابد لكل معلم ينشد الخير والصلاح، والفضل والنجاح، ويرغب أن يكون له موضع قدم في المجتمع الذي يعيش فيه، لابد أن يكون قدوة حسنة، ومثالاً طيباً لطلابه والمتربين على يديه.

واسمع معي وفقك الله لوصية عمرو بن عتبة لمعلم ولده حيث يقول: (ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روِّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفَّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، علمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك).

هذا المنهج هو الذي كان سائداً عند سلف الأمة، وهو الذي تطلبه الأمة اليوم من معلم الأجيال، فإذا استقام المعلم عليه، وجعله همه الذي يدعو إليه، استحق القيام له، والإنصات لحديثه، والتأسي بفعاله.

والمعلم في كل زمان ومكان هو الرسام الماهر الذي يطبع على صفحة قلوب طلابه ما يشاء من مبادئ الخير والفضيلة، أو غير ذلك مما يحمل من فكر أو يتصور من مبادئ وآراء.

فإذا كان المعلم مستقيماً، صاحب رؤية سليمة، ومبادئ قويمة، وسلوك فاضل، وقد قرن القول بالعمل كان أثره واضحاً، وعمله ناجحاً، والتف حوله النشء واستنار بتوجيهاته الجيل، وإذا حاد عن الطريق، وترسم سبل الغواية والهوى جاءت على يده البصائر حولا.

وهنا نتذكر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]

وهل المعلم في أدائه لدرسه، ووقوفه أمام طلابه إلا أحد المؤمنين الداعين إلى مبادئ الخير وأسباب الفضيلة، فهو في هذه الدعوة إن كان ملتزماً بما يدعو إليه، قائماً بما يجب عليه كانت دعوته مقبولة، ورسالته مؤثرة، وإن خالف فعله قوله وحاد عن الطريق ولمس منه طلابه عدم المصداقية فيما يدعو إليه، وعدم الجد فيما يرشد إليه استخفوا به ولم يتابعوه. وهنا دعونا ننصت لشوقي رحمه الله وهو يحدد رسالة المعلم المسلم، ويبين دوره وأثره في تربية النشء حيث يقول:

قم للمعلم وفه التبجيلا ** كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجل من الذي ** يبني وينشئ أنفساً وعقولا

فهو الذي يبني الطباع قويمة ** وهو الذي يبني النفوس عدولا

ويقيم منطق كل أعوج منطق ** ويريد رأياً في الأمور أصيلا
وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى ** روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة ** جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ** ومن الغرور فسمة التضليلا
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ** فأقم عليهم مأتماً وعويلا

الخبرة

لا يستطيع المعلم بما لديه من قدرات علمية وثقافية وتربوية أن يخوض الميدان العملي دون أن يستفيد من خبرة من سبقوه إلى هذا الميدان، فالتعليم وحده غير كافٍ لإيصال الرسالة ولا لتوفير الآلية المناسبة رغم ما يُعْطَاهُ الطالب من تدريبات عملية أثناء فترة التلقي، ويبقى دور الخبرة، والاستفادة من أصحابها هو الأكثر تأثيراً والأبلغ في ترسيخ المفاهيم والقيم.

ومن حسن حظ كاتب هذه الذكريات أنه سعد في باكورة حياته العملية بعدد من الرجال كانوا عوناً له على أداء مهمته التربوية، وقد تنوعت تلك الخبرات بتنوع أصحابها حيث كانوا يمثلون بلدانهم، فمنهم السعودي المحافظ، والشامي المعتدل والمصري الخبير والأردني القدير. فقد كان تلاقح المعلومات بين هؤلاء الرجال يؤتي ثماره طيبة في صفوف الطلاب.

وقد كان المدرسون متفرغين لأداء مهامهم لا تشغلهم أنشطة جانبية ولا علاقات ثانوية، ولا مغامرات تجارية ولا اتصالات هاتفية، وإنما همهم المنهج الذي بين أيديهم كيف يقدمونه لطلابهم، وكيف يوصلونه سهلاً ميسراً.

والمعلم الذي ينصت لتوجيه من سبقه ويستفيد من تجربته يضيف إلى رصيده العلمي والفكري والتربوي رصيداً آخر يعينه على اختيار الأمثل فيما يقدم ويذر.

وهنا أذكر بالشكر والتقدير الدور الذي قام به الزميل الفاضل الأستاذ القدير الدكتور أحمد السهلي وفقه الله حيث كان ملازماً لي في الذهاب والإياب والسكن وكان لا يترك فرصة ولا يدع مناسبة إلا استفاد منها في تقديم النصح

وبذل التوجيه المناسب، وقد يطول النقاش وتختلف وجهات النظر ولكن يبقى للمتقدم قصب السبق وفضل التجربة. وقد كان الأستاذ السهلي يجيد العلاقات ويحسن استغلالها ويحفظ الأسماء ويعرف القبائل، وشرائح المجتمع وقد استفدت منه كثيراً في هذا الباب، ولا أنسى تحذيره لي من الإفراط في الالتصاق بالشباب من الطلاب والتبسط معهم ومبادلتهم الأحاديث والنكات فإن ذلك مما يقلل الهيبة عندهم ويجعلهم يتطاولون عليه بما لا يليق.

وقد كان الشيخ هادي بن علي مخزم دغريري وهو زميل وصديق خاص للشيخ الدكتور أحمد السهلي فقد كان يرحمه الله صاحب سمت حسن، وهدوء جم، وأخلاق فاضلة، لا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يتكلم إلا بقدر، يسمع أكثر مما يقول. كان جاداً في عمله مخلصاً في أداء واجبه، قوياً في عرض مادته، مهيباً بين طلابه، عارفاً بمهام رسالته، صريحاً في طرح رأيه، لطيفاً في تقديم مشورته. ولم يطل به المقام كثيراً في تبوك فقد غادرها بعد ثلاث سنوات من مباشرته إلى المعهد الذي تخرج فيه - المعهد العلمي في صامطة - وقد كان يرحمه الله من المربين الفضلاء والمشائخ النجباء الذين يؤدون عملهم بصمت، ويوجهون طلابهم بالسلوك قبل الكلام، وقد وافاه أجله إثر حادث مروري وقد أفدت من سلوكه قبل استفادتي من توجيهه نسأل الله أن يعلي درجته في الجنة ويسكنه الفردوس الأعلى.

ومن المعلمين النجباء الذين ساهموا بالتوجيه والتربية في المعهد العلمي بتبوك الشيخ الفاضل إبراهيم بن محمد إسماعيل مهدي الفقيه. وهو الابن الأكبر للوالد محمد بن إسماعيل الفقيه، وقد كان والده من طلاب العلم الفضلاء بالسلامة تخرج على يديه عدد من مشائخنا، ودرسوا عنده القرآن الكريم وبعض المتون في

العقيدة والفقه والفرائض وهو ممن استقبل الشيخ عبد الله القرعاوي في السلامة، وأحسن وفادته وأكرم ضيافته، وكان يقضي جل وقته في المسجد قارئاً ومعلماً وداعياً ومصلياً، وقد ربى ابنه الشيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ على حب الدعوة وتكريم الدعاة، وغذاه منذ نعومة أظفاره على الخلال الحميدة والطباع المجيدة، وقد كان الابن باراً بوالده، منفذاً لوصاياه، واقفاً عند توجيهاته عاكفاً على طلب العلم الشرعي، وقد واصل تعليمه بالمعهد العلمي في صامطة ثم انتقل إلى كلية الشريعة بالرياض فتخرج فيها عام ١٣٩٠هـ/ ١٣٩١هـ وقد كان أثناء دراسته بالمعهد والجامعة يؤم الناس في مسجد والده ويصلي بهم الجمعة ويخطب في الجمعة والعيدين، وكان صاحب صوت ندي، وقد أضاف وجوده في المعهد العلمي في تبوك إلى الزملاء دعماً للنشاط الثقافي والدعوة، وكان من خيرة المربين. صاحب ثقافة متنوعة، وخبرة مؤصلة، ونكتة لطيفة، ودراية بأحوال المجتمعات وأوضاع الناس، ومبادرة حسنة لتقديم الخدمة في الوقت المناسب وقد تميز الشيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ بالكرم غير المتكلف فهي سجية قد فطره الله عليها وقد تميز بحب المساعدة للآخرين دون منة، والشيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ كان من القلة القليلة الذين لا يستطيعون إخفاء ما لديهم، فإذا سره أمر ظهرت ملامح السرور على وجهه وإذا غضب من أمر عرفت من ملامحه تأثره. كان صاحب مبادرات في الصلح بين الناس والوقوف بقوة في وجه الباطل، وكان يعطي لكل موقف ما يناسبه من التوجيهات والتعليقات، ولكل حدث حديث.

الشيخ إبراهيم تخرج بعدي من كلية الشريعة واستفدت منه كثيراً أثناء وجوده معي بتبوك، وربما كان أكبر مني سناً وأكثر تجربة وأقدر على التعامل مع الأحداث والقضايا، وذلك بحكم البيئة التي تربى فيها، والرجال الذين اختلط بهم وتعامل معهم. ولم يطل مقامه كثيراً في تبوك فقد انتقل بعد سنتين إلى المعهد

العلمي في بيشة ثم انتقل إلى وزارة المعارف وعاد للعمل مدرساً ثم مديراً لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم في محافظة صبيا. فكان نعم المربي والموجه ورجل الإصلاح.

أما الشيخ عبد الرحمن الغنام حفظه الله ورعاه وهو مدرس مصري الجنسية كبير في سنه قديم في تجربته فقد كان يراعي جانباً آخر وهو التركيز على المادة العلمية وإعطاء المنهج حقه من التمحيص والتدقيق، وعدم الخروج عن نصوص المنهج خاصة في الحصة الأساسية، فلا داعي لأن يتوسع المعلم في المعلومات على حساب المنهج فإن ذلك قد يشغله بالمندوب عن الواجب وهذا من الخطأ الذي لا يليق بالمربي العاقل.

أما الشيخ محمد صالح الجمل وهو شامي عاقل معتدل ومدرس محترف يعلم اللغة العربية في المعهد فقد كان أستاذاً بارعاً في التربية والبلاغة والأدب وقد كان ملماً بالمراجع اللغوية والمعاجم وقد كان يسلط الضوء على المعاني ويوصل الحديث في ذلك رابطاً كل مادة لغوية بأصلها فاتحاً باب البحث والدراسة والتحري مستفيداً من مكتبة المعهد مرغباً في العودة إليها لتثبيت المعلومات وترسيخ المفاهيم. ومثله الأستاذ صلاح الدين شكر وهو من نفس الجنسية أما الأستاذ محمد علي الدعاس رحمه الله، فقد كان مدرسة في التوجيه والدعوة وتأصيل الفكر الإسلامي ونشره بين الطلاب والحرص على منهج السلف ودعوة المدرسين للقيام بمسؤولياتهم تجاه أبنائهم الطلاب.

أما الشيخ محمد علي صالح مصطفى وهو كردي يحمل الجنسية السورية فقد كان من أبرز المدرسين العاملين في النشاط في المعهد وقد كان يعلم مادة التفسير، وكنا نستفيد كثيراً من وقفاته مع بعض الآيات، ولا أنسى له درساً خاصاً ألقاه في منزلي حول تفسير آيات من سورة " عبس وتولى" كان في عرضه بارعاً حيث نقل

الحاضرين من جوهم المادي المشحون بكثير من المغريات والملهيات إلى عصر الرسول ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وكيف أن الرسول عوتب وهو يدعو كبار قريش للدخول في الإسلام وعوتب لإعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم، ولم يكن الرسول يدعو لمصلحة خاصة ولا لغرض دنيوي، وإنما لمصلحة الإسلام وتكثير سواده بالأقوياء.

التواضع وحسن الخلق

المسلم الناصح شفوق بإخوانه، رفيق بهم، يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه ويجتهد لهم في النصح كما يجتهد لنفسه. أما الفظ القاسي صاحب القلب الغليظ، فقد قضت سنة الله نفرة الناس منه، فلا تقبل منه دعوة، ولا يسمع منه توجيه، ولا يرتاح له جليس، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وعلى قدر ما يمسك الإنسان نفسه، ويكظم غيظه، ويملك لسانه تعظم منزلته عند الله وعند الناس. وعلى قدر ما يتجاوز عن الهفوات ويقيل من العثرات تدوم مودته، ويأنس الناس به، «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**».

إن العقل والحكمة والمعرفة بطبائع الأمور تقتضي تقبل الميسور من أخلاق الناس، والرضا بالظاهر من أحوالهم، وعدم التقصي على أسرارهم أو تتبع دخائلهم، كما تقتضي قبول أعذارهم والغض عن هفواتهم، وحملهم على السلامة، وحسن النية.

وإذا وقعت هفوة، أو حصلت زلة فليس من الأدب، وليس من الخلق الحسن المسارعة إلى هتكها، والتعجل في كشفها، فضلاً عن التحدث بها وإفشائها أقول هذا وقد استفدت كثيراً من زملائي بالمعهد العلمي ممن كانوا بدوراً مضيئة أعانوني على الدخول في العمل التربوي وساعدوني في التعامل مع طلابي ومع المسئولين في المعهد حيث كان الجميع يعمل بروح الفريق الواحد، لا هم لهم إلا الرقي بمستوى الطلاب، وتقديم مصلحتهم على غيرها. كان التواضع منهجهم، وحسن الخلق ديدنهم، والبشاشة واللين سبيلهم إلى زرع الفضيلة ونشر الخير في

ربوع الأسرة التعليمية وربما كان للغربة من الجميع أثرها في تآلف القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الرأي.

وهنا أذكر قصة اللقاء الأول مع المدرسين الفضلاء القادمين من الشام.

كانت الشام والبلاد العربية تعاني في الفترة التي تم تعييني فيها مدرساً بالمعهد العلمي في تبوك من تعدد الأحزاب وانتشار بعض القوميات كالقومية العربية، والناصرية، وحزب التحرير، وحزب البعث، والحزب الشيوعي، وكانت مصر تحتضن حزب الإخوان المسلمين وتصدره إلى البلاد العربية وكانت الصحف والمجلات ووسائل الإعلام تردد أفكار هذه الأحزاب وتنشر بعض آرائهم وتوجهاتهم، والطلاب في الجامعات يتتبعون وسائل الإعلام ويلتقطون الأخبار والأفكار والآراء من هنا وهناك، وربما كان بعضهم معجباً ببعض الآراء ولكنه لا يبوح بما لديه.

ولم أكن وزملائي ممن يعرف مثل هذه الأحزاب أو يبحث عنها أو يتطلع إليها وذلك بسبب البيئة العلمية التي نشأنا فيها وتلقينا على أيدي رجالها تعليمنا الأوَّليِّ. فالذي قرأ كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه، وقرأ كتاب العقيدة الواسطية، وكتاب الطحاوية، وكتاب التدمورية، وقرأ مذكرة الشيخ عبد الزراق عفيفي في المذاهب المعاصرة تلقاه قد تحصن فكرياً، ويصعب جرجرته إلى ترَّهات الحزبيين والسير وراءهم. والزملاء الفضلاء من الشام قد اكتووا بنار الفرقة والخلاف ويخافون من كل ما يمت إلى ذلك بصلة.

والوافد الجديد الذي قدم للتدريس بالمعهد العلمي في تبوك لا يخلو من اعتزازٍ بنفسه، وثقة بفكره، ويتظاهر بالتعالم والثقافة، وقد أوجس القوم منه خِيفَةً فظنوه واقعاً تحت تأثير تلك الأفكار والأحزاب. فبدأوا يتعاملون معه بشيء من

الحذر والحيطة، ولذلك بادروا بعقد دروس معه في مجلسه والذي جعل الزملاء يظنون ذلك الظن نقاش دار بيني وبينهم في مسألة عقدية (وهو خلاف عقدي قديم) حيث كان الزملاء يرون الحكم بالنار على مُعَّين، ويصرحون بذلك الـمُعَّين. وربما تلقوا ذلك الرأي في مناهجهم الدراسية. وقد اختلفت معهم في هذه المسألة لما أعلمه أن الحكم على مُعين بجنة أو نار لا يجوز، بل الأصل أن يقال من كان حاله كذا فحكمه كذا، أي من كان يعمل بعمل أهل النار وجاءته منيته وهو مصر على عمله ذلك ولم يتب فجزاؤه النار. ولا يُصرح باسمه ولا يُكشف عن هويته، فالله وحده المطلع على أعمال العباد، والعالم بنواياهم وأسرارهم، وخواتيم حياتهم.

لّما سمع الزملاء مني هذا الرأي أنكروه عليّ وتحفظوا في التعامل معي وتوجسوا خيفة. وقد توسط أهل الاختصاص ووضحوا معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وخرجت من التهمة بسلام.

وهنا يأتي دور التواضع وحسن الخلق واللين والعودة للحق وعدم الإصرار على الباطل وهي صفة المؤمنين الذين يقفون عند نصوص الكتاب والسنة ولا يتجاوزونها لهوى أو شهوة.

وفَتَحَتْ هذه المسألة المجال للزملاء للانفتاح على هذا الوافد الجديد والتحدث معه، وتبادل الآراء وطرح بعض القضايا الفكرية والعلمية وإدارة الحوار حولها. وخَفَّفَت من التوجس والوحشة التي كان يعاني بعضهم منها.

وكم هو جميل أن تسود الصراحة والوضوح بين الزملاء فينكشف بعضهم على بعض، وتبقى أفكارهم معلومة، وتصرفاتهم مبررة، ولا يبقى جزء منها في الظل، فتسوء الظنون، وتزداد الحيرة، وينبعث الشك فلا ينجز لهم عمل ولا تقوم

لهم قائمة.

وما أحسن قول الشاعر:

الرأي كالليل مُسْود جوانبه ** والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى ** مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح
وعلى القلوب من القلوب دلائل ** بالودّ قبل تشاهُد الأرواح

النشاط في تبوك

السنة الدراسية هي ١٣٩٠-١٣٩١هـ، وكانت أنشطة المعاهد العلمية في هذه الفترة لا تتعدى الإذاعة المدرسية، وكانت تؤدى في الفسحة الطويلة أثناء ذهاب بعض الطلاب للمقصف لتناول طعام الإفطار، وبعض الصحف الحائطية، وبعض الرحلات، والحفل الختامي في نهاية العام الدراسي.

والمقصود من النشاط هو تعويد الطالب على مواجهة الناس في الخطابة والإنشاد، وتطبيق المنهج العلمي دراية وسلوكاً وتعاملاً، وإذا حصل مثل هذا فهو مكسب غير قليل.

ومن عادة مدير المعهد في تبوك أن يكلف بالنشاط الزملاء الذين يتوسم فيهم القدرة على إدارته، بأسلوب بعيد عن الإثارة، وعندهم جزء من السلوك الذي يحسنون به إدارة الطلاب في النشاط والتعامل معهم.

وقد وقع اختياره عليّ مع صغر سني لما كان يتصوره من قربي من أبنائي الطلاب، وإن شئت فقل إخواني الطلاب في ذلك الوقت. وكان الأستاذ الفاضل محمد صالح مصطفى صاحب فكر جيد، وتوجيه حسن وثقافة مميزة، فقد كان مساعدي ومستشاري، وكان له درس كل يوم في الإذاعة المدرسية، يقدم فيه لأبنائه الطلاب كل جديد ومفيد.

وقد أعانني الله على تقديم ما أحسبه نقلة جديدة في النشاط جعلت الكثير من الطلاب يحرص على المشاركة والمنافسة.

ومن الصور التي لازلت أذكرها أن يكلف مدير المعهد المشرف على النشاط بتقديم الحفل الختامي، متحدثاً عن جهوده وتجربته وما وصل إليه، فكان لابد لي في نهاية العام من رصد هذه التجربة. وتقديمها للجمهور المشارك في الحفل الختامي، وعلى رأسهم المسؤولون في المدينة، والهيئة التعليمية والإدارية بالمعهد، وقد كان.

وقد لفت انتباه مدير المعهد أنني أقدم هذه التجربة ارتجالاً، وبلغة سليمة خالية من اللحن، الأمر الذي رفع أسهمي عنده بدرجة كبيرة، ظاناً أن هذا من الممارسة الكبيرة، ومن القدرة الفائقة على التحدث أمام الجمهور وما درى صاحبي أنني أمضيت وقتاً غير قصير في إعداد تلك الكلمة وترديدها وحفظها ولقد كررت إلقاءها مراراً في بيتي، متصوراً الجمهور الحاضر وثقافته ووعيه. ثم ذهبت أتظاهر بالارتجال، مع أن أوراقي في جيبي، فيما لو خانني الموقف أعود إليها فأستعين بها. ولكنني لم أفعل فقد وفقت لتقديم الدرس بالصورة المناسبة.

وكان هذا أول موقف أقفه أمام حشد كبير في مناسبة كبيرة يحضرها جمهور من المسؤولين والمثقفين. ولم يرفع الموقف أسهمي عند مدير المعهد وحده، بل وحتى عند الجمهور والمدرسين والطلاب الذين أثنوا على هذا المتحدث وقدرته على التعبير وحسن أدائه وإدارته للنشاط والدور الذي قام به خلال العام الدراسي.

الموجهون في المعاهد العلمية

التوجيه والتفتيش والإرشاد هذه ألفاظ تعني القيام بعملية تربوية يقصد منها تحسين أداء المدرس وتقويمه، وهذا التحسين يختلف باختلاف المفتش أو الموجه أو المرشد، منهم من يفهم هذا العمل وسيلة للإصلاح، وهو طريقة يتم فيها التشاور مع المدرس للرقي بالعملية التربوية للأفضل، ومنهم من يفهم غير ذلك، فيحولها وسيلة لرصد الأخطاء ونقد المدرس وبيان مثالبه وعيوبه.

ولهذا مرت هذه الوظيفة في تسميتها بمراحل، فكانت تسمى التفتيش، ويسمى المؤدي لها بالمفتش فتبين أن هذه لفظة فيها شدة، وتوحي بالترقب والترصد، فعُدل عنها لكلمة (مُوَجِّه)، وبقي هذا الاسم ردحاً من الزمن وفهم منه معنى يقلل من استخدامه، فاتفق على تسميته بالمرشد، ومهما كانت التسمية، فإن العبرة بالأداء وما ينجم عنه من مردود تربوي يستفيد منه المعلم أولاً والطالب أخيراً.

والغالب أن الموجه والمرشد لا يصل إلى مرحلة التوجيه والإرشاد إلا وقد عمل فترة غير قصيرة في التدريس فكسب الخبرة واستفاد من تطبيق العملية التربوية. ويتم اختياره بناءً على نجاحه وقدراته المتعددة وهذا هو الأغلب والأعم.وإن حصل غير ذلك فهو نادر وقليل على أن الوسائل اليوم في تطوير العملية التربوية تعنى حصول الموجه على دورات تدريبية تعينه على استيعاب مهام عمله، ودقة الأداء والترقي في استخدام الوسائل التي تثري مردود العملية التربوية على الطالب والمعلم.

وفي الفترة التي باشرت عملي فيها مدرساً بالمعهد العلمي في تبوك كان يحسب للمفتش ألف حساب. فهو لا يأتي إلا مرة أو مرتين في السنة ويقطع مسافات بعيدة حتى يصل مقر العمل الذي يقوم بالتوجيه فيه ويحمل معه معلومات أولية عن المدرس الذي يزوره ويقارن المعلومات التي بين يديه بما يجري على الواقع.

وكان جهاز الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية صغيراً وعدد الموجهين محدوداً وهم من الكفايات التربوية المميزة علماً وسلوكاً وأداءً وكان موجه اللغة العربية في أيامنا الأستاذ القدير عبد الله بن عبد العزيز المفلح رَحِمَهُ اللهُ، وكان نموذجاً فريداً في أدبه ومتابعته وتوجيهه، صاحب سمت مميز، ولغة راقية وفكر أصيل، ومواهب متعددة يوجهك رَحِمَهُ اللهُ بسلوكه وهدوئه واتزانه قبل حديثه، فلا هو ممن يتتبع العثرات أو يترصد الزلات، أو يبحث عن الهفوات، بل يعطي كل مدرس ما يناسبه ويثني عليه أمام طلابه، ويشكره عند زملائه، ويختصه بالنصيحة إن وجد ما ينبغي النصح فيه.

كان رَحِمَهُ اللهُ موجهاً لمواد اللغة العربية والعلوم الاجتماعية وهو الذي ألف كتاب تقويم البلدان (الجغرافيا) في المعاهد العلمية. في تلك الأيام وقد استفدت منه كثيراً عندما زارني في درس النحو، وكان الدرس شرح أبيات من ألفية ابن مالك لابن عقيل وهي:

ونحو عندي درهم ولي وطر ** ملتزم فيه تقدم الخبر

وهنا يحسن أن أذكر بعض الأمور التي ترافق زيارة الموجه للمعهد في تلك الفترة حيث كان مدير المعهد وفقه الله يهيئ الفرصة لجميع المدرسين للجلوس مع الموجهين والاستفادة مما لديهم، وذلك من خلال رحلة خلوية ينفذها مدير المعهد

بعد نهاية اليوم الدراسي يلتقي فيها الموجهون مع المدرسين على غداء تعده إدارة المعهد خارج منطقة العمل، وغالباً ما يكون الجو مناسباً للخروج إلى البر والاستمتاع بالجلوس على الطبيعة، بعيداً عن روتين العمل والجو الدراسي.

وهذه الرحلة غالباً ما توقفك على طباع الرجال، وسلوكياتهم الخاصة، وتكشف عن المواهب والقدرات، وفي الرحلة تعقد جلسات تناقش فيها ومن خلالها الأوضاع الدراسية والتربوية وهموم المدرسين وتطوير العمل، وتنقل التجارب الناجحة، ويكتسب كل واحد من المدرسين ما يزيد من خبرته، ويُحسِّن العملية التربوية لديه.

رجال عرفتهم في تبوك

الوظيفة والحياة العملية والتنقل في مناطق المملكة يكسب المرء الكثير من التجارب ويتعلم العديد من العادات والتقاليد، ويتعرف على شرائح مختلفة من الناس، والعاقل يستفيد مما هو حسن ويستبعد السيئ، وممن عرفت في تبوك.

فارس بن حمد الجميل رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الرجل له من اسمه نصيب كبير. نعم لقد سماه أبوه فارساً وقد كان فارساً بحق. عرفت هذا الرجل في الثمانينات عندما كان أميراً في هروب، وكان في أيامه يسمى أميراً، ليس محافظاً ولا رئيس مركز بل يطلق عليه الأمير فارس. هذا الرجل كان طويل القامة وسيماً، بشرته بيضاء مُشَرَّبَة بحمرة، حاد الذكاء، له فراسة في معرفة الرجال يجيد العلاقات، ويحسن توظيفها، كريماً شهماً، عرفته عن طريق إخواني الذين عملوا معه في مركز إمارة هروب، وقد ارتبط بهم وعاشرهم معاشرة الأخ لإخوانه، وكان وفياً معهم، ومخلصاً في توجيههم، وقد عوضهم ما فقدوه من توجيه والدهم يرحمه الله.

كان الأخوان الحسن ومحمد يعملان معه في الإمارة، الكاتب الأول " الحسن" والكاتب الثاني "محمد" وقد استفاد من الأخوين كُلٌّ حسب قدرته فالأخ الحسن حفظه الله كان من المحافظين على القراءة والدرس واقتناء الكتب وحفظ الشعر والمطارحة الأدبية، ويحب الجمال في كل شيء، ولغته في الكتابة والتحقيق قوية، والتزامه بالعمل أمانة لا يفرط فيها، وقد كلفه بالمكتب مكتب الإمارة والإشراف على كل شيء فيه واستقبال المكاتبات وتقييدها والرد عليها، وكان المرجع في القضايا الإدارية والمكتبية.

أما الأخ محمد رَحِمَهُ اللهُ فقد استفاد منه في الرحلات ومعرفة الرجال والقبائل والبيوت، والصلح بين الناس، وتطويع العتاة، وإحضارهم في الوقت المناسب ومع أن الأمير فارس كان أمياً لا يجيد القراءة ولا الكتابة إلا أنه كان عاقلاً حكيماً، يزن الأمور بميزان دقيق، عَلَّمَتْهُ التجارب كيف يحكم في القضايا وكيف يوجه عندما تشتد الأوضاع.

وقد كان مركز هروب من المراكز الكبيرة يتبعه عدد من القبائل التي يكثر فيها الخلاف ويشتد النزاع، وتتنوع فيه المشكلات، ويوجد فيه القتل والسلب والنهب والسرقة، وتختلف القبائل في الحدود مع جيرانها ويحصل من جراء ذلك الاعتداء والسطو. وكانت مواقف فارس الجميل جميلة، فيها حفظ للأمن وحرص على استتبابه وقيام بالشرع وحدوده.

يستأنس برأي الحاكم الشرعي وينفذ ما يراه بقوة وحزم.

وقد كانت في أيامه الاتصالات صعبة، والطرق وعرة، وكان على المسؤول أن يواجه الأمور بحكمة وعزم، ويتصرف كما لو كان هو الحاكم المطلق، وكان رَحِمَهُ اللهُ محل تقدير الحاكم الإداري في إمارة منطقة جازان، حيث رشحه بعد مركز هروب لأمارة محافظة صامطة.

هذه معرفتي بفارس أيام دراستي الابتدائية، وقد استقال من العمل الحكومي ليمارس هوايته المفضلة وهي التجارة. وذهب إلى أقصى الشمال الغربي مدينة تبوك مع أسرته، واستقر به المقام هناك فترة من الزمن، وكان تعييني في تبوك أثناء وجوده فيها، فكان نعم الأب، ونعم الموجه، ونعم المربي الذي يتعاهدني وأخي علي بالنصح بين كل فترة وأخرى.

وعندما باشرت عملي بالمعهد كان حولي عدد من المحبين والأصدقاء من أبناء منطقة جازان، يعمل أغلبهم في الجيش، ولكنّ طبيعة العمل في السلك العسكري تختلف عن طبيعة العمل في الوظائف المدنية. فكان لابد من البحث عن شريحة من أبناء المجتمع الذي نعيش فيه، تتقارب قدراتهم ومواهبهم ومجال تفكيرهم معنا، وعندما علمت أن فارس الجميل يقيم في تبوك بل هو من أعيان المدينة ومن وجهائها، كان لابد من زيارته، فقمت بزيارته لأول مرة في متجره، وكان في وسط السوق " سوق الزل" وهو كما عهدته وأنا صغير السن صاحب الابتسامة العريضة والنكتة الهادفة، والتوجيه الحسن. وكم كان سروره واغتباطه بهذه الزيارة التي لم يكن يتوقعها، وكثر السؤال عن محبيه في جازان وأصدقائه ومنهم أخوتي الثلاثة، الحسن ومحمد والحسين، وسبق ذلك السؤال عن سبب وجودي بهذه المدينة، وطبيعة العمل الذي أزاوله، ولما عرف أنني أعمل مدرساً بالمعهد العلمي في تبوك سره ذلك كثيراً، وسارع بإهدائي بشتاً فاخراً من الوبر لأستدفئ به من البرد القارس، وكانت تجارته يرحمه الله في المشالح والسجاد والعود وما يمت إلى ذلك بصلة من المساند والتكايات والمجامر.... الخ.

وقد دعاني رحمه الله وبعض زملائي إلى بيته وأكرمني بالضيافة التي لا تستغرب على مثله، وقد جددت هذه الزيارة العلاقة التي بينه وبين إخوتي، وامتد حبل الوصال مرة أخرى، فكان يزورنا سنة ونزوره أخرى حتى بعد عودته إلى مسقط رأسه الأصلي "مدينة الزلفي".

وما أجمل ما كنت أسمع من الرجل من الحكم والوصايا والتوجيهات التي يعتبر فيها رغم عاميته مدرسة. وكان تعليمه من الحياة التي تنقَّل فيها من مكان لآخر ومن حال إلى حال، ومن مجتمع إلى مجتمع، ولم يكن بالخب ولا البليد، وإنما كان ذا فطنة، وروية، حصيف الرأي، قوي العزيمة، صادق الفراسة.

وإذا كانت المدارس والمعاهد والجامعات تعلم الناس أصول العقيدة وأحكام العبادة والمعاملة، وتكسبهم من الثقافات ما يجعلهم يعتمدون على أنفسهم، فإن مثل هذا الشيخ كان يعلم جلساءه ومحبيه أصول وطرق التعامل مع المجتمع، وآداب الاستقبال، والجلوس والضيافة، والكرم وإكرام الكبير، ورحمة الصغير، وحسن الاستماع والانصات، والتعبير عما في النفس، ومتى يحسن الكلام ومتى يقبح، وكثير من الأخلاق الفاضلة التي استفادها من تجارب الحياة، فأصبحت عادة له. وهو يقدم هذا التعليم والتوجيه بأسلوب حكيم وطريقة محببة لا تشعر معها بفضاضة ولا قسوة، وإنما بأسلوب القصة أحياناً وربما عن طريق النكتة، وهكذا تجلس معه الوقت الطويل فلا تمل حديثه، ولا تسأم من مجالسته.

فجزاه الله خيراً عما قدم وعمل وأسكنه فسيح الجنان، وبارك في عقبه، وألحقهم به صالحين.

أحمد بن موسى حاسر السهلي:



لم تكن معرفتي بالأستاذ السهلي حديثة، بل هي قديمة ومن أيام الدراسة بالمعهد العلمي في صامطة، حيث كان يقدم من الجاضع مسقط رأسه كل يوم للدراسة بالمعهد في ثياب بيض جميلة تدل على أناقته المبكرة وعلى عناية والديه به، وكان محل تقدير مدير المعهد آنذاك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي رحمه الله، وقد كان والده الشيخ موسى بن حاسر السهلي رحمه الله طالب علم وداعية، وهو من طلاب الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رحمه الله.

والأستاذ أحمد هو الابن الأكبر للوالد موسى وكان محل رعاية أبيه وهو من الدفعة التي سبقتنا في المعهد العلمي بصامطة، وكانت دفعة مميزة بطلابها النجباء وكان الأستاذ السهلي واحداً منهم.

تخرج في المعهد العلمي عام ١٣٨٥هـ والتحق بكلية الشريعة في الرياض وعين مدرساً بالمعهد العلمي في تبوك عام ٨٨-١٣٨٩هـ مع زميليه الشيخ هادي دغريري رحمه الله، والشيخ هزاع بشير حفظه الله. وكانت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية تختار الطلاب الفائقين والمتميزين فتعينهم في المعاهد العلمية.

وقد اكتسب الأستاذ أحمد في فترة الدراسة والغربة في الرياض التجارب الحسنة والتعامل الرشيد مع ما يحمله من والديه من مقومات الخير والفضيلة والأستاذ السهلي يمتلك ذائقة مميزة في التعامل مع الرجال، وحسن اختيار الأصحاب، ولما ولج ساحة العمل التربوي كانت الساحة مهيأة لأمرين:

الأول: تثبيت المعلومات وزيادة التجارب والتطبيق العملي لما يعلم.

الثاني: الممارسة العملية للسلوك التربوي الجاد والمميز مع الطلاب.

وقد أخذ الأستاذ السهلي نفسه بالالتزام بالجد والمتابعة الصادقة مع طلابه، وعدم التبسط، فكان لا يسمح لنفسه بممارسة أي نوع من السلوك يكون فيه هنة أو موضع ملاحظة. وكنت أغبطه على قدرته تلك وعلى حرصه، وكبح جماح شهوته. وهذا سلوك لا يقدر على تحقيقه إلا أصحاب النفوس العظيمة.

ولله در القاضي الجرجاني عندما يقول:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ** رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ** ومن أكرمته عزة النفس أُكرما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ** عن الذل أعتد الصيانة مغنما
إذا قيل هذا منهل، قلت قد أرى ** ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظما
أنزهها عن بعض ما لا يشينها ** مخافة أقوال العدا فيم أو لما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ** ولو عظموه في النفوس يعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ** محياه بالأطماع حتى تجهما

الأستاذ أحمد السهلي كان يدرس مادة الفقه " زاد المستقنع " ومادة الفقه مادة جافة، ولكن الرجل بما أوتي من خلق فاضل، وتعامل نبيل استطاع أن يوصلها إلى طلابه سهلة طيعة، يحببها إليهم، ويحببهم فيها، فغدت ميسرة قريبة إلى النفوس، وكثيرة هي المواد التي تسهل وتصعب بحسب أداء المدرس وقدرته على تبسيط المعلومة وتقريبها للمتلقين، أو بحسب شدته وجفاف طبعة.

كانت معرفتي الأولية بالأستاذ السهلي معرفة لقاءات عابرة وزيارات ومجاملات، ولم تتح لي معه فرصة لقاء طويل أو سفر أو مجاورة أو معاملة بالدرهم والدينار، وكان حكمي عليه قبل تبوك حكماً تعتريه المجاملة والسطحية أما بعد

لقائي معه في تبوك، فقد توطدت العلاقة، وعرفته عن كثب وعرفت نبل الرجل وحسن معاملته، وصدق أخوته، وقد اكتسبت منه خلالاً ما كان لي أن أعرفها لولا الله ثم التتلمذ على يديه.

الأستاذ السهلي لم يكن كبيراً في سنه العمري والفرق بيني وبينه لا يعدو السنة أو السنتين، ولكن عمره العقلي يفوق سنه بكثير، وهنا أذكر موقفاً واحداً يؤكد هذه الحقيقة وإلا فالمواقف كثيرة.

استقبلني في تبوك وفقه الله، وأحسن صحبتي، وجعل من نفسه وصياً على تصرفاتي، وكفاني مؤنة الاستئجار والبحث عن الجار والدار، وأزال عني الوحشة التي يشعر بها كل غريب عن مراتع صباه، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل كان يختار الأصدقاء والأصحاب والخلان بعناية، ولا يعطي فرصة لأهل الأهواء ولا الجهلاء ولا السفهاء، وقد كانت أعدادهم في تلك الأيام في تبوك كثيرة.

وعندما عزم على استقدام أسرته، استأجر بيتاً ملاصقاً للبيت الذي أسكنه لا يفصلنا إلا جدار، وكم كنت أحترم الرجل لمحافظته على صلاة الجماعة وحرصه عليها وهو في سن الشباب، وكم كنت أحترم الرجل لكرمه ونبله وحسن ضيافته لكل قادم وغريب، وكم كنت أحترم الرجل لبشاشته في وجه الضيف وطلاقة وجهه، وحسن استقباله، ومناداته بأحب الألقاب والنعوت إليه، وكم كنت أحترم الرجل لشدة صبره واحتسابه عندما فقد أحد أبنائه "خالد الأول" وهذا هو الموقف الذي أشرت إليه سابقاً.

لقد قدم الأستاذ السهلي إلى تبوك وعنده ولدان وبنت، عبد العزيز وخالد وعائشة، وكلهم في سن صغيرة. كان عمر خالد يوم ذاك أربع سنين وقد تعرض لوعكة صحية أدخل على إثرها للمستشفى فما لبث أن وافاه الأجل وانتقل إلى

جوار ربه، ولقد كان صبر أبي عبد العزيز على ولده مضرب المثل وما ذاك إلا للإيمان الذي وهبه الله إياه، إيمان بالله وإيمان بالقضاء والقدر راجياً ما يهبه الله للصابرين. ولقد وارى ابنه في الثرى في ليلة شديدة البرودة ولم تذرف له دمعة، ولم يرف له طرف بل صبر واحتسب وهذه عزيمة لا يقدر عليها إلا عظماء الرجال. وليست الأولى، فقد جاءه خالد بعد خالد وكبر وترعرع ونشأ في رعاية أبيه رعاية حسنة وبلغ الثانية الثانوية بالمعهد العلمي في الطائف، وكان صاحب سمت محمود وسيرة حسنة وهو صغير السن ويختاره الله لجواره بعد حادث أليم وقع عليه في مكة المكرمة مع إخوته موسى وعبد الله ومنصور، وكان السهلي هو السهلي الذي عرفته في تبوك حامداً لربه شاكراً لفضله محتسباً ما أصابه عند الله.

نعم هكذا فليكن الإيمان وهكذا فليكن الاحتساب. لله ما أعطى ولله ما أخذ ولا نقول إلا ما يرضي ربنا " إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

هذا الموقف من الأستاذ أحمد السهلي زاد أسهمه لدى كثير من محبيه وأرجوا أن يرفع الله درجته في الجنة فكم هو أجر المبتلى لمن صبر واحتسب «**ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد**».

انتقل الأستاذ أحمد السهلي من المعهد العلمي في تبوك ليعمل مدرساً بالمعهد العلمي في الطائف، وقد أكسبته تجربته القصيرة في تبوك الكثير من التميز وحسن التعامل مع الزملاء والطلاب. وهناك في الطائف ألقى عصا التسيار، وواصل دراسته العليا الماجستير والدكتوراه وكان سلاحه الهمة العالية والطموح الكبير، ووجد في الطائف مجالاً رحباً للدروس العلمية، والأنشطة الدعوية. ووجد من الزملاء والطلاب من يستفيد من جهوده وقدراته العلمية والثقافية والإدارية

والاجتماعية والدعوية، واستطاع الأستاذ السهلي بما يملك من قدرات وأخلاق أن يكسب رضا المسئولين ويتعاون معهم في إيجاد المناشط التي تعود بالخير والمنفعة على المجتمع.

فقد تولى الإشراف على جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالطائف ولم يَأْلُ جهداً في توفير مصادر الدخل لها، واستقطاب العناصر الفاعلة فيها وإدخال البرامج والدورات واللقاءات والأنشطة المتعددة إليها حتى غدت الجمعية من كبريات جمعيات التحفيظ على مستوى المملكة، وقد توسع في فتح فروع لها في منطقة الطائف مما زاد نشاطها وعمم خيرها.

ولما للأستاذ السهلي من نشاط ملموس في العمل الاجتماعي فقد عهد إليه أخيراً بالإشراف على جمعية الزواج بالطائف، وما كان له أن يغطي هذه المناشط لولا توفيق من الله أولاً، ثم ما يحمل من همة وثَّابة وطموح غير محدود، وخلق فاضل ملك به قلوب الرجال، وقدرة فائقة على اختيار الرجال العاملين معه، وحسن في التعامل معهم جعلهم جميعاً يعملون بين يديه بروح الفريق الواحد، وهو مع ذلك عضو في لجنة الإفتاء في التوعية الإسلامية في الحج منذ أكثر من ثلاثين عاماً تقريباً. نسأل الله أن يلهمه رشده ويطيل في عمره على الطاعة، ويضاعف مثوبته وينفع به الإسلام والمسلمين ويصلح لنا وله الذرية، ويحسن الخاتمة وصلى الله على محمد وأصحابه وسلم.

▣ محمد بن سليمان التويجري:

الشيخ التويجري زميل فاضل عرفته في تبوك بعد لقائي معه في المعهد العلمي وهو كما أحسبه والله حسيبه من بقايا أهل الفضل والصلاح ولا أزكي على الله أحداً، الرجل يحمل قلباً كبيراً، وروحاً طيبة، وخلقاً عالياً وحباً للدعوة وحرصاً عليها، وغيرة على شباب الإسلام والمسلمين. سلاحه في العمل يندر أن يوجد عند غيره، إنه الصراحة والوضوح والبساطة، وحب الخير للجميع والذي يجعله مقبولاً عند الناس أن ما يحمله في قلبه يبدو على صفحة لسانه بيسر وسهولة لا التواء ولا مداهنة.

تعاملت مع الرجل في المعهد العلمي في تبوك فوجدته يحمل هذه السريرة الحسنة فأعجبني طبعه، وسرني منهجه، فعشقت خلته، ولقد بادرني بالحب حباً، وبالوفاء وفاءً، بل كان خيراً مني وأفضل، وتجلى ذلك بوضوح عندما سمى أحد أبنائه " العباس" ومازحته قائلاً: إن هذا الاسم يندر أن يوجد في القصيم فضلاً عن العائلة، فكيف تتجرأ يا أبا عبد الله فتخرج عن نظام البلد في التسمية؟ فقال: إنه ابني ولا يشاركني فيه أحد، ولي الحرية المطلقة في التسمية، إلا إذا كان عندك شيء يخالف ذلك فهاته؟

فقلت: "حاشى لله" كل واحد يختار من الأسماء ما يعجبه.

هذا الرجل كريم الطبع، جليل القدر، صافي النفس، واضح النهج سجيته خالية من التكلف يعجبك أن همه المصلحة العامة، يهتم بالفقراء والمعدمين والجوعى ويبذل جهده من أجل تحسين أوضاعهم وتقديم المساعدة والعون لهم.

زرته بعد التقاعد، وقد تحول إلى الرياض منذ فترة، فوجدته يتمتع بصحة

طيبة وهو كما عهدته، على منهجه وطبعه، يسأل عن الصغير والكبير والزميل والصديق ويدعو للجميع بالتوفيق، وللميت بالرحمة.

ووجدت حوله عدداً من أبنائه النجباء، يعملون في أجهزة الدولة في مراكز قيادية حسنة، وهم من أشد الناس براً بوالدهم، وقرباً منه، نسأل الله له ولهم التوفيق والسداد والهدى والرشاد وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

نجران المحطة الثانية للعمل التربوي

نجران مدينة تاريخية قديمة، تحيط بها الجبال من الشمال والغرب والجنوب تربتها خصبة، مياهها عذبة، جوه بارد في الشتاء حار في الصيف تشتهر بالزراعة، زراعة الحمضيات والعنب، والنخيل، والأعلاف والخضروات، يسكنها عدد من قبائل يام ووائلة.

وقد حرصت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية أن تنشئ بها معهداً علمياً، وذلك لما لمناهج المعاهد العلمية من عناية فائقة بمواد الشريعة واللغة العربية، ولحرص الدولة على الأطراف، وتحصين الناشئة بما ينفعهم في دينهم ودنياهم. وقد يعجب المرء من التحول من تبوك وهي في أقصى الشمال الغربي إلى نجران وهي في أقصى الجنوب. ولكنه إذا علم أن هذا الجزء من وطننا الغالي كان يظم ثلة من الزملاء من أبناء منطقة جازان، ممن يقومون بالتدريس في المعهد، وفي مدارس إدارة التعليم، وفي القضاء وفي السلك العسكري وفي الوظائف الإدارية فقد يزول عجبه واستغرابه، خاصة إذا علم أن الشيخ محمد بن حسن الحازمي رَحِمَهُ اللَّهُ وقد كان مديراً للمعهد العلمي في نجران كان وراء هذا التحول. فلقد خاطب الرئاسة طالباً قربي منه في المعهد العلمي، وقد لقي طلبه ذاك هوى في نفسي فلم أمانع ولبيت الرغبة، وكان خياراً حسناً لم أندم عليه.

لقد كان في نجران ثلة من الزملاء من الدفعة التي سبقتني وعلى رأسهم الشيخ طاهر بن عبده صميلي، والشيخ علي بن علي صميلي، والشيخ علي بن يحيى فقيه الحكمي، والشيخ حسن بن أحمد اليامي، والشيخ علي بن فرحان الفيفي يرحمه الله وكان معهم الأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي، والأستاذ عبد الرحمن بن

فهد الغوينم. ولكن الحازمي انتقل إلى وزارة المعارف آنذاك، والغوينم انتقل إلى المعهد العلمي في أبها. وقد انظم إلى المعهد الشيخ محمد بن يحيى عطيف والأستاذان يحيى العسيري، وعلي بن حسين غاصب. هذا من السعوديين بالإضافة إلى مجموعة من الزملاء من مصر والسودان والأردن وكانوا يشكلون مجتمعاً ثقافياً متميزاً في نشاطهم واجتماعاتهم ولقاءاتهم ورحلاتهم ودورياتهم. وقد ساعدهم على ذلك الاغتراب والبعد عن الأهل والعشيرة.

البيئة في نجران

لم تكن لي معرفة سابقة بنجران ولم أزره قبل نقلي إليه، فكان لابد لي أن أذهب إليه منفرداً حتى أوفر البيت الصالح والسكن المناسب وقد حصل.

ولما دخلته للمرة الأولى استوقفتني فيه عدة أمور لم تكن معهودة لدي من قبل:

١- اللباس الذي يسود عند المواطن النجراني الأصيل. فهو لباس يذكرك بالأصالة العربية، في لفّ العمامة على الرأس، والحزام على البطن وارتفاع الثوب حتى نصف الساق، واستصحاب الجوافي والخناجر في كل الأوقات كسلاح لا ينفك لا في العسر ولا في اليسر إلا ما ندر.

٢- المساكن، ونظامها، وطلاؤها، وارتفاع أدوارها، ونظافتها، وسعتها، وانتشارها داخل المزارع.

٣- سوق نجران الداخلي وما يشتمل عليه من عروض يندر أن تجدها في غيره من الأسواق فالتراث واضح في الأسلحة والأواني، والمعروضات كثيرة متنوعة، تمور، قسب، زبيب، بن، قشر، مكاتل، مظلات، سجاد... الخ.

٤- انتشار المزارع في وسط الأحياء، وحرص الكثير من أهل نجران على السكن داخل مزرعته. وخدمته وأبناؤه للمزرعة والاعتماد على الأسرة في الإشراف على المزرعة، وتغطية الأشياء المزروعة في الشتاء بلفائف تحجب عنها البرد، وتحافظ على الثمرة.

٥- يباشر المواطن بنفسه قطف ثمرة مزرعته، وعرضها في السوق والبيع

والتحكم في السعر حسبما تمليه ظروف العرض والطلب.

٦- مزرعة جميلة تسمى " بالعرِّيسة" يمتلكها معالي المشرف على إمارة منطقة نجران الأمير خالد بن أحمد السديري تشتمل على العديد من الفواكه والخضروات والبقول والنخيل والأعلاف وأنواع الورود، مخططة بطريقة فنية يتجلى فيها ذوق صاحبها الزراعي والفني، وبها العديد من الحيوانات الأليفة والبرية.

٧- خيمة كبيرة يستقبل فيها الأمير خالد السديري زواره ومحبيه تقع خارج الإسكان، تمثل الحياة العربية القديمة، لا تخلو هذه الخيمة مع ما فيها من المجالس الوثيرة، والوسائد الجميلة، والفرش الفخم لا تخلو من كلب الصيد، وصقور القنص.

٨- وأخيراً تدار الجلسة في هذه الخيمة التي يحضرها صاحب المعالي الأمير السديري بصورة تنبئ عن قدرته العلمية والأدبية والاجتماعية والإدارية فلا تسمع همساً إذا حضر ولا حديثاً إلا ما يأذن به معاليه، وإذا تحدث أثرى الحديث وأوفاه حقه، فهو موسوعة تاريخية ثقافية أدبية، وإذا أنشدك شعراً شدك بلغته الجزلة، وادائه المميز. ولا يقتصر حفظه للشعر على الشعر العمودي الأصيل، بل هو شاعر ومنشد للشعر النبطي ومشارك للفحول من رواته ومنشديه.

ويكثر في نجران المغتربون، فالمدارس التابعة لوزارة المعارف والعاملون في إدارة التعليم بها وتعليم البنات والعاملون في إداراتها والمعاهد والدوائر الحكومية والمستشفيات والمحاكم كلها تعج بالمغتربين، هذا عدا أفراد الجيش والأمن، وكان أغلب أهل نجران يعملون بالتجارة، والزراعة والأعمال الحرة إلا ما ندر، والغربة تؤلف بين الناس، والإنسان كما يقولون "مدني بطبعه" فلابد له من الاحتكاك

بالآخرين والجلوس معهم والاستفادة مما لديهم، واكتساب العادات الحسنة والأخلاق الفاضلة.

فبيئة نجران الاجتماعية كشكول من عادات تلاقحت من شمال المملكة وجنوبها، وشرقها وغربها، بفضل تلاقح الأفكار والآراء والاجتماعات المتتالية بين العاملين في الدوائر الحكومية. وإذا قدم الضيف عند أحدهم وجدت المضيف يدعو أغلب المغتربين لمشاركته مناسبته، والتعرف على الضيف القادم والاستفادة مما لديه، وفي هذه اللقاءات تدار الأحاديث عن المناطق وأخبارها وعاداتها وتقاليدها وأوضاعها الاجتماعية والبيئية.

وجزء كبير من الطلاب مغتربون ومن أبناء المغتربين وجزء آخر من أبناء المنطقة نفسها، وهؤلاء الطلاب تجمعهم المناسبات المتعددة داخل الفصول وخارجها، والكلفة بينهم كما يقولون مرفوعة، فكل واحد يعبر عن مشاعره بحرية تامة، ولقاءات القياديين في التعليم مستمرة لا تنقطع، والعامل التربوي الجاد، والمدرس الناجح، والوسيلة المؤثرة يكتب لها الانتشار بسهولة، بفضل التلاقي المستمر الذي تدار فيه أحاديث العمل، وطبيعة السير فيه، ومشكلاته وكيفية علاجها، فالقياديون يستفيد بعضهم من بعض في إيجاد الحلول وتوفير البيئة المناسبة لعلاج المشكلات. وغالباً ما يشاد بكل عمل تربوي ناجح. والعمل التربوي الرديء لا يخفى في مثل هذه البيئة التشاورية، وصاحبه لابد أن يجد وسيلة يحسن فيها من أدائه ويعدّل من طريقته. والاهتمام بهذا الجانب التربوي يعود سببه لأمرين:

الأول: انقطاع الناس في مجتمع نجران عن الأعمال الجانبية التي تشغلهم عن التربية والتعليم. فلا يوجد عندهم نشاط تجاري أو زراعي أو رياضي يشغلهم عن

التربية والتعليم.

الثاني: حرص العاملين على تطوير هذا الجانب وتقديم ما يسد جوعة الطلاب الذين قدموا لا هدف لهم إلا التعليم والتربية والإبداع فيهما وهكذا كان الحال في نجران طيلة أيامنا فيه.

كان تلاقي الطلاب والقيادات التربوية المكثفة تساعد كثيراً على إيجاد بيئة تربوية ناجحة متميزة وتعين على تطوير العمل، والسير به نحو الأفضل، خاصة وأن المشرفين والمعلمين والطلاب غير مرتبطين بأعمال أخرى، ولا مصالح شخصية تجمعهم وتلهيهم، وإنما الذي يجمعهم في هذه المنطقة العمل والعمل التربوي والتعليم وحده دون سواه.

أصدقاء المهنة

مدينة نجران مدينة قديمة، وهي محطة استراحة للمسافرين من عدن وحضرموت إلى الحجاز ونجد والمنطقة الشرقية ودول الخليج العربي. وفي نجران من التراث والجو المعتدل ما يشد الزائر للاطلاع على آثارها، ويقف العاقل في نجران برهة من الزمن يتأمل في التاريخ، وأدواره، وكيف تخلف أمة، أمة أخرى، وما هو سبيل النجاة في الحياة وفي الدار الآخرة.

وانشغال أهل نجران بزراعتهم وتجارتهم واعتمادهم على أنفسهم أتاح الفرصة لغيرهم ليسيروا دفة الأعمال الإدارية والتعليمية والقضائية والأمنية فتجد أغلب الدوائر الرسمية، يعمل بها موظفون من خارج المنطقة، فالقضاء والتعليم بشقيه للبنين والبنات والمعاهد العلمية والزراعة والبلديات كلها دوائر رسمية يعمل بها عدد من المغتربين.

والمغترب يقضي بعض الساعات في العمل ويفْضُل عنده وقت طويل خارج ساعات العمل، فلابد أن يشغله بما ينفع ويفيد. فكان التواصل بين أصدقاء المهنة هو الوسيلة الفضلى لشغل أوقات الفراغ، واستثمارها إما بالقراءة أو بالرحلات أو الطلعات الصغيرة أو الزيارات. وهكذا.

وقد أوجدت هذه اللقاءات فرصاً طيِّبة للتشاور حول رفع مستوى الأداء الفني والإداري والتعليمي وأتاحت الفرصة لتبادل الخبرات والمعلومات، فمجتمع محدود كمجتمع نجران يستطيع المرء فيه التعرف على كل الكفايات الجيدة والمبدعة، ويستفيد من جوانب الإبداع لديها، ويسخره لمصلحة الجميع.

والمغترب نفسه يجد وقتاً كافياً ليمارس هوايته المفضلة من القراءة والكتابة والبحث والاطلاع والتفكير فيما يعود عليه بالمصلحة. بعيداً عن ارتباط العائلة الذي قد يشغله أحياناً بالمهم عن الأهم، وبالمفضول عما هو أفضل منه.

وقد لمست هذا بنفسي في نجران، فكانت أوقات التحصيل عندي هي الأيام التي قضيتها في نجران، استطعت بحمد الله التعرف على كثير من كتب التفسير والحديث والفقه والفرائض، ودرّست مواد الشريعة في المعهد، وعرفت كثيراً من كتب السير، وقد كانت أيامي في نجران عامرة بالكثير من الفوائد العلمية والثقافية والفكرية.

الفكر يستنير

كانت الفترة التي قضيتها في نجران من عام ١٣٩٢هـ إلى عام ١٣٩٥هـ فترة عامرة بالنشاط والقراءة الحرة. وقد صاحبتها في الساحة الثقافية والفكرية أنشطة تدعو للتأمل والمتابعة، وقد كانت جولات صاحب الجلالة الملك فيصل رحمه الله في العالم جولات ناجحة، استطاع من خلالها أن يوصل صوت الإسلام ورسالته إلى القارة الإفريقية ويدحر الوجود الصهيوني ويقلل من نفوذه. وقد كسب بحكمته وصبره وحنكته السياسية قلوب الناس ليس في الداخل فحسب بل وحتى على مستوى العالم والذي يسمع اليوم شيئاً من خطبه ولقاءاته في تلك الفترة يعلم مدى ما كان يتمتع به الرجل من وعي وفهم لما يدور في الساحة العالمية. وقد ألقى ذاك النشاط بظلاله على المجتمع في الداخل والخارج. وقد شهدت تلك الفترة بعض الأحداث التي أيقظت الشعور بوحدة الأمة الإسلامية ووجوب اجتماعها ومنها على سبيل المثال:

١- حرب رمضان بين العرب واليهود واجتياز القوات المصرية خط "بارليف" وذلك في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ حيث عبرت القوات المصرية قناة السويس بعد أن نصبت لها جسوراً على القناة لتعبر فوقها الدبابات والآليات واقتحمت خط "بارليف" الأسطوري فدمرته في أروع ملحمة بطولية عرفها التاريخ الحديث.

وهنا انكشف القناع عن الغدر والمكر الذي تلحّف به الأعداء على تعدد مشاربهم واختلاف مناهجهم فما راق هذا العبور لا لأمريكا ولا لروسيا فذهبت الدولتان تدفعان بكل الإمكانيات والطاقات للمعركة لتعدل كفة المعركة لصالح "يهود" عليهم لعائن الله.

وهذا أمر لا يستغرب من أعداء الملة " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم".

٢- تحول كلية الشريعة واللغة العربية التابعة للرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حيث بدأت الجامعة في القيام بدور إيجابي في مجال البحوث والدراسات وفي مجال الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج. ووضعت خطة طموحة للتعريف بالجامعة ورسالتها، وقررت عقد مجموعة من المؤتمرات والندوات. وتوسعت في إنشاء كليات جديدة للشريعة واللغة العربية في كلٍ من أبها والقصيم، وكلية أصول دين في الرياض، وأنشأت معهداً عالياً للدعوة في الرياض والمدينة المنورة، وكلية للعلوم الاجتماعية، ومعاهد في رأس الخيمة وموريتانيا وأمريكا واليابان وإندونيسيا ... الخ وكان إنشاء الجامعة عام ١٣٩٤هـ.

٣- الحادث المروع الذي وقع في يوم الثلاثاء ١٣/ ٣/ ١٣٩٥هـ حيث انتقل جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه إلى جوار ربه على إثر حادث اغتيال آثم، وقد كان لهذا الحادث الأليم أثره البالغ على الشعب السعودي والعالم أجمع، وذلك لما كان يتمتع به الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مكانة في القلوب، ولما قام به من جهود في خدمة الإسلام وقضاياه الكبرى.

هذه بعض الأحداث التي شهدتها تلك الفترة، وقد تركت آثارها على الساحة الثقافية، والفكرية، ونبّهت عدداً من الغافلين ليراجعوا أنفسهم ويعيدوا النظر في دراستهم للواقع.

في هذه الفترة كانت المعاهد العلمية تمثل القاعدة العريضة للجامعة، حيث تستقبل المعاهد الناشئة من الطلاب، وتربيهم على عينها على منهج دراسي وضع بعناية فائقة، وتدفع بهم إلى الجامعة ليواصلوا دراستهم العلمية والتربوية

ويستزيدوا من الخير الذي تعلموه، فتتفتح قرائحهم، وتنمو مواهبهم، ويعرفوا مسئولياتهم تجاه مجتمعهم وبلادهم وأمتهم.

نعم: إن طلاب المعاهد العلمية في تلك الفترة كانوا نماذج حسنة يحسب لهم المدرس ألف حساب، فتجد المدرس قبل أن يدلف إلى الفصل يستعد بالتحضير الجيد والإعداد المناسب ليملأ الوقت بما يفيد وينفع، ولا يترك ثغرة يلحظ منها طلابه عجزه أو ضعفه أو عدم إلمامه بالمادة التي أسندت إليه.

وقد كان نتاج هذه التربية عظيماً، فكانت المخرجات التعليمية على قدر المسؤولية وحصل عدد من الدارسين على درجات علمية متقدمة، كالماجستير، والدكتوراه وعادوا يردون الجميل الذي بذل من أجلهم، ويقومون بالواجب الذي ألقي على عواتقهم. وكان من نتاج تلك الفترة على مستوى الجامعة عدد من الطلاب النجباء يشغلون في الوقت الحاضر عدداً من المراكز المتقدمة في الدولة وأذكر منهم على سبيل المثال:

١- الدكتور: إبراهيم بن محمد أبو عباءة.

٢- الدكتور: صالح بن محمد الحسن.

٣- الدكتور الشيخ: عبد الله بن محمد الخنين.

٤- الدكتور: صالح بن حسين العائد.

٥- الدكتور ناصر بن عبد الرحمن الخنين.

٦- الشيخ: علي بن عبد الله جابر رحمه الله.

٧- الدكتور: عوض بن محمد القرني.

٨- الدكتور: عائض بن عبد الله القرني.

٩- الدكتور: سعيد بن ناصر الغامدي.

١٠- الدكتور: محمد بن علي الحازمي.

طلاب المعهد العلمي في نجران

عندما باشرت العمل في المعهد العلمي بنجران كان على سدة الإدارة الشيخ محمد بن حسن الحازمي، وهذا الشيخ صلتي به قوية ومعرفتي به واسعة وأعرفه ويعرفني منذ الصبا، فلم أفاجأ بجدولي الدراسي في المعهد، فقد كلفني بتدريس مادة النحو في القسم المتوسط، والفرائض والقرآن الكريم في القسم الثانوي، وما كنت لأعتذر من تدريس المواد الشرعية مع أن تخصصي لغة عربية وذلك لحسن ظن صاحبي بقدرتي على تدريسها ولشح مدرسي الشريعة، فاستعنت بالله وكانت خيرة حسنة.

ووجدت من الطلاب من أعانني على تحمل المسئولية، وبذل الأسباب للاستفادة، وكان طلاب المعهد من مناطق متعددة مثلهم مثل أوليائهم الذين قدموا للعمل في نجران من مناطق متعدد، عدد كبير منهم من جازان، ومن رجال ألمع في عسير، ومن سراة عبيده، ومن ظهران الجنوب، ومن نجد، ومن بادية نجران، ومن المدينة نفسها. وكان كثير منهم مثالاً للطالب الجاد، والحريص على المعرفة، والمتطلع للاستفادة، والغيور على مصلحة الدعوة، وكنت تلمس ذلك من خلال النشاط الذي يمارسه طلاب المعهد، ومن حرصهم على استغلال حصص الانتظار، فإذا تخلّف مدرس عن حصته لعذر ما لمست من الطلاب التسابق للبحث عن المدرس الجاد ليغطي مكانه، بصرف النظر عن المنتظر. وكان المدرسون على مستوى الأمانة أداءً وحرصاً. وهنا يحسن ذكر بعض الصور التي كان مدير المعهد فيها مثالاً للعاملين معه.

لما تم توزيع النشاط على الزملاء بالمعهد كان من نصيبي الإشراف على الحفلات التي يقيمها المعهد، وإعداد الكلمات وترتيبها واختيار موضوعاتها واختيار الطلاب لأدائها، والقدرات في المعهد كانت متعددة حتى في صفوف الطلاب فمنهم المتحدث البارع، والكاتب المجيد، والقاص وعندما اخترت بعض الطلاب للمشاركة في الحفل، تقدم عدد طيب لذلك، وكانت مقاييس الجودة عندي عالية، لا تتفق مع قدرات الطلاب، فكلما جاء طالب بموضوع رددته عليه أودّ أفضل مما كتب، وعانى مني الطلاب كثيراً في ذلك وأحجم بعض الطلاب عن المشاركة، بسبب تعنتي الشديد، وحرصي على جودة الأسلوب، واختيار الألفاظ الجزلة، والاستشهاد من الكتاب والسنة، ومن ديوان العرب بما رق ولطف من الشعر. وعندما لمس مدير المعهد إحجام الطلاب عن المشاركة تدخل بنفسه لتقريب وجهات النظر، وأرشدني جزاه الله خيراً ورحمه بأن الشباب في مرحلة الإعداد والتعلم. وليس من الضروري أن تقدم الكلمات بالصورة التي أنشدها. وأن المستمع عاقل، يعرف قدرات الطلاب ومواهبهم ويعذرهم إن رأى منهم قصوراً. وخيرٌ لهم أن يكتبوا بلغتهم، ويقدموا بأسلوبهم من أن تصنع لهم الكلمات صناعة، وتقدم لهم الموضوعات جاهزة البضاعة. فيعتمدوا على غيرهم في كل شيء، وتشل قدراتهم وتحبط مواهبهم. فيصبحوا عاجزين.

عند ذلك ينشأ جيل لا يعتمد على نفسه ولا يعرف إلا ما قدمه له غيره فعليك أن تقبل منهم الميسور، وإن استطعت أن تدخل شيئاً من التحسين على الموجود فبها ونعمت، وإلا فاتركه على طبيعته، فهو سيؤدي الرسالة ويوصل إلى المطلوب.

ولقد قبلت التوجيه، وأجزت ما طلب مني على مضض، وعلمت بعد نهاية المطاف أن توجيهه كان سديداً، وأنه كان نتيجة تجربة، وأن كلامه كان ينم عن خبرة ودراية بأحوال الطلاب، ويساعد على صقل المواهب والتدريب على العمل الجاد، لينتقلوا من المرحلة التي هم فيها إلى الأفضل بالتوجيه المناسب وحسن المتابعة.

وقد أثبتت الأيام أن أولئك الطلاب كانوا ذوي همم عالية وطموحات فائقة ولم تمض عليهم مدة طويلة إلا وهم يحملون الشهادات العليا من الماجستير والدكتوراه، وبعضهم في القضاء وكثير منهم في التعليم، وهم يحملون للمعهد والعاملين فيه الذكريات الحسنة والتقدير الكبير. نسأل الله أن ينفع بهم ويرزقنا وإياهم الإخلاص في العمل والصدق في القول، والقبول إنه سميع مجيب.

رجال صحبتهم في نجران

نجران كانت موطناً لاجتماع ثلة من رجال الفكر والأدب والتاريخ، وقد ساعد على وجودهم في نجران أمورٌ منها:

١- الجو المعتدل الذي يتمتع به البلد في أغلب أيام السنة، وما تجود به مزارع نجران من أنواع الخضروات والفواكه والتمور، وسهولة الحصول على مسكن يضم شتات الأسرة ويلم شمل أفرادها.

٢- سهولة الحصول على عمل يتناسب مع قدرات العاملين في كثير من الدوائر الرسمية، كالتربية والتعليم والقضاء وأمارة المنطقة والزراعة.

٣- سهولة الاتصال واللقاء والاجتماع بين المقيمين في نجران في مجتمع محدود لا فواصل بين طبقاته ولا حواجز تحول دون التلاقي.

٤- وجود صاحب المعالي الأمير خالد بن أحمد السديري، وما يتمتع به معاليه من مواهب متعددة وادب جم يروي عطش الزائرين، ويثري لقاء المحبين.

هذه عوامل جعلت من نجران منتدى يفيء إليه كثير من محبي الخير وراغبي الإصلاح وبعض رجال الفكر والأدب والتاريخ ويأتي في مقدمة أولئك:



السيد الوالد أحمد بن علي عبد الفتاح الحازمي رحمه الله.

فقد كانت الفترة التي أمضيتها في نجران تشهد إقامته هناك مستشاراً خاصاً لمعالي المشرف على إمارة منطقة نجران الأمير خالد بن أحمد السديري. ومعرفة الوالد أحمد بمعالي الأمير ليست حديثة بل هي قديمة تعود إلى الستينيات عندما عاد الوالد أحمد من صنعاء، وكلف بالعمل قاضياً في مدينة فرسان، وكان خالد السديري في ذلك الوقت هو الأمير في إمارة منطقة جازان وكان الرجلان خالد السديري وأحمد الحازمي في سن الشباب وكلاهما من هواة الأدب وشداة الشعر ويعشقان أخبار البطولة والرجولة ويتداولان كل ما له صلة بالتاريخ الإسلامي والأدب والشعر، وقد أعجب معالي الأمير خالد السديري بقدرات الوالد أحمد وذكائه وتوفر معلوماته وقدرته على التحليل والجمع بين الفقه والشعر والأدب والتاريخ وأخبار الأمم فكان يستزيره ويستشيره ويتطارحان أخبار الساحة الثقافية والعلمية والسياسية ويحللان ما يدور حسب رؤيتهما في ذلك الوقت.

ولقائل أن يقول:

من العجب أن تكون نجران هي المكان المناسب للاستفادة من الوالد أحمد وأنت قريب منه في المنطقة وتجمعك به قرابة نسب وصلة رحم فلم لم تتم الاستفادة منه إلا في نجران؟

وهو سؤال منطقي مقبول من حيث الظاهر، ولكن الذي يعرف أوضاع الوالد أحمد وارتباطاته ومسؤولياته وعلاقاته في المنطقة يعلم أن كثيراً من محبيه يشفقون عليه من استهلاك وقته، فوقته مشغول مع عامة الناس في حل

مشكلاتهم، وإصلاح ذات بينهم، وعلاج قضاياهم المتعددة، وبابه دائماً مفتوح يستقبل مجموعة ويودع أخرى، وعلاقته مع أغلب سكان وادي الحسيني والمخلاف جيدة، الأمر الذي يجعلهم لا يترددون في زيارته وعرض قضاياهم الاجتماعية والأسرية والزراعية عليه مسترشدين برأيه مستأنسين بتوجيهه ونصحه مقتنعين بما يدلهم عليه.

هذا عدا ارتباطه الوثيق بأعماله الرسمية ومسؤولياته الحكومية وأعماله الشخصية هذا الوضع جعل العقلاء من أقاربه وذوي رحمه يشفقون عليه من المعاناة، وجعل الاستفادة الخاصة من إمكانياته محدودة إذ كل وقته أو جله يصرف لقاصديه.

أما وقته في نجران فقد وجدت فيه فسحة مناسبة، وذلك في ظل غياب المسترشدين من أبناء المنطقة، وفي ظل غياب الأسرة. وقد أتيح لي وبعض المحبين من أبناء المنطقة في نجران أن نستفيد من إقامة الوالد أحمد معنا في نجران، فكيف كان ذلك؟

كان رحمه الله يقيم بضيافة إمارة منطقة نجران ففي النهار في دوامه ومع القضايا العاجلة، يعطي رأيه فيها ويقدم مشورته، والقضايا التي تحتاج إلى رؤية عميقة وتشاور وتأصيل وكتابة متأنية يأخذها معه إلى الضيافة ويعطيها حقها من البحث والدراسة والتحقيق، ويبقى في وقته متسع لاستقبال طلاب العلم والمستفيدين من أمثالي وزملائي فكنا لا ندع مناسبة إلا استفدنا منها، نسأله فيجيب، ونناقشه فنلمس منه الوعي والإدراك والاستيعاب لما يدور في الساحة، والرؤية العميقة لقضايا الأمة، والأخطار المحدقة بها وتدرك أنك أمام قامة علمية عالية تحمل هموم المجتمع وتعرف مسيرة التاريخ وتحسن التحليل وتجيد التعبير.

وهنا لا أريد أن أسترسل فأطلق العنان لعاطفتي لتسجيل ما يتمتع به الرجل من مواهب متعددة، وقدرات فائقة أحرزها بفضل الله عليه أولاً، ثم بفضل تجاربه الطويلة، وذكائه الحاد فلربما غلبتني عاطفتي حول الرجل وأخرجتني عن البحث العلمي إلى التأثر الذاتي ولكني سأحيل القارئ الكريم إلى بعض النصوص المأثورة عن الرجل فهي تكشف شيئاً عن شخصيته وطموحه المبكر وهمته العالية، واسمعه رحمه الله في بعض قصائده الأولى التي كتبها ولمّا يزل طالباً بالمدرسة العلمية في صنعاء كتبها لسيدي الوالد رحمه الله الذي أرسل له رسالة عتاب لطول غيابه وبعده عن الأهل والعشيرة، حيث أجابه بقوله:

راحتي في العلم فخري درسه ** ذاك دأبي لا أريد المكسبا
هاجني ما جاء في "ولينفروا" ** فنفرنا واتبعنا سبباً
وفطمنا النفس عن لذاتها ** كفطام الطفل أيام الصبا
لا أباً لي بها إن أتى ** أو مضى مهما قضيت الأربا
فكلا الأمرين سيان فخذ ** خطة العزم كفيت العطبا
واتبع نهج سليمان الذي ** دوّخ الشرق وخاض المغربا
إنما العالم كالبدر إذا ** طلع البدر أزاح الشهبا
إن أتيت الحق في مسلكه ** قلت هذا الفخر ليس النسبا
لا تقل عمي وجدي وأبي ** كم نرى من ولد ساد أبا

وهو في نهاية القصيدة يعتذر عن بعده وغربته الطويلة ويقول:

سادتي لا عتب ما هذا قِلاً ** وتناء ما مضينا حقبا
كيف أرضى بدلاً عن سادتي ** وإليكم إنّ لي منقلباً
ذروة المجد تساموا للعلا ** البهاليل الكرام النجبا
منكمُ نحن إليكم وبكم ** ما بكم عما ذكرناه غبا

ليت شعري هل لنا مجتمع ** ومتى أمسي نجيبا أقربا

هذا هو الوالد أحمد رحمه الله في أول عهد بطلب العلم، وهذه طموحاته، وهذا منهجه، " راحتي في العلم فخري درسه" "وفطمنا النفس عن لذاتها" " واتبع نهج سليمان" " لا تقل عمي وجدي وأبي" قواعد تربوية عالية، ومنهج أخلاقي رائد وهمة لا تقف عند حد.

وقد بقي هذا المنهج مسيطراً على تصرفاته حتى بعد عودته لأهله ووطنه وعشيرته وهنا أنقلك إلى إحدى قصائده التي علق عليها الأستاذ الأديب حجاب بن يحيى الحازمي وفقه الله في كتابه: " لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان حيث أورد قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها:

رفقاً بقلبي أيها الظبي الأغن ** وبنا رويداً يا غزيلات الوطن

أنوافر عن ربعنا، ونواكث ميثاقنا ** وغوافل عن ودّ من

يدري بأن البر كتمان الهوى ** ودموعه شهدت عليه بما أجن

يا مخجل الغصن الرطيب إذا انثنى ** يا معرضاً بالصد من أغراك من

أخشى الذي أعطاك قداً مائساً ** وكسا القوام تثنيا حتى فتن

حيث يقول الأستاذ حجاب: " ولا يحسبن قارئ غزله بأن شاعرنا أسير العيون النجل كما يبدو ذلك لأول وهلة، فشاعرنا عاشق، نعم، ومغرم نعم، وشديد التعلق بالمحبوبة نعم، ولكن محبوبة شاعرنا من نوع آخر إنها مكارم الأخلاق، إنه دائم الهيام بها، ومتسام إلى ذروة المجد التي عاش عليها، ووهبها أجمل وأغلى شيء عمره بذلاً وتضحية وعطاءً لذلك نسمعه يردد:

ولي اشتياق باقتضاء مكارم ** واجل عن لهو وخضراء الدمن

هات اسقني بالمجد كأساً مترعاً ** وأدره في جلساتنا لا كأس دن

كما نسمعه يدعو على من يطن به غير عشق المجد وطلب الفضيلة قائلاً:

قف يا عذول فلا نهجاً هديت ولا ** رشداً اتيت ولما تعلم الشأنا
متى سبتني لحاك الله مائسة ** وهل لهوت وما غازلت غزلانا
ترفعت همتي من أن تطيع هوى ** وما صبوت إلى التشبيب أزمانا

والرجل كان مرهف الحس حسن التعامل مع أقاربه وزملائه يحسن توظيف الكلمة، ويجيد الصياغة، وإذا تتبعت علاقته بزملائه ومحبيه عرفت جميل تعامله وحسن وفائه وقدرته على التعبير عما ينبعث في نفسه، وهنا تعال معي لننصت معاً إلى القصيدة التي بعث بها إلى خلّه الوالد عبد الله بن إسماعيل عبد الفتاح الحازمي الذي سبقه إلى صنعاء وأقام معه فترة هناك مع بداية الطلب ثم عاد قبله إلى المنطقة، وكتب إليه تهنئة بمناسبة عقد قرانه على زوجته الأولى قال في مطلعها " دام سعد ونعمة وسرور".

فكتب إليه الوالد أحمد يردّ على التهنئة قائلاً:

شرحت والإله منا صدور ** وشفت أنفساً فنام ضرير
وإلى العين عاد طيب كراها ** بعدما ظن أنه لا يزور

وقد علق الأستاذ حجاب الحازمي في كتابه: الشعر والشعراء على هذه القصيدة بعد هذين البيتين بقوله: " إلى أن يقول معبراً عن غاية سروره بالقصيدة معطياً لخياله فرصة تجسيمها كغانية فاتنة طال اشتياقه إليها، فتخطت رقاب الرقباء والوشاة وسملت عيون الحساد ومشت إليه في جنح الظلام. وحين انقضى الليل ودعته بحسرة ثم قالت: "إن ليل الوصال ليل قصير".

أسعدتنا بزورة تحت ليل ** هكذا، هكذا الحبيب يزور
وقضينا مآرباً وأخذنا ** في الأحاديث والكؤوس تدور

ولقد نلت يا وشاة مرادي ** فاعدلوا إن حكمتم أو فجوروا
وإذا كنت أدفع الحق قهراً ** كيف أرضى بباطل وهو زور

إلى أن يقول:

ثم لما تهيأت لوداع ** وانقضى ليلنا وقد لاح نور
ودعتني بحسرة ثم قالت ** إن ليل الوصال ليل قصير
وزمان الوفاق طرفة عين ** والفراق، الفراق ذاك السعير
كلما رمت أكمل الوصف منها ** عاد طرفي إليّ وهو حسير
فتيقنت أنني غير راق ** في سماها وفي اليدين قصور
من لفكري بأن هذا كلام ** حاش لله فهو در نثير
فهو السحر لا مرى وكفاكم ** باعترافي بأنني مسحور
وهو البدر صاغه البدر عقداً ** منتهى الفخر والهمام الشهير

هذا نموذج واحد من نماذج رجال الفكر والعلم والأدب والتاريخ شرفت بمقابلتهم في نجران والجلوس معهم واستفدت منهم كثيراً ولولا خشيتي من أن تخرج هذه الذكريات عن مسارها لأطلت الحديث عنه وآمل أن تتاح لي الفرصة لإفراده بحديث خاص وما أحراه بذلك.



ويأتي بعد الوالد أحمد رحمه الله الشيخ الوفي والمربي الفاضل الأستاذ/ محمد بن حسن بن محمد الحازمي رحمه الله

فهو الرجل الذي كان سبباً في وجودي بنجران وسأذكر بعض مآثره باختصار، وسأنقل ترجمته الشخصية من كتاب الشيخ أحمد علي حمود حبيبي فلقد قرأتها ولمست قدرة الشيخ الحبيبي على التصوير الدقيق، وسبر أغوار شخصية من يكتب عنه، وقد وفق كثيراً في ترجمته لأبي علي رحمه الله.

الشيخ محمد الحازمي رحمه الله كان مدرسة متنقلة يعطيك من أدبه وخلقه ووفائه وحسن تعامله ما يأسرك ويقدم ذلك بلغة سهلة وطريقة محببة، وقد كان مدرسة في الإدارة، ومدرسة في التعامل الاجتماعي، ومدرسة في دقة التنظيم، ومدرسة في الكرم، ومدرسة في الوفاء، ومدرسة في الإيثار. وقد استطاع بحسن تعامله وجميل إدارته أن يجمع حوله عدداً من الزملاء والأصدقاء كلهم يصدر عنه ويستفيد من توجيهه، وقد كان قطب الرحى للزملاء في نجران وقد تحقق فيه قول الرسول ﷺ لأشج عبد قيس: «**إنك امرؤ فيه خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**». نعم لقد تميز الشيخ محمد رحمه الله بصفة الحلم وعدم العجلة، قد يرى عند غيره أموراً لا تعجبه ولا تتفق مع الواقع، ولكنه لا يستعجل في التصحيح بل يتأنى ويختار الوقت المناسب لتقديم مشورته وعرض رأيه، وقد يساء إليه ويقابل بما لا يستحق من التقدير والتكريم ولكنه يحلم ويبالغ في الحلم حتى يظن به العجز، ولكنه حلم العاقل وأناة الخبير.

وهنا أتركك مع الأستاذ الحبيبي في ترجمته ووصفه الدقيق للأخ الحازمي حيث يقول: " هذا الرجل كبير العقل، خفيف الظل، حسن المذاكرة، لطيف

المعاشرة، قريب مقرب، حبيب محبب، أليف مألوف، وبالجميل معروف زاملته في أيام الطلب فكان معْلماً من معالم الأدب، وشاهقاً من الكياسة صاحب فطنة وطرافة، ورواية وظرافة، كان يكبرنا في السن قليلاً وفي حسن التصرف كثيراً، وله مواقف حميدة، ومشاورات سديدة في مشوار حياته الدراسية تدل على تبكير ذكائه، وفطرة دهائه، ويترجم ذلك حسن معالجته للأمور في احتدام المشاكل، واختلاط المعاضل. ولم أر أحداً سواه من الزملاء يحسن براعة الاستهلال في الاستقبال، والتخلص من المواقف الحرجة في الحال دون أي حرج يبدو عليه في الأقوال والأفعال.

وكان أيام الطلب جيد التحصيل، وذلك لانشغاله بمن معه من الزملاء الصغار فكان لهم ولنا كالأب الحاني، والأخ الشفيق، وكان همه الأكبر أمننا وراحتنا وكان هو المقدم في جلب الراحة لإخوانه بالفعل، ولنا بالقدوة إذ كلنا ننظر لعمله وفعله ونتخذ منه قدوة، وهذا كله كان في معهد صامطة أيام الطلب، أما بعد ذلك فقد أكمل دراسته الجامعية بكلية الشريعة بالرياض، وقد تخرج عام ١٣٨٧ - ١٣٨٨هـ مدرساً فمديراً لمعهد نجران العلمي، ثم بمعهد جيزان العلمي ثم رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجازان، وقد تفتح الرجل فكرياً أيام إقامته بالرياض، ورأى بأم عينيه الحركة العلمية والدعوية والأدبية مما كان له بالغ الأثر، وصدق التوجه للعمل الجاد والمشاركة في الدعوة إلى الله وبناء صرح أمته الحضاري، لذلك فقد اشترك في أكثر من عمل دعوي وفي أكثر من ملتقى خيري، وكان له الشرف في عضوية كثير من المؤسسات الخيرية وكان يداً لصناعة المعروف، وبلسماً لإغاثة الملهوف بعد الله، وقد أخذ هذا التوجه جل وقته، وبالغ اهتمامه إقليمياً ودولياً، لثقة المسئولين فيه فكثيراً ما يحوز شرف الانتداب خارج وداخل المملكة لنشر الخير واشاعة الهدى وبث أنوار هذا الدين

وتعليمه، وقد ساعده على تحقيق طموحه الخيري، ونشاطه الإصلاحي تقلده المناصب الدينية سابقة الذكر والتي من أول أهدافها نشر الخير، وتعليم مبادئ الدين، وأصول الإيمان والعقيدة الصحيحة.

هذا وللمترجم له إضافة إلى ما تقدم، حس صادق، وفهم لنفسية معاصريه، وعلى إلمام بأدوات ومقتضيات المعاصرة، وعلى مبدأ مطابقة المقام لمقتضى الحال. كان ولا زال يعطي لكل مقام مقال، ولكل جواب سؤال وذلك لاستنارة فكره، وبلاجة صدره، وهو رجل طلق المحيا، لا تلاقيه إلا مبتسماً، ولا تنصرف عنه إلا متعلماً، صاحب نكتة ورواية، وملحة ودراية يداعب بلطافة، ويخاصم بحصافة.

وبعد أن أحيل إلى التقاعد عين عضوا بمجلس المنطقة، ورئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعضوا لتوزيع الصدقات الواردة إلى منطقة جازان، كما أنه عين رئيساً للجنة التنمية المحلية بالظبية، وقد نفع الله به البلاد والعباد كثيراً. "انتهى"

هذا هو الرجل الثاني من رجال الفكر والأدب والتاريخ والتربية الذين شرفت بصحبتهم في نجران، واستفدت كثيراً من اللقاء معهم، ومن فضل الله ومنّته على صاحبنا أن خلاصة تجاربه عادت لتصب في منطقته وبين أهله وعشيرته، فكانت ثمارها حسنة وآثارها حميدة نسأل الله أن يكتب ما قدم في ميزان حسناته، وأن يسبغ عليه شآبيب رحمته وأن يرفع درجته في الجنة إنه سميع مجيب.

وقد يطول الحديث لو تتبعنا كل الفضلاء من رجالات التعليم والأدب والتاريخ في تلك الفترة بنجران وشرحنا مواقفهم وحسبنا أن نشير إلى أسمائهم مذكرين بأن الفترة التي جمعتنا بهم في نجران كانت مليئة بكثير من العطاء الفكري، والثقافي، والاجتماعي المميز وهم:

١- الشيخ: يحيى بن علي ناشب.

٢- الشيخ: يحيى بن علي حكمي.

٣- الشيخ: محمد شريف هاشم.

٤- الشيخ: إبراهيم صديق عريشي.

٥- الشيخ: محمد إبراهيم عمير.

٦- الشيخ: علي بن أحمد جبيري.

٧- الشيخ: محمد إبراهيم الحازمي.

٨- الشيخ: صديق عبدالله عريشي.

٩- الرائد: محمد منصور نهاري.

نجران محطة النضج

إن لكل بيئة أثرها على ساكنها، وتختلف البيئات الاجتماعية من بلد إلى بلد آخر بحسب العوامل المؤثرة، والعادات المتداولة، والتقاليد السائدة. وإن كان في الفترة الأخيرة وبحكم الاتصال المباشر وقرب المسافات أصبح تأثير بعض البيئات يتغلب على البعض الآخر، ولم تعد هناك فروق كثيرة واختلافات جوهرية.

ونجران لها طابعها الخاص، وطعمها المميز، فالبيئة الاجتماعية في نجران كانت تفرض على المقيمين فيها التواصل، ويؤكد ذلك عامل الغربة. وكان للزائر لنجران كرامته، وللمُعَيّن الجديد حقه، وللمولود فرحته، ويظهر ذلك من خلال لقاءات تظم الجميع، وتُتَبادل فيها الآراء، وتطرح فيها القضايا التي تحتاج إلى مناقشة، ويخرج الجميع فيها بحل مناسب. والكرم في نجران سمة يتحلى بها أغلب سكان البلد، وتترك أثرها على من يخالطهم.

ومن خلال الإقامة في نجران، والتعامل مع المجتمع فيه تعززت هذه الظاهرة وتجلت بوضوح، وما كانت تمضي فترة إلا ويشهد البلد زائراً كريماً، وضيفاً عزيزاً يلتف حوله الزملاء، ويتنافسون في تقديم الكرامة المناسبة له، ويستفيد بعضهم من بعض.

أما البيئة العلمية والدعوية، فقد شهدت المنطقة يوم ذاك نشاطاً ملموساً للدعوة، حيث أقيمت المخيمات الدعوية والتي كان يشهدها الدعاة من مختلف مناطق المملكة، وقد تركت الدعوة التي انتشرت في صفوف طلاب العلم والمتلقين أثرها، وقد بدا ذلك من خلال المحاضرات والكلمات الوعظية التي تُلقى في المساجد، ويتنافس الدعاة في إعدادها وإخراجها.

وقد ساعد على تطور هذا الجانب انتشار مدارس التحفيظ والتي كانت تظم عدداً من المعلمين ذوي قدرات فائقة، وأداء مميز. كان لهم أثرهم بين طلاب العلم واستفاد منهم كثير من زملائهم، وكنت واحداً ممن استفاد من أولئك النفر الكريم.

هذا عدا اللقاءات التربوية، والدورات العلمية، والجلسات الأدبية التي يتطارح فيها المثقفون الآراء، ويُورد كل واحد ما سمعه من جديد، وما قرأه في الساحة الثقافية، وما تجود به المطابع من فكر.

أما الآثار التربوية فقد تولى المعهد العلمي مع من فيه من رجال التربية والتعليم هذا الدور، وكان يظم نخبة من رجال التربية من السعوديين ومن زملائهم من أرض الكنانة والسودان، وقد كان الجميع يعمل بروح الفريق الواحد، في ظل إشراف مميز وتشجيع ملحوظ من قائد المسيرة الشيخ محمد بن حسن الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكانت الفترة العمرية والزمنية التي أمضيتها في نجران تسمح لي بالاستفادة من الجميع، فلم أكن مشغولاً بشيء من مغريات الحياة، لا المادية ولا العائلية ولا الإدارية. ولعل تلك الاستفادة كانت تهيئة للانتقال إلى صبيا، ونقل التجربة، وتطبيق ما لدى الفضلاء في مجتمع آخر كان ينتظر التجارب الناجحة والعمل الجاد.

إرهاصات الانتقال إلى صبيا

في عام ١٣٩٥هـ وأثناء تولي الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند رَحِمَهُ اللهُ رئاسة الكليات والمعاهد العلمية، قام فضيلته بزيارة ميدانية للمعاهد العلمية للتعرف على أوضاعها، ومعرفة جهود العاملين فيها، والالتقاء بالعناصر العاملة في كل معهد.

وكان ضمن خطته زيارة المعهد العلمي في نجران. والرجل رَحِمَهُ اللهُ صاحب قدرات ومواهب متعددة. صقلته الحياة وعَلَّمَته التجارب كيف يتعامل مع الآخرين، فضلاً عما يحمله من علم وفكر وتربية وأدب أصيل. وكنت أثناء زيارته لمعهد نجران أعمل وكيلاً للمعهد العلمي في نجران ووكيل المعهد غالباً ما يقوم بالإشراف المباشر على المناشط الثقافية ومتابعة الطلاب وإعداد الجداول، ويحل محل مدير المعهد أثناء غيابه لتيسير العمل.

وقد شهد الشيخ المسند رَحِمَهُ اللهُ حفل المعهد الثقافي الذي أُعدَّ بمناسبة وجوده فيه، وكان الشيخ المسند يفتح النقاش مع مستقبليه ومضيفيه مباشرةً دون وسائط، يسمع منهم ويتحاور معهم، ويتعرف على قدراتهم وإمكانياتهم، ويدعم ما يستحسن، ويرد مالا يَسْتَصْوِبُه بروح مرحة ولغة تربوية عالية.

والرجل من خلال رحلته إلى معاهد المنطقة الجنوبية كان ينوي التعرف على أعداد وإعداد الطلاب في المعاهد العلمية وكثافتهم، وحاجة المناطق إلى زيادة المعاهد العلمية وأين تكون الزيادة. وقد جمعه القدر رَحِمَهُ اللهُ أثناء رحلته من الرياض إلى جازان بعدد من وجهاء منطقة جازان، وكان منهم الأستاذ الفاضل محمد العابد إبراهيم قلم، وقد دار النقاش في الطائرة عن المدن الكبيرة في منطقة جازان

والكثافة السكانية والحاجة إلى التعليم، وقد رشح الجميع مدينة صبيا لعدة أمور منها: توسطها في المنطقة، وكثافة التجمعات السكانية فيها، ووجود بعض الخدمات التي تساعد على قيام المعهد. ولم يكن هذا العرضُ جديداً عليه، ولكنه قد عزز ما كان مطروحاً عليه من قبل في نجران. حيث كان الشيخ محمد بن حسن الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد وضع البذرة. فجاء هذا اللقاء ليؤكد تلك التوجهات. وربما كانت هناك دراسات سابقة، وإحصائيات عن عدد المدارس والقرى والسكان في صبيا.

والشيخ الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما وضع البذرة كان يرمي لخطوة أبعد وهي، من يتولى العمل في صبيا، وهنا يتجلى إيثار الحازمي ونبله رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلقد كان أحق مني بالعمل في صبيا ولكنه آثر زميله وصديقه على نفسه. فأسر إلى الشيخ المسند بالمرشح للإدارة فيما لو تمت الموافقة على إنشاء المعهد في صبيا. وكان كل ذلك على حين غفلة مني، ولم يُشعرني بشيء من ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حينه.

وفي مطلع عام ١٣٩٦هـ صدرت الموافقة السامية على إنشاء معهدين في السهل الساحلي من المنطقة الجنوبية أحدهما في مدينة القنفذة، والثاني في مدينة صبيا. وقد وقع الاختيار على كاتب هذه الذكريات لتولي افتتاح المعهد وإدارته في مدينة صبيا.

صبيا في عيون أهلها

صبيا اسم جميل؛ كيف؟ لا أدري! هكذا يبدو جميلاً دون أن تعلل أو تذهب بعيداً لتَتَمَحَّل الأسباب وتبحث عن الدواعي، ولكن نسق حروفه، وسهولة لفظه، وخفة كلمته توحي لك بالجمال.

نستشف هذا الجمال من خلال إنصاتنا لحظة مع أحد رجال صبيا وهو يصور هيامه بصبيا، وعشقه لها، وغرامه بها، وكَلَفَهُ بتربتها، وحبه لأشجارها، وفتنته بِفُلِها وعَبَقِها، فاسمعه يقول:

يقول لي الصديق أرى علامة ** بوجهك إذ عرفْت به سُقامه
أتُخفي في فؤادك ما تُعاني ** من الآلام أن تخفي هُيامَه
لعلك قد أُصبت وذاك ظني ** بسهم من عيون ظِبَاءِ رَامَه
عهدتك ما يهزك شدو طير ** على فنن ولا سجع الحمامة
وأنت اليوم شفاف رقيق ** يؤثر فيك حلو الابتسامة
فقلت له: ولا أخفيك أمري ** فإني عاشق أذْكَى غَرامه
حبيب قد تحكم في فؤادي ** وأهواه إلى يوم القيامة
ولكن ما هويت أحب عندي ** من الفتَّان إذ حسروا لِثَامَه
وأغلى من ثراء المال قدراً ** وأسمى من مظاهرَ أو زعامة
فلا أهوى الظبا يغريك منها ** ورود خدودها كالرمح قامة
ولكني أهيم بحب صبيا ** وهل بلد كصبيا في تهامة؟
عروس السدر ألبسها وشاحاً ** يليق بها وقلّدها وِسَامه
تبدت والمروج لها حزام ** كَخِصْرٍ ناحلٍ وضعوا حزامه

عليـه فَـزَادَتِ الحسـنا جمـالاً ** عـلى تلـك الملاحـة والوَسَـامة
وبـين مروجهـا ينسـاب عـذب ** كـما ينسـاب ثعبـان الأكامـة
فـأين الشـهد حـين تَعُـبُّ كأسـاً ** عـلى ظمـأ؟ ومـا ثغـر المدامـة
وقد شـمخت بهـا خُضْـرُ الـروابي ** وغـرّد فـوق أغصـان البشـامة
بلابلهـا ومـا أحـلى الليـالي ** بهـا والبـدر قـد جـلى ظلامـه
وفـاح بجوهـا في الليـل عطـر ** ينـافس فُلّهـا فيـه خزامـه
أُحِـبُّ ترابهـا أبـداً وروحـي ** فـداءٌ كـي تـدوم لهـا السـلامة

نعم هذه صبيا في قلوب محبيها وعاشقيها، هذه صبيا في لغة أُدبَائِها وشُعرائها، هذه صبيا كما تبدو لمن سكنها، وشرب من مائها، واستنشق هواءها.

محافظة صبيا

محافظة صبيا محافظة منبسطة على ساحل البحر الأحمر الزاخر بالخيرات، متكئة على جزء من قمم جبال السروات الشامخة، مرسلة يديّها في أوديتها الدفّاقة، ممتدة في سهولها الخصبة، ومياهها العذبة، وهي محافظة ثرية بكل مقومات الثراء، أرضاً وإنساناً وخضرة، ومياه وتربة.

تتوسط منطقة جازان، وتبعد عن البحر ستة وعشرين كيلو متراً، وهي أكبر محافظات المنطقة كثافة بشرية، وقد اختارها الإدريسي عاصمة لحكومته التي أسسها بالمنطقة في شهر ذي الحجة عام ١٣٢٦هـ.

وقد شهدت صبيا في العهد السعودي الميمون كثيراً من التطور ونالت نصيبها من النهضة العمرانية والتخطيط، ويتبع صبيا اليوم عدد من المراكز مثل مركز العالية والكدمي والقوز، وبها ثلاث بلديات في كلٍ من صبيا والعالية والقوز.

يحدها من الشمال محافظة بيش، ومن الجنوب محافظة ضمد وجازان، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق محافظة العيدابي، ويبلغ سكانها حسب الإحصائيات الأخيرة ثلاثمائة ألف نسمة، وعدد قراها وهجرها أربعمائة قرية وهجرة، ومساحتها ثلاثة آلاف وتسعمائة وواحد وستون كيلو متراً مربعاً.

وبها عدد من المواقع الأثرية، والمتنزهات الجميلة، وأجمل ما فيها شواطئ تقع على البحر الأحمر تسمى "الطُّرْفَة" تشتمل على كثبان رملية نظيفة، تُشدّ إليها الرحال في أغلب أيام السنة، يستمتع فيها الزائر بجمال الكثبان، وصفاء البحر،

وهواء تهامة، لا حرّ ولا قَر. ويسهُلُ فيها اصطياد الأسماك وقد تيسر الوصول إليها بعد تعبيد الطريق الموصل إليها، مما أتاح للناس جميعاً سهولة الوصول إلى البحر.

وآمل أن تساهم بلديات المحافظة في توفير مسطحات خضراء على هذا الشاطئ الجميل، مع مظلات واقية من الشمس والمطر للزوار، وخزانات مياه وحمامات، وإنارة كافية. وصيانة مستمرة للشاطئ من المخلفات.

المعهد العلمي في صبيا

في عام ١٣٩٦هـ صدر قرار الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية بتكليفي بافتتاح المعهد العلمي في صبيا. وقد كنت قبل ذلك وكيلاً للمعهد العلمي في نجران، فحزمت أمتعتي، وركبت سيارتي واستصحبت أهلي وودعت نجران، وكنت قد هيأت بعض أموري في المنطقة للاستقرار. وعندما وصلت صبيا وجدت العون والمساعدة والتفاؤل بصـرح علمي يحقق للناشئة بغيتهم ويساهم في تطوير النهضة العلمية بالمنطقة.

ولقد كانت سعادة الأهل والعشيرة كبيرةً، فقد سرهم قربي منهم ووجودي بينهم. وكان لابد قبل البدء في العمل والبحث عن مقر للمعهد من الاتصال بالجهات الرسمية في المنطقة، لإعطائهم فكرة عن مهمتي عندهم ومسؤوليتي بينهم. ويأتي في مقدمة تلك الجهات أمير المنطقة، ومحافظ صبيا، وقد فعلت. وقابلوني بعبارات الثناء، والدعاء بالعون والتوفيق. وقد وَجَدْتُ في البداية صعوبة في الحصول على مبنى يرضي طموح الجامعة، ويلبي رغبتي بأن يكون في مكان بارز يعرفه الغادي والرائح، والمقيم والمسافر. ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله.

فرضيت بمبنى في مكان ليس مشهوراً ولا بارزاً، بل في أسفل مدينة صبيا في حي الخالدية، الطريق إليه شاق، والشوارع ضيقة. ولكنَّ الله عوضني في أخلاق صاحبه الذي ما طلبت إليه أمراً لصالح المبنى إلا تجاوب معي في تحقيقه. فلقد كان من الرجال القلائل الذين يحترمون طلاب العلم ويحققون رغباتهم، ويمتثلون تعليماتهم ولو كانت شاقة، ويقتنعون بالقليل من المال في سبيل إيجاد

مؤسسة علمية تخدم أبناء البلد، وتنشر الوعي بينهم. ذلك هو الشيخ أحمد بن علي عداوي -وفقه الله- وجعل ما قدّمه في موازين حسناته. والذي دلّني عليه وسهل الطريق للتواصل معه أخٌ فاضلٌ وطالب علمٍ نبيل يحب الخير ويدل عليه، كان يعمل بالمحكمة الشرعية في صبيا إنه السيد أحمد بن علي بن محمد عبد الفتاح رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. وقد كانت بينه وبين العداوي صِلات طيبة ومعاملات حسنة.

وقد تم التفاوض مع صاحب المبنى واقتراح زيادة بعض الغرف على المبنى الموجود، وإضافة صالات، وبناء مسجد، وكل ذلك قد تم بإذن الله وبصورة مستعجلة، ليبدأ العمل في الدراسة في الموعد المحدد.

الجهود التي رافقت تأسيس المعهد:

العمل في أيّ منشأة يراد لها الثبات والدوام لابد أن يقوم على قواعد راسخة، وعمد متينة، وذلك يستدعي الاستعانة بأهل الرأي والمشورة، والاستفادة من خبرات السابقين، بعد معرفة الأهداف والوسائل التي تسعى إلى تحقيقها تلك المنشأة.

وصرح تعليمي كالمعهد العلمي لا يمكن أن يقوم بدون رجال تقدّم المشورة، وتبذل الأسباب، وتهيئ الأمور ليأخذ طريقه للنجاح. ونجاح العمل في أي مكان مرهون بالنية الحسنة، وحسن التوكل على الله، وتوفر الكفايات الإدارية والفنية والدعم المادي السخي.

وقد وقفت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية في ذلك الوقت موقفاً حسناً، عندما وفرت كل الأسباب المادية والمطالب التي تعين على البداية الحسنة. فقد وفرت الأثاث وهيأت الكادر الوظيفي والمدرسين الأمر الذي جعل الدراسة تبدأ في المعهد في الوقت المناسب.

وهناك جهد يساعد على النجاح لأيّ مشروع يراد له النجاح قد يغفل عنه كثير من الناس، وهو الاستدرار للرأي العام وكسب التأييد المطلق من عامة الناس ليقفوا صفاً وراء المنجز الذي يراد تحقيقه، وهذا يحتاج من الجهة المشرفة على المشـروع إلى حسن التعامل مع الناس في بيان وشرح أهداف المشروع، وبذل كل الأسباب والوسائل التي تحسن صورة العمل المراد تحقيقه، وإشراكهم في الرأي والمشورة، وإشعارهم بأنهم جزء ممن يصنع ذلك النجاح. وعدم الاستقلال بالرأي والتكتم عليه بل القرب من المجتمع المحيط به وهذا الاستدرار للرأي العام يجعل الكل يساهم معك ويقف بجانبك ويدعمك ويدفع عنك الرأي المضاد.

وقد كان لزاماً على المؤسسين للمعهد العلمي في صبيا أن يستعينوا برأي المشائخ ووجهاء المجتمع والرجال المؤثرين فيه ليجدوا منهم النصرة والتأييد، وليحصلوا على دعمهم بعدد من الناشئة ليتولوا تدريسهم في المعهد، وليكن النواة الأولى من طلابه ورجاله مستقبلاً. وقد تيسر ذلك مما جعل المتقدمين يتوافدون إليه من شتى القرى الموجودة بالمحافظة كلهم يحرص على الدراسة في المعهد، ويرغب الاستفادة مما فيه.

وإذا لمس الطالب وولي أمره الجدّ في العمل، والحرص من العاملين في التربية على الدراسة وحسن المتابعة، وحصلت لهم المصلحة والمنفعة، تأكد لديهم قيمة العمل والدراسة التي يسعون إليها، والجدوى التي ينشدونها، وقد وُفِق المعهد من ساعاته الأولى لاختيار عدد من الفضلاء كانوا النواة الأولى للقيام بهذا الدور، وكانوا عند حسن ظن إدارة المعهد، والرئاسة التي رشحتهم لهذا العمل.

المؤسسون للمعهد:

لقد حفل المعهد عند تأسيسه بصفوة من الرجال كانوا نماذج خير ورسل دعوة أدوا ما عليهم من واجب وقاموا بأمانة العمل كما طلبت منهم وكانوا يعملون بروح الفريق الواحد، ويأتي في مقدمة أولئك الفضلاء الشيخ/ غالب بن إبراهيم النمازي رحمه الله، والشيخ/ أحمد بن محمد بن يحيى الحازمي حفظه الله، والشيخ/ حسين بن محمد بن يحيى القاضي وفقه الله، والأستاذ/ محمد عاطف منصور صقر رعاه الله، والأستاذ/ أحمد بن علي إبراهيم عبد الفتاح وفقه الله، والأخيران من جمهورية مصر العربية، وكانا مثالين للأخلاق الفاضلة والعمل الجاد أما الطاقم الإداري فقد توافدوا إلى المعهد منقولين من أماكن عملهم ويأتي في مقدمتهم الأستاذ/ محمد بن عبده صديق عصيري رحمه الله، والأستاذ/ علي بن أحمد محمد زنقوطي وفقه الله، الأول كان يعمل محاسباً ومراقباً، والثاني يعمل سكرتيراً للإدارة، وكاتباً على الآلة، وحافظاً للإرشيف. وكانا نعم المخلصين لعملهما ومعهدهما فقد كفياني مؤنة متابعة الطلاب، وأعطياني الفرصة للإشراف على التربية والتوجيه ومتابعة النشاط، ومعرفة أحوال المدرسين والطلاب.

وقد أقبل الطلاب على المعهد، يتنافسون على التسجيل فيه ويحرصون على ذلك من شتى القرى والهجر المجاورة لمحافظة صبيا، وكان كثرة العرض يتيح للمعهد اختيار الأفضل مما جعل الدفعات الأولى من طلاب المعهد ينافسون زملاءهم في المدارس الأخرى، ويتفوقون عليهم في التحصيل العلمي والأنشطة الطلابية وقد أكسب هذا التفوق المعهد وطلابه سمعة طيبة على مستوى المنطقة فازداد الطلب على التسجيل في المعهد وكثر رواده وتعدد محبوه، واستمر العمل في المبنى القديم، وكانت الفصول تزداد كلما زاد عدد الطلاب والمدرسين، ولم يَخْلُ

بُعد المبنى عن المواقع الإستراتيجية، وصعوبة الوصول إليه وضيق الشوارع ووعورة الطريق، ومظهره الخارجي والبيئة المحيطة به عن الاستفادة مما لدى رجاله من علم وأدب وتربية، كان لها الأثر الكبير على توجيه الناشئة وإعداد جيل من الرجال أسهموا في بناء جيل واعد.

وهنا قامت قناعة لدى الكثير من العاملين في المعهد بل تأكدت قناعة قديمة وهي أن العبرة في الأمور بالجوهر لا بالمظهر، فكم من مبنى تظهر عليه الفخامة وتلمس في داخله الأناقة، ولكن مخرجاته العملية لا أثر لها ولا وجود. وكم من مبنى لا تلقي له بالاً بل تزهد في الدخول فيه ولكنه يشتمل على كثير من الجواهر واللآلئ التي تضيء الطرق وتنير السبل.

وهكذا الرجال وحالهم. فكم من مخلوق تُرى عليه مخائل النعمة ومظاهر الثراء يرتدي جيد الثياب، ويتوشح بأجمل الملبوسات وإذا خبرته وجدته خالي الوفاض هش المعرفة رديء التصور بعيداً عن الواقع لا يحسن الأداء، ولا يسرك في اللقاء، وكم من مخلوق رث الهيئة، ضعيف البنية، إذا شفع لم يشفع، وإذا تكلم لم يسمع، جوهره ثمين، ودينه قويم، وعلمه رصين، لو أقسم على الله لأبره.

تـرى الرجـل النحيـف فتزدريـه ** وفي أثوابـه أسـد هصـور

ولا يعني ما أقوله أن يمضي الإنسان حياته وكل عمره في مبنى متواضع بعيد عن الواجهات لا يشتمل على أدنى درجات الكمال. ولا يعتني بتحسين محله، وتجميل مقره، وتوفير أسباب الراحة فيه، وتهيئة وسائل العمل وتطويره لا بل ذلك مطلب ومطلب مهم. وهو مما يساعد العاملين على الجودة ويهيئ البيئة العلمية والثقافية والتربوية بالشكل المناسب ويعين الملقي والمتلقي على التطوير والإبداع وحسن الأداء. ولكنه إذا تعذّر في يوم من الأيام فلا يحول دون العمل.

سلوك مثالي:

لقد أشرت في بداية الحديث عن تأسيس المعهد أنه حفل عند تأسيسه بصفوة من الرجال كانوا نماذج خير ورسل دعوة قاموا بأمانة العمل، وهذه حقيقة أكّدها الواقع العملي، فلئن كان النظام اليوم يطلب من العاملين في أيّ مكان توفير سجلٍ لحضور الموظفين وانصـرافهم، وقد استحدث نظام البصمة. لضبط الدخول والخروج والانصراف فإن المعهد العلمي في صبيا أمضـى ردحاً من الزمن لا يعرف هذا السجل، ولا يتعامل به مع منسوبيه، فلقد كانت أدبيات العمل والتعامل الحسن والثقة أكبر من سجل الحضور والانصراف، وهل مهمة هذا السجل إلا ضبط الموظفين والتأكد من حضورهم في الوقت المناسب، فلقد كان الإخوة الزملاء في المعهد أشدّ حرصاً وأكثر التزاماً من سجل يقيّد حضورهم وانصرافهم. بل وأشد من ذلك إذ كان بعض الزملاء من المدرسين يستأذن لمراجعة المستشفى إثر معاناة صحية معينةٍ، فيعالجه الطبيب ويمنحه إجازة مرضية، ولكنه يخفيها، ويعود لأداء درسه ولا يستخدم الإجازة، وعندما يعلم المسئول بذلك ويناقشه عن عدم استخدام الإجازة المرضية والاستفادة منها يجيب أنه أعرف بوضعه وأدرى بحاله من الطبيب الذي منحه الإجازة وأنه يستطيع أداء عمله دون عجز أو سآمة أو ملل أو مرض.

هكذا كان حال كثير من الزملاء ممن رافقوني في تأسيس المعهد وتثبيت قواعده وإقامة صرحه. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم الأجر والمثوبة على ما قدموا وأن يجعل كل ذلك في موازين حسناتهم.

زيادة الطلب على المعهد:

واستمر العمل في المعهد المستأجر فترة لا تقل عن عشر سنوات وقد تطور الجهاز الإداري والفني وزاد عدد المدرسين وزاد عدد الطلاب، وعادت المعاهد العلمية إلى الجامعة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ورشحت الجامعة للإشراف الثقافي مدرساً متفرغاً يقوم عليه ويطوّر أساليبه. وقد نظّم المعهد أسلوباً حديثاً يحبب المدارس الابتدائية وطلابها للتسجيل في المعاهد العلمية. فكان ينظم بين الفترة والأخرى زيارة للمدارس الكبيرة المجاورة لمدينة صبيا، ويختار عدداً من طلابه ممن تبدو عليهم مخائل النجابة والقدرة على التعبير وحسن الأداء، ويكلفون بنصوص جيدة ذات مغزى تربوي يلقونها على طلاب المدارس وبين يدي مدرسيهم، ومعهم المشرف الثقافي يحمل بعض الهدايا والمطبوعات لمن يزورهم ويعلق على النصوص ويشرح أهداف المعاهد العلمية ورسالتها، ويحبب الطلاب في الانضمام إليها، وما أن ينتهي العام الدراسي ويستلم طلاب المدارس الابتدائية شهاداتهم حتى يتوافدوا على المعهد زُرافات ووحدانا يرغبون بالتسجيل فيه والإفادة من إمكانيات المعهد ورجاله والتتلمذ على أيديهم. وكانت إدارة المعهد أمام الحشد الكبير الذي يتقدم لطلب القبول تختار أصحاب الدرجات العالية، ومن تتوسم فيهم النجابة والصلاح والقدرة على مواصلة التعليم. حتى لقد تجاوز عدد الطلاب في بعض السنوات سبعمائة وثمانين طالباً موزعين على واحد وعشرين فصلاً دراسياً. وقد وفّرت لهم الجامعة وسائل النقل والمكافآت التي تعينهم على مواصلة دراستهم.

مدير الجامعة يزور معاهد المنطقة:

الزيارة للمعاهد العلمية وتفقد العاملين بها، ومعرفة أوضاعهم، تجعل المسئول يقف عن كثب على أوضاع المعهد ويعرف الاحتياجات، ويعالج ما يحتاج إلى علاج ويوصي بما فيه الخير والصلاح. وهذا نهج تربوي راشد ألفته المعاهد العلمية منذ تأسيسها، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي أحد أبنائها، ولا يغيب عنه مثل هذا المنهج، وقد حدد موعداً لزيارة المعاهد في منطقة جازان، وخصص يوماً لكل معهد، يتعرف فيه على إمكانيات المعهد الإدارية والفنية، ومدرسيه وطلابه، ونشاط العاملين فيه وعلاقتهم بالمجتمع المحيط بهم وتعاونهم معه وتأثيرهم فيه... الخ.

وتمت مع معاليه مناقشة الحصول على أرض للمعهد والبناء عليها، وقد وعد في حالة الحصول على أرض بترسية مشروع للمعهد في أقرب فرصة. وقد تيسر ذلك بفضل الله في وقت قياسي. حيث تمت مخاطبة بلدية جازان بعد اختيار الموقع المناسب في مدينة صبيا، وتم تحديد الموقع واستلامه من البلدية ولم تمض على الزيارة ستة أشهر إلا وقد رسى المشروع على مؤسسة الحامد التجارية بمبلغ لا يقل عن ثمانية مليون ريال (٨٠٠٠٠٠٠) ريال.

وكان أول صرح علمي رائد يشيد في المحافظة مكتمل البنية.

تطور الأنشطة في المعاهد العلمية

التعليم في أيّ موقع وفي أيّ بلد يقصد منه رفع الجهل عن كاهل الأمة وتوجيه مسارها إلى الأفضل، وتوفير أسباب النمو بكل أشكاله العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وتيسير أسباب السعادة في الدارين، وإذا لم يوفر التعليم هذه المطالب " إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما".

فكيف يستطيع التعليم القيام بهذا الدور ومتى؟ إن الأفكار التي يتلقاها الطالب على مقاعد الدراسة يجب أن تتحول إلى واقع عملي يمارسه الطالب من خلال حياته اليومية، فإذا تعلم الطالب الأحكام الشرعية والآداب المرعية والأخلاق الإسلامية ولم يطبق ذلك في واقع حياته فما قيمة التعليم؟

والنشاط هو الوسيلة التي تترجم تلك المعاني والآداب والأخلاق إلى واقع عملي. وإذا فهم النشاط أنه الدراما المسرحية والفلكورات الشعبية، والتدريبات الرياضية والرسومات الحائطية والأمسيات القصصية، فهذا فهم مبتور وغير دقيق.

نعم هذه أنشطة ولكنها لا تمثل كل الأنشطة المطلوبة في مراحل التعليم وقد كان النشاط في المعاهد العلمية يتطابق مع رسالة وأهداف الجامعة تماماً، فالجامعة عندما قامت كانت لها أهداف. ومن أهم أهدافها العناية بعلوم الشريعة، وتأصيلها، وربط الناشئة بها، ومعرفة العلوم التي تساعد على فهمها.

فكان لابد أن يكون النشاط في المعاهد العلمية يدور حول هذه الأهداف وترجمتها إلى واقع عملي. وقد اجتهد الزملاء في المعهد في ذلك الوقت على أن يقوموا بهذه الرسالة قدر المستطاع وقد تمثل النشاط في:

١- تدريب الطلاب على الخطابة، والمشاركة في إقامة الندوات الفكرية والأمسيات الشعرية والنوادي الثقافية.

٢- إقامة رحلات قصيرة وطويلة والإعداد لها بما يتناسب مع أهداف الجامعة.

٣- إقامة المخيمات التربوية، وتهيئة مواقعها وحشد عدد من رجالات الجامعة للمشاركة فيها والإشراف على أنشطتها.

٤- إقامة المراكز الصيفية، وتوفير الإمكانات اللازمة لها والإشراف المباشر عليها.

٥- إقامة المسابقات الدورية في حفظ القرآن والسنة، والنصوص الشعرية والمتون العلمية.

٦-زيارة بعض العلماء وطلاب العلم البارزين والوجهاء والاستفادة من توجيههم وكانت الأنشطة تصب في توعية الناشئة والمجتمع بما يعود عليهم بالنفع والفائدة ومن الأنشطة ذات الأثر المباشر ما كان يقوم به الطلاب من توعية الناس بأمور دينهم، وتوجيههم من خلال المنابر المتاحة، بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة وإذا صدر هذا التوجيه من طالب في مراحله الدراسية الأولى، وكان الطالب مثالاً لما يدعو إليه كان أثره بالغاً وجدواه محمودة.

ولا زلت أذكر بعض الندوات التي أقامها الطلاب في الجوامع الكبيرة وإعجاب الناس بجهودهم وثناءهم عليهم مما كان له الأثر المحمود على المعهد والعاملين فيه، وزيادة إقبال الطلاب عليه.

وقد كان المعهد يُعِدُّ في نهاية كل عام دراسي حفلاً مهيباً يكون خلاصة أنشطة العام، يتداعى له الناس من أماكن متعددة، تقدم فيه فقرات غاية في الجودة والتأثير، توزع فيه الجوائز على المشاركين في الأنشطة وأوائل الطلاب.

المخيمات التربوية والمراكز الصيفية

هذه المصطلحات لم تكن معروفة لدينا أيام كنا نتلقى التعليم في المعاهد العلمية والكليات، ولم نشهد العمل فيها خلال دراستنا تلك. وعندما قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتطور العمل بها، أُنْشِئَتْ بها عمادة خاصة بشؤون الطلاب، ومن شؤون الطلاب الأنشطة الطلابية، ثقافية واجتماعية ورياضية. وقد تولت العمادة الأنشطة والإشراف عليها في الجامعة وفي فروع الجامعة، وأعدّت خطة للأنشطة، وعينت مشرفين على النشاط، وتبنت فكرة المخيمات التربوية، والمراكز الصيفية.

وكانت المخيمات تقام عادة في أجواء تناسب العمل وتساعد على تنفيذه وتختار لها المواقع الملائمة. أما المراكز الصيفية فلا تقام إلا في فترة الصيف وأيام العطل الرسمية الطويلة. وتختلف طبيعة كل نشاط عن الآخر.

فالمخيمات تقام في الخلاء ولها نظامها من حيث تقسيم الأسر والنشاط ونوعيته والانضباط والحركة والدخول والخروج والنوم والاستيقاظ... الخ والعاملون في المخيمات التربوية يستمرون في المخيم فترة قد تطول وقد تقصر حسب البرنامج المعد، وحسب الخطة المتفق عليها، وطبيعة العمل في المخيم تقتضي عدم مغادرته إلا ضمن برنامج المخيم.

أما المراكز الصيفية فإنها تقام عادة لمدة خمسةٍ وأربعين يوماً تزيد قليلاً أو تنقص أياماً، ولا تقام إلا في مبانٍ مناسبة يستطيع العاملون فيها مزاولة نشاطهم بيسر وسهولة. ويكون مقرها غالباً المعاهد العلمية وبعض الكليات التابعة للجامعة وفترة دوامها مسائية غالباً، وهي تعمل لشغل فراغ الناشئة بما يعود

عليهم بالنفع واستغلال أوقات فراغهم بالمسابقات الثقافية، والرياضية والقراءة الحرة، وحفظ ما تيسر من المتون، وإقامة دورات للإسعافات الأولية وتعليم بعض المهن اليدوية، كالنجارة والدهانات والسباكة... الخ.

وفكرة المخيمات التربوية والمراكز الصيفية فكرة جيدة إذا خطط لها بعناية وتم الإشراف عليها بدقة. والاستمرار في تنفيذها والإشراف عليها وتوجيه الطلاب من خلالها له مردود إيجابي على الطلاب وولاة أمورهم وذلك بشغل أوقات الفراغ لديهم، وكلما تقدم الوقت وكثرت الملهيات والمغريات والصوارف ووسائل اللهو تضاعفت الحاجة إلى قيامها، وتعددت الوسائل التي تستخدم فيها، وما أحوج الطلاب اليوم إلى مراكز يتعلمون من خلالها كيف يتعاملون مع وسائل الاتصالات الحديثة بمهارة، ويتلقون توجيهات تبعدهم عن مواطن الشبه، وتحصّن أفكارهم عن مزالق المنحرفين الذين باتوا يندسون خلف هذه الأجهزة، ويرسلون شبهاتهم، وينفثون سمومهم، فلا يكاد يخلو بيت منها، ولا ينجو متعلم من شرها.

وهنا أتذكر أول مخيم تربوي دلفت إليه عام ١٣٩٧هـ أقيم في منطقة عسير في أبها بمركز "حجلا" بين أبها والخميس كانت مدته شهراً كاملاً وقد شارك بالعمل فيه نخبة من العلماء والدعاة ومدرسي الجامعة وطلاب العلم، وكان لي شرف المساهمة معهم، وقد استفدت منهم كثيراً، ولا زلت أذكر هيبة ذلك المخيم، وصوت الشيخ علي بن عبد الله جابر رَحِمَهُ اللهُ يتردد وهو يتغنى بالقرآن والجبال ترجع الصوت المنبعث من السماعات بآيات الكتاب الحكيم وهي صورة جميلة ألقت بظلالها على كل العاملين في مخيم "حجلا".

وصورة جميلة أخرى خرج بها العاملون في المخيم وهي الحب المتبادل والتقدير لبعض القامات العلمية التي قامت بتوجيه العاملين والمشاركين فيه، وكان على رأسهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن الراوي، والشيخ مناع بن خليل القطان، والشيخ صالح بن سعود العلي وغيرهم كثير.

وكان من الطلاب المشاركين في ذلك الوقت الشيخ علي بن عبد الله جابر رَحِمَهُ اللَّهُ وكان في ذلك الوقت طالباً بالمعهد العالي للقضاء، والدكتور إبراهيم بن محمد أبو عباه، والدكتور محمد بن عبد الرحمن الفاضل، والدكتور صالح بن محمد الحسن، والدكتور عبد الله بن محمد الخنين، والدكتور ناصر بن عبد الرحمن الخنين. وقد أرسل المخيم وفوداً جابت أجزاء المنطقة الجنوبية تقوم بالدعوة في المساجد وتبصّر الناس بأمور دينهم، وتذكرهم بمسؤولياتهم. وكانت نتائج المخيم عظيمة وآثاره حسنة وقد جاء في وقته وأدى رسالته نسأل الله أن يجزي من أعدّ له ورتب أموره، وخطط لقيامه أحسن الجزاء وأوفاه ووفقه في دينه ودنياه وهو سبحانه المستعان وعليه التكلان.

لجنة التعاقد

لقد جرت العادة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن تشكل الجامعة في كل صيف لجنة للتعاقد على الوظائف الشاغرة بالجامعة ليتم شغلها من المؤهلين من الجنسيات العربية. وفي صيف عام ١٣٩٨هـ أصدرت الجامعة قراراً بتشكيل اللجنة للتعاقد مع عدد من أعضاء هيئة التدريس ومدرسي المعاهد العلمية وبعض الموظفين، وتم تكليفي بالاشتراك مع هذه اللجنة. وكان رئيس اللجنة صاحب الفضيلة الدكتور صالح بن سعود العلي وفقه الله. ومعه بعض الفضلاء أمثال الدكتور عبد العزيز بن زيد الرومي عميد كلية الشريعة بالجامعة في تلك الفترة، والدكتور عبد الكريم اللاحم عضو هيئة التدريس بالكلية في ذلك الوقت. والأستاذ عبد العزيز العقيل رحمه الله مدير إدارة المستودعات بإدارة الجامعة في تلك الفترة. وغيرهم.

وهي أوّل مرة أنتقل فيها من المملكة إلى خارجها، وقد ترددت كثيراً في ذلك السفر، ولكن حرصي على بعض الفحوصات الطبية وضعني أمام خيار لا مفر منه، فحزمت أمري، وأعددت عدتي وتوكلت على الله، وكان خياراً موفقاً، وفرصة طيبة للتعرف على بعض البلاد العربية، وبعض الرجال الفضلاء. والرجال عادة لا يعرفون على حقيقتهم إلا بواحدة من ثلاث. المجاورة، والتعامل معهم بالدرهم والدينار، والسفر، وقد كشف لي ذلك السفر عن أخلاق بعض الرجال وحسن تعاملهم مما جعلني أعيد النظر في بعض قناعاتي. وهكذا هي الحياة لمن أراد أن يستفيد ويعتبر.

وقد كان الأستاذ الدكتور صالح بن سعود العلي وفقه الله قائداً مثالياً للرحلة، لم يدخر وسعاً في اختيار العناصر الفاعلة التي يتوسم فيها الصلاح والقيام بالعمل على الوجه المطلوب. وقد سخر كل ما لديه من طاقة وحسن إدارة للتعرف على القامات العلمية المؤثرة واستشارتهم في اختيار الأفضل. وقد كان له ذلك وقد أعانه على ذلك ما يتمتع به من حسن الخلق ورحابة الصدر، وسعة الثقافة وكرم الطبع، والحكمة والحلم والأناة. وأرى تصرف صاحبنا فأذكر أشج عبد قيس لما يتمتع به من الحلم والأناة. أما حسن الضيافة فلا تستغرب من رجل لا يبعد كثيراً عن ديار حاتم طيء نسأل الله أن يوفقه ويبارك له في أهله وماله وعياله.

وقد استغرقت الرحلة شهرين متتابعين كان المؤنس لي فيها خارج وقت الدوام غالباً سعادة الدكتور عبد العزيز الرومي. فقد استأجرنا سيارة مع سائق فترة غير قصيرة، كانت مهمة السائق أن يوقفنا على المعالم الرئيسة في القاهرة وما جاورها من مراكز حضارية، وأندية ثقافية، ومحلات سياحية وبعض المساجد وقد كان الدكتور الرومي شديد الملاحظة، طويل التأمل راجح العقل.

ومن الأشياء الجميلة في تلك الرحلة زيارة قام بها شقيق زميلنا الأستاذ عبد العزيز العقيل واسمه خالد. وكان يشكو من آلام في ركبتيه، وقد وصف له تقدّم الطبّ في أرض الكنانة ووفرة المهرة وقد استغل الأستاذ خالد فرصة وجود أخيه ومعرفته بأوضاع المصريين، وقد كان الأستاذ عبد العزيز رحمه الله يكلّف سنوياً بالمشاركة في لجنة التعاقد فخبرته بمصر قديمة وطويلة. وقد استصحبه شقيقه إلى أحد الأطباء المشهورين في علاج آلام المفاصل " الروماتزم" وكم كانت الدهشة للمريض وأخيه بالغة، عندما فوجئ الاثنان بطلب الطبيب المعالج أن يجري

للمريض عملية في اللوزتين لاستئصالها. ويستغرب المريض ذلك الأمر ويقول للطبيب، آتيك أشكو من ألم في المفاصل وتستأصل اللوزتين، ما علاقة هذه بتلك؟

ويجيبه الطبيب، هذا شأني، وأنت مريض، وأنا طبيب أعرف ماذا أصنع، وما عليك إلا أن تستسلم أو تعود من حيث أتيت. فسلّم المريض نفسه للطبيب وأجريت له عملية اللوزتين، وتحسنت أوضاع ركبتيه بعد العملية، وقد كان يعاني من تعب شديد. وقد أفصح الطبيب المعالج للمريض أن اللوزتين ملتهبتان وتفرز مواد تؤثر على المفاصل واستئصالها يذهب بها مع إفرازاتها.

وقد آتت الرحلة ثمارها بالنسبة لي فقد تعرفت على بعض الأجزاء من وطن يضم العديد من القامات الفكرية، والقدرات العلمية، وأصحاب المواهب المتعددة وفيه النيل، ولا تسل عن جمال هذا النهر، وجمال الضيافة على العبارات التي تمخر فوق مياهه العذبة، ولا تسل عن حلاوة البطيخ والعنب في موسم الصيف بمصر ولا تسل عن كرم الرفقة الذين كانوا شركائي في هذه الرحلة وحسن تعاملهم، وكان منهم صاحب المعالي الدكتور محمد بن عبد الله العجلان وكان يوم ذاك وكيلاً للجامعة والدكتور عبد الله بن يوسف الشبل وكان وكيلاً للجامعة، ورفقة مثل هؤلاء في الغربة تكشف لك شيئاً من سجاياهم وتوقفك على حقيقة طبائعهم وقد تزيدك علماً وإيماناً.

أما الفحوصات الطبية التي كنت قد عزمت على إجرائها وربما كانت هي السبب وراء رحلتي، فقد وفّقت لمقابلة طبيب كان قد وصفه لي أحد الزملاء هو الشيخ حسن بن علي حرف الحازمي، وكان قد زاره قبلي ووصف لي خبرته ومكانته العلمية، فدلفت إليه، وقد أجرى لي فحوصات طبية، وطلب مني

مراجعته، وقد وصف لي العلاج المناسب وكان الطبيب كما وصفه الزميل حسن الحازمي صاحب علم غزير وخلق نبيل استفدت منه كثيراً ولم يعاودني الأثر الذي شكوته إليه ولله الحمد والمنة.

بقي أن أشير أن هناك في أرض الكنانة من زملائنا من هم أصحاب كرم أصيل وأدب جم، ولقد بذلوا من أجل إسعادنا وإدخال السرور علينا في هذه الرحلة الشيء الكثير، ويأتي في مقدمة أولئك الأستاذ الفاضل محمد عاطف منصور صقر، ولقد تعرفت في تلك الرحلة على والده المعمر، وهو احد مشائخ الأزهر الشريف ومدرس قديم في معهد طنطا نسأل الله أن يغفر له ويرحمه ويتجاوز عن سيئاته.

ومنهم الأستاذ أحمد بن علي إبراهيم، والأستاذ إبراهيم الدسوقي، والأستاذ محمد عرايس، والأستاذ محمد هلال وفق الله الجميع ونفع بهم حيثما كانوا.

هذه لفتات من الرحلة الأولى إلى مصر، وقد تلتها رحلات أخرى إحداها كانت للتعاقد وهي في عام ١٤١٠هـ وكانت قصيرة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً بصحبة الشيخ عيسى بن محمد شماخي وابن عمه الشيخ حسين علي شماخي، والثالثة كانت للإسكندرية لمقابلة الدكتور محمد جمال الدين عزب رحمه الله وكان نعم الطبيب يحمل مع غزارة علمه قلباً رحيماً وتواضعاً جماً وقد بلغني أنه أفضى إلى ربه نسأل الله أن يتجاوز عنه ويسكنه فسيح جناته.

الدورة التربوية في الجامعة عام ١٤١٣هـ

في ظل التطور الذي شهدته جامعة الإمام محمد .بن سعود الإسلامية وبعد تشكيلها الجديد، وبعد أن افتتحت فيها عدة كليات للعلوم الاجتماعية والتربوية وأصول الدين، كان لزاماً على الجامعة أن تطور الجانب التربوي في المعاهد العلمية وهي التي تشكل النواة الأولى في الجامعة، فبدأت بإقامة دورات تربوية لمديري المعاهد العلمية ووكلائها ومدرسيها، لتجديد معلوماتهم التربوية من ناحية، ولتطوير قدراتهم الفنية والإدارية من ناحية أخرى، ولنفض غبار الرتابة والروتين التي خيمت على المعاهد برهة من الزمن.

فأصدرت الجامعة تعليماتها لوكيل الجامعة لشؤون المعاهد العلمية ليبعث استمارات يتم تعبئتها من الراغبين في الالتحاق بالدورات التربوية واستقبل مديرو المعاهد ووكلاؤها ومدرسوها الاستمارات، وتمت التعبئة من قبل الراغبين، وقامت الجامعة بترشيح من تنطبق عليهم الشروط والمواصفات. وفي عام ١٤٠٣هـ كان الدور على مدير المعهد العلمي في صبيا للاشتراك في الدورة التربوية لمنحه " دبلوم تربوي عام".

وقد تيسر لي بفضل الله المشاركة في الدورة التربوية المقامة بكلية العلوم الاجتماعية "قسم التربية" مع عدد من الزملاء من مديري المعاهد العلمية ووكلائها وبعض مدرسيها وبعض المدرسين من وزارة التربية والتعليم. وكان جميلاً أن يعود المدير والمدرس إلى مقاعد الدراسة، ليجدد نشاطه العلمي، ويطور معلوماته ومعارفه، وكانت الدورة فرصة طيبة لينفض الدارس عن كاهله غبار الكسل والخمول، والروتين العقيم الذي فرضته الإدارة، والانشغال بقضاياها،

ولا وسيلة إلا هذه الدورة التي تجدد المعلومات وتشحذ الهمم من فترة إلى أخرى، وقد تيسر لي بجانب الدورة التربوية التسجيل في السنة التمهيدية بكلية اللغة العربية لمواصلة الدراسة العليا، وكانت الدراسة التربوية في النهار، ودراسة السنة التمهيدية بالمساء.

والعاقل عندما يعود إلى مقاعد الدراسة يلمس الخير الكثير الذي يجنيه طالب العلم كل يوم مما يعرض عليه من معارف ومعلومات. وتكون هذه العودة حافزاً له على استغلال وقته، واستثمار ساعاته في المفيد.

وكم كانت سعادتي بالغة بمقابلة عالمين فاضلين على مقاعد الدراسة الجديدة أفدت من أخلاقهما، كما أفدت من علمهما هما: سعادة الدكتور محمد بن عبد الخالق عظيمة يرحمه الله، وسعادة الدكتور محمد بن عبد الرحمن المفدى يحفظه الله، فرغم ما لدى الرجلين من علم غزير وقدم راسخ في العلوم العربية، إلا أن ذلك ما زادهما إلا تواضعاً ونبلاً، فلقد كانت المسألة العلمية تعرض من "الكتاب" في النحو لسيبويه ويصعب استيعابها، ويطول الحديث حول مدلولها، ويتشاور الشيخان مع طلابهما لمعرفة المقصود والمراد من كلام سيبويه دون أن يشعر أحدهما بغضاضة أو يدعي لنفسه فهماً خارقاً. وبالتشاور وتبادل الآراء يخلص الشيخ مع طلابه إلى النتيجة.

وفي تلك الفترة كانت المطالبة الأولى بفتح فرع لجامعة الإمام بمنطقة جازان، حيث تشكل وفد من أعيان المنطقة لمقابلة سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز كان يظم عدداً من الوجهاء وعلى رأسهم الوالد أحمد بن علي عبد الفتاح الحازمي رحمه الله، والشيخان أحمد بن محمد جابر المدخلي، ومحمد بن يحيى القرني رحمهما الله، وكانا قاضيي تمييز والمشائخ علي صديق عريشي، وإبراهيم الشعبي، وإسماعيل الشعبي

رحمهم الله جميعاً، والشيخ محمد بن حسن الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ قاسم الشماخي وكاتب هذه الذكريات.

وقد وجد الوفد الترحيب من الأمير سلطان وأثنى على أبناء المنطقة خيراً وذكر حرصهم على التعليم الشرعي وتوزعهم في عدد من مناطق المملكة لتولي القضاء والتعليم والدعوة.

وقد استمرت الدورة فصلين دراسيين تكللت بالنجاح ولله الحمد والمنة.

وكان من ثمارها الإلمام ببعض النظريات التربوية الحديثة، وتطبيقها عملياً على مستوى التعليم، والأخذ بالأسلوب الحديث الأمثل في التربية حيث لم يعد التلقين والتسلط وفرض الأمر الواقع هو الوسيلة التربوية الفضلى بل لابد من الحوار والإقناع والاحترام المتبادل وتنمية المواهب لإعداد جيل قادر على مواجهة التحديات الحاضرة، وحمل الأمانة بقوة، ونقلها إلى الآخرين، جيل قادر على تلبية حاجات المجتمع المختلفة والمتجددة.

وقد ساعد على ترسيخ هذه المعاني والقيم المبنى الذي أنشأته جامعة الإمام في صبيا والذي كان في موقع مميز يمثل معلماً حضارياً رائعاً، أعان على جلب الدعاة، وإقامة المحاضرات وإقامة الدورات، واستضافة الأمسيات، وإقامة المعارض في صورة لم تشهد لها المنطقة مثيلاً.

الانتقال إلى مبنى المعهد الجديد

في عام ١٤٠٣هـ تم انتقال أسرة المعهد من المبنى القديم الذي أمضت فيه ردحاً من الزمن إلى المبنى الجديد، وكانت نقلة حضارية وثقافية وعلمية وصحية عالية التطور، ولك أن تتصور مبنى قديماً عارياً من أبسط مقومات السلامة نائياً عن المراكز الحكومية، الطرق إليه وعرة، والشوارع الموصلة إليه ضيقة تحيط به معاطن الإبل من كل مكان. ينتقل الطلاب والمعلمون منه إلى مبنى آخر، غاية في الجمال والسعة والنظافة، وعلى شارع مزدوج بعرض ثلاثين متراً لا يفصله عن مركز الإمارة إلا خطوات معدودة، ولا يفصله عن المستشفى العام إلا شارع صغير، تزينه الحدائق والمسطحات الخضراء من كل مكان وعلى يسار الداخل فيه يقوم مسجد عالي البنيان تعانق مئذنته عنان السماء لك أن تتصور الفرق بين المبنى القديم وهذا المبنى المشيّد على أحدث الطرق الهندسية. كيف يكون مردود هذا الانتقال على النفوس، وكيف تكون الفرحة بهذا المنجز الضخم، وما الذي يتطلبه هذا المنجز ممن ينتقل إليه؟

إن من سعادة الحياة للمسلم السعة في الدار، وهذا دار قد وسع الله فيه لساكنيه فليُرُوا من أنفسهم خيراً، فما الخير الذي ينتظره الناس منهم؟

إنه التنافس الشريف في التحصيل العلمي والثقافي الذي يشهد باستحقاق الطلاب لهذا المبنى الكبير، والسباق المحموم في الحفاظ على صيانة هذا المنجز العريق. وقد حصل شيء كثير من ذلك ولله الحمد والمنة.

فما أن وضع الطلاب أقدامهم على ثرى معهدهم الجديد حتى تم توزيعهم حسب صفوفهم على ساحات المعهد، وبإشراف من مدرسيهم الفضلاء ليقوموا

بزراعة الساحات بالنجيلة الخضراء، حيث وفرت لهم إدارة المعهد الوسائل المعينة على الزراعة، ويقوم الطلاب بتنفيذ ما تعهدوا بإنجازه ومشاركة الطلاب في هذه الزراعة تضمن لنا مستقبلاً المحافظة على الأشجار المزروعة والعناية بها وحسن رعايتها، وتكسبهم فوق ذلك الخبرة العملية وتستنفذ أوقات الفراغ لديهم. وتجعلهم في ساعات الفراغ والفسح يستمتعون بالجلوس في مكان نظيف ومزروع وبارد وقد كان لهم ذلك.

بل إن الملعب الذي كان يمارس فيه الطلاب طابور الصباح، ويجرون فيه بعض المباريات الدورية كان مزروعاً بالنجيلة، وكانت النجيلة تسقى من مياه بئر ارتوازية حفرتها الجامعة، ووفرت لها الغطاسات والشبكة داخل سور المعهد.

هذه العناية بالشكل العام ومداخل المبنى ومخارجه ومواقفه، كان لابد أن يصاحبها عناية بالمضمون بالجوهر بل إن الجوهر هو المقصود أصلاً بالعملية التربوية وما هذه إلا وسائل تعين الطالب على التحصيل وتساعده في الإقبال على الدراسة بنفس مطمئنة، وبصدور منشرحة، وبروح وثابة، فتتوسع مداركه، وتزداد ثقافته ويتحسن سلوكه ويغدو أثر ذلك واضحاً على حياته.

وقد ضم المعهد في هذه الفترة عدداً من المدرسين ممن تخرجوا فيه كانوا رجالاً يقدرون المسؤولية حق قدرها، ويتنافسون في تقديم ما تسعد به النفوس وتسر به القلوب، وقد عادوا ليردوا الجميل الذي وهبهم إياه مشائخهم الكرام أثناء الطلب فيه. والتقى الآباء مع الأبناء ليؤدي الجميع رسالة طالما تعارفوا على أهميتها ووجوب الإخلاص في نشرها بين الناشئة فكانت فترة من أزكى الفترات للعطاء والإنجاز.

وقد تخللتها أنشطة ثقافية، وندوات علمية، ومحاضرات فكرية، وأمسيات شعرية شهدها العديد من العلماء والمفكرين والدعاة وطلاب العلم والشعراء من أمثال الشيخ محمد الراوي، ومناع القطان، وعبد الله بن عبد العزيز العقيل، وعبد الله المنيع، والدكتور/ عبد الله بن محمد المطلق، والدكتور/ محمد بن سعيد القحطاني، والدكتور/ ناصر بن سليمان العمر، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والدكتور/ زاهر بن عواض الألمعي، والشيخ زيد محمد هادي المدخلي، والدكتور محمد بن عبد الله الدويش، والشيخ أحمد بن فرح عقيلان، والدكتور/ عبد الرحمن بن صالح العشماوي، والدكتور محمد العيد الخضراوي.

وهنا لا أنس كلاماً يقوله أحد المعجبين بالمعهد وهو مزارع يقيس الثمرة في المعهد على زراعته فيقول: " جزاكم الله خيراً فما أحسن ما تندبون من البذور لبستانكم "وهو يعني حسن اختيار المدرسين للعمل في المعهد.

دورة الأئمة والمؤذنين المقامة بالمعهد

تحدثنا في صفحات سبقت عن الأنشطة التي كان يقدمها المعهد العلمي للمجتمع في محافظة صبيا، ومن تلك الأنشطة الاستجابة لطلبٍ تقدم به فرع الوزارة للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، يرغب فيه إقامة دورة للأئمة والمؤذنين بمحافظة صبيا.

وبعد دراسة الطلب، والاستئناس برأي الجامعة، تمت الموافقة على الدورة، وتشكيل الفريق المشارك فيها من مشائخ المعهد، وتم تسجيل أسماء الراغبين في الدورة وتحديد الموعد لإقامتها.

وقد شهدها عدد من الأئمة والمؤذنين، وشارك فيها نخبة من العلماء وطلاب العلم واستمرت ٢١ يوماً، وكانت نتائجها مباركة، استفاد من الحضور فيها ما يزيد عن ٢٠٠ إمام ومؤذن.

وهذا الصنف من المجتمع هو المعلّم في الحيّ وهو الذي يساهم بشكل مباشر في توجيه الناس، والعناية به وتثقيفه وتوجيهه لكل خير يؤتي ثماره طيبة حسنة. بل هو الوجه الإعلامي الداخلي الذي يتعامل مع كل شرائح المجتمع، فإذا رغب الصالحون بتسويق البضاعة الصالحة، فلتتم العناية، وليتم الحرص على هذه النوعية من الناس لتعينك على نشر الخير وتسويقه بين شرائح المجتمع.

وقد صاحب الدورة العديد من المحاضرات العلمية، والدروس العملية التي أضفت عليها شيئاً من التجديد وأعطتها نكهة اجتماعية واضحة ومميزة وقد أعدّ المعهد في نهاية الدورة حفلاً خطابياً شهده صاحب المعالي وزير الشؤون

الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تلك الفترة الدكتور/ عبدالله بن عبد المحسن التركي الذي كان وراء إقامة هذا الصرح العلمي المتميز، والذي لم يشهد من قبل استواءه على سوقه. وقد سره ما رآه في المعهد من إنجاز وسرّه مثل هذه الدورة، وما هُيئ لها من وسائل في هذا الصرح الشامخ.

وقد وزع معاليه على المشاركين في الدورة شهادات الحضور، وعلى العاملين شهادات الشكر والدروع، ووجه الجميع بكلمة ضافية ذكرهم فيها بمسؤولياتهم والأمانة الملقاة على عواتقهم، من خلال المنابر التي يتحدثون من خلالها إلى الناس وقد رأى معاليه ثمرة جهده ونتيجة عطائه مرتين من خلال طلابه الذين ينتشرون في المعاهد والمدارس ويملأون الساحات توجيهاً وتعليماً ودعوة.

ومن خلال المبنى بل المباني التي أمر بتشييدها في المنطقة أثناء توليه إدارة الجامعة، الأمر الذي يطمئن كل عامل مخلص أنّ أيّ جهد يبذل في سبيل الخير فلن يضيع أثره وعلى قدر هذا الجهد يكون الجزاء.

وأن من الأعمال الصالحة التي يرجو المرء أن تكون صدقة جارية، تشييد الصروح العلمية التي يتعلم فيها الناشئة علوم الكتاب والسنة وأنها من أفضل القربات وأجل الحسنات. نسأل الله ألا يحرم شيخنا أجر ما صنع، وألا يحرم كل من شارك في الإشراف والتخطيط والتوجيه والمتابعة. وأن يجعل الدورة وما قدم فيها من علوم وتربية وتوجيه في موازين حسنات الجميع.

معرض الكتاب الأول بالمنطقة

لم تكن فكرة معارض الكتب معروفة لدى منطقة جازان، ووجود الكتاب وحضوره قريباً في متناول يد القارئ يساعد على اقتنائه والاستفادة منه، وجاءت فكرة معرض الكتاب بعد وجود المبنى الذي يعين على نشر الكتاب ويوفر الصالات المناسبة للعرض، ويستقبل جماهير الناس الراغبة في الشراء، والمتطلعة إلى الثقافة.

تمت مخاطبة الجامعة بالمشروع واستئذان المختصين في إقامته ولم تطل المخاطبة كثيراً حيث لقي المشروع تجاوباً لدى العاملين بالجامعة وجاءت الموافقة، وتمت مخاطبة دور النشر المشاركة والفاعلة وأقيم المعرض بعد أن استوفى حقه من الدعاية والإعلان.

وكان لابد وهو أول معرض يقام في منطقة جازان أن يشارك في افتتاحه صاحب المعالي أمير منطقة جازان في تلك الفترة الأمير محمد بن تركي السديري.

وقد استعد المعهد لهذه المناسبة الكريمة بتشكيل فرق متعددة من منسوبيه تتولى التخطيط والتنظيم والإعداد والاستقبال والإشراف والضيافة. وقد كانوا جميعاً رجالاً عند مستوى المسؤولية الملقاة على عواتقهم، وفي كل أمرٍ أسند إليهم.

وقد أُعد لتلك المناسبة حفل خطابي تخللته مسرحية عن القات. والقات مشكلة أو قل معضلة اجتماعية يعاني منها المجتمع في منطقة جازان كانت ولا تزال وراء كل تخلف وضياع اجتماعي. بل وراء كل هدر للمال والوقت.

وكم هي معاناة الأسر من هذه المشكلة التي تؤرق كل غيور وتنذر بالكثير، وقد تناولت المسرحية الجوانب السلبية لآفة القات، وحللت آثارها الضارة على الأسرة وعلى الناشئة، وعالجت بشيء من الحكمة والعقل السلبيات مما جعل صاحب المعالي أمير المنطقة يشيد بالعرض ويعلق أن هذا الأسلوب هو أفضل الأساليب لعلاج هذه الظاهرة، والوقوف في وجه المتعاطين والمروجين، أما أسلوب العنف والشدة والمطاردة والتشهير أو حتى الخطابة والمعالجة عن طريق المنابر كل ذلك لم يعد مجدياً.

وقد جعلته هذه المسرحية يرشح المعهد ليكون عضواً في اللجنة الثقافية لتطوير وتعمير فيفاء. ويساهم بما لديه من تجربة ثقافية وإدارية في تقديم الصورة المناسبة لعلاج مشكلة القات.

وقد ساهم المعرض بما قدمه من كتب تحمل التراث الفكري والثقافي والأدبي والاجتماعي، وأعطى صورة جميلة لشريحة كبيرة من أبناء منطقة جازان، وكشف عن حرصهم على العلم والعمل وتسابقهم في التعرف على الكتاب واقتناء النافع منه.

وقد أمضى المعرض الفترة المحددة له، وطلب التمديد وأعطي ذلك، وكانت تجربةً ناجحة مفيدة، تلتها تجارب عديدة على مستوى المعاهد العلمية الأخرى الموجودة بمنطقة جازان وعلى مستوى كلية المعلمين بالمنطقة التي كانت تتبع وزارة التربية والتعليم. وقد أخذت عمادة المكتبات بجامعة جيزان اليوم الدور فأصبحت تقيم في كل عام معرضاً للكتاب، يضم العديد من الكتب والأجهزة ووسائل التعليم الحديثة، نسأل الله أن ينفع بها، ويجعل ما تقدمه نافعاً لطلاب العلم ورواد المعرفة.



صورة لمعالي أمير المنطقة ومعه مدير المعهد في مسرح المعهد العلمي في صبيا



صورة لمعالي أمير المنطقة وهو يطلع على معروضات معرض الكتاب



صورة لمدير المعهد العلمي في صبيا وهو يلقي كلمته بمناسبة افتتاح معرض الكتاب



صورة لمعالي أمير المنطقة محمد بن تركي السديري وهو يستلم هديته من معرض الكتاب



صورة لأمير المنطقة وهو متجه لمسرح المعهد العلمي في صبيا لحضور الحفل الخطابي



نموذج من الحضور في حفل معرض الكتاب الأول المقام في معهد صبيا

الزراعة في جازان وهواجسها

الزراعة في منطقة جازان هاجس يحتل مركز الصدارة أو يحتل مساحة كبيرة في ذهن كل مواطن من الجيل المتقدم. وذلك لأن حياة الناس كانت مرتبطة بالزراعة، وعندما تلقي نظرة على التجمعات السكانية الكثيفة في منطقة جازان تجدها على ضفاف الأودية. ففي الزراعة مادة غذائهم، والوسيلة لتربية ماشيتهم، ومنها كانت السيولة المادية التي تعينهم على توفير مصادر حياتهم.

ولذلك لا يستغرب ولع الناس في المنطقة بالأراضي الزراعية وحرصهم على اقتنائها والعمل فيها بكل طاقاتهم حتى وإن قل المردود المادي من وراء العمل فيها.

والزراعة وإن لم تكن ذات جدوى مادية كبيرة في الوقت الحاضر إلا أنها لا تخلو من الأجر والثواب لمن احتسب ذلك عند الله، فكم من العمال والطير والدواب ممن ضاقت بهم الحيل يجدون في هذه الزراعة وسيلة للعيش ومصدر رزق يقتات منه الجميع، ومسلاة عن اللهو والعبث.

وأكثر من ذلك فالزراعة حياة للأرض تبدو من خلالها عظمة الخالق سبحانه وتعالى في توفير ما يحتاجه هذا المخلوق عندما يضع البذرة في الأرض ويسقيها، يتولى الخالق جل جلاله شؤونها وتربيتها وإنماءها وإخراج ثمرتها ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٧].

نعم: إن الله الخالق الذي يتولى زراعة الأشجار وإنماءها وإخراجها ويعدد ثمارها وينوع محاصيلها، فسبحانه من خالق عظيم، ورب رؤوف رحيم.

أقول هذا وقد لفت انتباهي أحد أبنائي وفقه الله، وهو يتصفح مسودة ما كتبته من هذه الذكريات فيسألني وأين الحديث عن الزراعة والمزرعة وهي تشغل من وقتك كل يوم ما يقارب الساعة؟ فنبهني وأجبرني على كتابة شيء من ولعي بالزراعة وحرصي عليها منذ الصغر.

نعم: الزراعة هاجس المواطن في جازان وأكرر ذلك، فحياة الوظيفة ومردود التعليم الاقتصادي، واستغناء المواطن عن الزراعة هذه أمور حديثة النشأة جدّت من قريب في حياة الناس. وما عرفها الناس إلا في الثمانينات وما وليها. أما قبل ذلك، فقد كان كل الناس مع الزراعة الرجال والنساء والكبار والصغار والشيب والشباب، وكان الثراء لا يعرف إلا بالزراعة، والسعادة لا توجد إلا مع الزراعة، وشغل أوقات الناس لا يعرف إلا في الزراعة، والصدقة وفعل الخير لا يوجد إلا بالزراعة، الكل يتعامل معها، ويتعاون في سبيل إنجاحها وتنميتها.

وصاحب الأرض عادة لا يستطيع إحياء أرضه بالزراعة لو لم يتعاون معه غيره ممن يجاورونه، أو يتعاملون معه ويقدمون له العون والمساعدة والكل يتقاضى أجره من الزراعة. وهكذا كانت الزراعة كل شيء في حياة الناس.

ينتظرون مواسم الخريف بكل شوق وحرقة، فإذا نزل المطر وسالت الأودية والشعاب، وارتوت الأرض، اتجه الناس إلى مزارعهم يحرثونها ويزرعونها ويتعهدونها بالتنظيف والحماية حتى يتم الحصاد، وتجمع الغلال ويأخذ كل واحد نصيبه، من تلك الثمرة. إما لملكه للأرض، وإما لجهده وعمله فيها، وإما لشراكته لصاحب الملك.

وقد كان كاتب هذه الأسطر ممن أدرك الزراعة وهي في أوج عطائها وشارك في الرعي والسقي والحماية، وأشرف على الحصاد وجمع الغلة، وتركت كل تلك آثارها في نفسه وأكسبته شيئاً من الخبرة والدراية والولع بل العشق للأرض والزراعة فيها.

وعندما عاد من غربته الدراسية والوظيفية إلى المنطقة بدأ مشاريعه الزراعية، ولكن ليس بالطريقة التقليدية، بل حاول الاستفادة من معطيات العصر، وأدخل بعض التجديد على الزراعة كغيره من أبناء المنطقة وذلك باستخدام الكهرباء في استخراج المياه الجوفية، والريّ بالتنقيط واستعمال المبيدات الحشرية للآفات الزراعية، وزراعة أشجار المانجو والجوافة والتين والبابايا ..الخ.

ولكن الانشغال بالتعليم والأعمال الخيرية والدعوية لم تعطه الوقت الكافي للإشراف على الزراعة وتطويرها بالصورة المثلى. فكانت الزراعة عنده محطة استراحة، يأوي إلى المزرعة ليجد فيها متنفساً من العناء، ويستمتع برؤية الأشجار والخضرة، ويقضي بعض الساعات يوجه العمال فيما يحتاجون فيه إلى التوجيه والملاحظة.

وقد تم تخطيط المزرعة بصورة حسنة نالت استحسان العاملين في مشروع الري بوادي جازان، واستحسان العاملين في مزارع وزارة الزراعة، وحسبوا أن صاحب المزرعة يمتلك ثقافة زراعية.

وعندما قدم وفد من وزارة الزراعة ليتعرف على العوائق الزراعية ويقدم الحلول الناجحة لها، اختاروا كاتب هذه الأسطر للحديث عن هذا الموضوع، فكانت الورقة التالية، وقد سجلتها من خلال معرفتي المحدودة بالزراعة وخبرتي النظرية.

آملاً أن يكون فيها رصد لواقع أحوال الزراعة في الفترة التي قدمت فيها الورقة، وفي منطقة جازان. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد.

فأحييكم أيها السادة الحضور في هذا اللقاء المبارك الميمون، وأرحب بكم أصالة عن نفسي، ونيابة عن المزارعين في منطقة جازان، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا اللقاء نافعاً ومفيداً، وأن يبارك في الجهود التي تبذل في سبيل تنمية البلاد، وأن يوفق ولاة الأمور في متابعتهم لتطوير المنطقة، وإيجاد الحلول المناسبة لكل العوائق.

وجميل جداً أن يلتقي أرباب التجارة وأهل الصناعة مع المزارعين في دائرة واحدة، يأخذ بعضهم بيد بعض، ويعين بعضهم بعضاً على حل المشكلات وتجاوز العقبات، ولئن كانت التجارة والصناعة في بلادنا تجد العناية والرعاية من الغرف التي أنشئت لتوجيه سيرها، وتنظيم خطواتها، فإن الزراعة في أشد الحاجة إلى كليات علمية ومراكز بحثية تناقش أمورها وتعالج مشكلاتها الزراعية وهي تمثل القاعدة الأساسية التي تقوم عليها حياة الأمم والشعوب في سائر بلاد العالم أحوج ما تكون إلى من يأخذ بيدها فيطورها، وينميها، ويحسِّن من نوعية الإنتاج لتتبوأ مكانتها فتسد الحاجة، وتغطي النقص في الأسواق وتساهم في تطوير الصناعة والتجارة . وذلك في ظل المقومات الأولية للزراعة، من توفر التربة الصالحة، والمياه العذبة، والأيدي العاملة، والدعم غير المحدود من ولاة الأمور.

أيها الأخوة الأعزاء: الزراعة في منطقة جازان هي الهاجس الأول الذي ينظر إليه المواطن ليشكل رافداً ثراً من روافد التنمية في المنطقة. وقد كانت المنطقة في يوم ما تعتمد على الزراعة والزراعة وحدها. منها مادة غذائها، ومن محاصيلها تصرف رواتب الموظفين، وتدفع أجور العاملين، ويتصدق على الضعفاء والمساكين، واليوم وفي ظل التطور الحديث، وعصر التقنية، وسرعة الاتصالات أصبحت الزراعة والأرض الزراعية تشكل عبئاً ثقيلاً على أصحابها. فالذي تأخذه الحمية وتدفعه الغيرة على أرضه وتراث آبائه وأجداده يصرف على مزرعته قوت أولاده، ورزق عياله، والذي تبلد إحساسه الزراعي، وقلّت غيرته على التراث يترك أرضه ترعى فيها السائمة، وتنبت فيها الحشائش الغريبة، وربما عهد بعضهم بأرضه إلى شريك يحافظ على حدودها، ويستثمر خيراتها المحدودة في أيام المواسم وعند نزول الأمطار، هذه يا سادة بعض أحوال الزراعة اليوم في منطقة جازان.

وإذا كنا نبحث عن المقومات التي جعلت الزراعة تتعثر خطواتها، ويقل مردودها وننشد الحلول المثلى لنتجاوز المرحلة التي تعيشها الزراعة اليوم، فإن التشخيص الدقيق لأي مرض يساعد على علاجه، وقديماً قال أصحاب الأصول: " الحكم على الشيء فرع عن تصوره".

وهذه بعض الرؤى التي أراها أضعفت الزراعة، وقللت من مردودها وهي كما يلي:

١- أسباب طبيعية وهي شح الأمطار وعدم نزولها في المواسم المعتادة، وهذا لا تدخل للبشر فيه إلا من جهة واحدة، وهي تحسين علاقتهم بربهم وحسن ظنهم به وهو الذي يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٢- ارتباط كثير من الشباب والناشئة بالتعليم، والوظائف الحكومية ووجود دخل محدود يكفي لسد لقمة العيش، واقتناء سيارة وبناء منزل متواضع ولو بالتقسيط. وسهولة الحصول على ذلك الأمر، وتوفر الفرص فيه، وذلك قبل أربع سنوات أو خمس على الأقل.

٣- المشقة التي يعاني منها المزارعون في أعمالهم، وعدم وجود مردود إيجابي يدفع على المغامرة في اقتحام هذا الميدان وطرق أبوابه.

٤- ضعف الإمكانيات المادية، وقلة العمالة، والمال عصب الحياة.

وهـي اللسـان لمـن أراد فصـاحة ** وهـي السـلاح لمـن أراد قتـالا

٥- ضعف الإعانة التي يقدمها البنك الزراعي للمزارع أو انعدامها وقد كان يعطى إعانة سخية، تمكن المزارع من ممارسة عمله وتشجعه على مضاعفة جهده.

٦-نقص الخدمات التسويقية مثل مراكز التجميع، ووسائل النقل المبردة مع عدم الاهتمام بالعمليات التسويقية مثل فرز المنتج ووضعه في عبوات صغيرة حسب حاجة المستهلك.

٧- سيطرة التجارة والوسطاء على أسواق الجملة. وحصولهم على النصيب الأكبر من السعر، والمنافسة الشديدة من المنتجات المستوردة.

٨- ضعف أو انعدام الإشراف على المنتج الحالي مما يعرضه للإصابة بالآفات الزراعية، ويقلل من غزارته، ويضعف منافسته.

٩- ارتفاع أسعار الوقود والتيار الكهربائي، والبذور والأسمدة والمبيدات الحشرية، مما يفوت على المواطن العادي الاستفادة منها.

١٠- عدم توفر طرق زراعية تساعد على نقل المحصول بسهولة ويسر، ودون أن يتعرض للتلف أثناء النقل، وتحافظ على تحسين المنتج أثناء فترة التزهير.

هذه بعض المعوقات التي ساعد الوقت على طرحها، وإن كان هناك معوقات أخرى لا يدركها إلا أصحاب التخصصات، وأهل هذا الفن من المهندسين الزراعيين وخبراء التسويق.

وللخروج من هذه المعوقات نطرح الحلول التالية:

أولاً: لابد من مسح للأراضي الزراعية بالمنطقة لمعرفة الزراعة الصالحة في كل موقع حسب توفر المياه، ونوعية التربة.

ثانياً: لتحسين المنتج الحالي ينبغي الاستفادة من مشروع الري بوادي جيزان وذلك بدعمه، وتكليفه بالإشراف المباشر على المزارع الموجودة حالياً، وتطوير المنتجات، وتقديم الإعانات، وتوزيع الشتلات، والطعوم مجاناً.

ثالثاً: البنك الزراعي يعين في الوقت الحاضر الماتور والحراثة، ولابد أن تشمل الإعانة حفر الآبار، والمضخة مهما كان نوعها، وشبكة الريّ، والمصدات والشتول والطعوم، والشِّيوَل المسوي للأرض، ويقدم قروضاً سخية مغرية، تعين المزارع على البداية القوية، ويتابع الزراعة، ويؤجل استيفاء القرض حتى يستقيم عدد المزارع ويستوي على سوقه.

رابعاً: إيجاد تسهيلات في أسعار المبيدات والأسمدة والبذور، وذلك إما بإعانتها أو رفع الجمارك عنها حتى يصل إلى المستهلك بسعر يمكنه من استخدامها والاستفادة من أثرها.

خامساً: إيجاد الحلول المناسبة لمشكلة تسويق المنتج المحلي وذلك من خلال:

أ) توفير مستودعات للتبريد لحفظ المنتج وتعبئته وتسويقه حسب الحاجة وتكون هذه المستودعات معانة من البنك وبقروض طويلة الأجل.

ب) تطبيق المواصفات القياسية السعودية على المنتجات المستوردة لحماية الإنتاج المحلي من منافسة المستورد الرديء والذي يباع بأسعار متدنية، والمستهلك لا يعرف ضرره.

ت) الاهتمام بالدراسات التسويقية، ومعرفة الأسعار في الداخل وعلى مستوى دول الخليج والدول المجاورة، وذلك لغزو الأسواق، والحصول على العائد الربحي المناسب.

سادساً: لابد من إيجاد مركز أو مراكز للأبحاث مهمتها دراسة التربة والمياه ومعرفة الأوبئة المستوطنة ومعالجتها، وتطوير المنتج الحالي وتحسينه ليقوى على منافسة المنتجات المستوردة.

سابعاً: العمالة تشكل عائقاً كبيراً في تطوير الزراعة، لا من حيث توفر العامل فحسب بل ومن ناحية التدريب. فإذا توفر العامل فإن تدريبه على الزراعة المتطورة يحتاج إلى وقت طويل، لذلك لابد من تيسير سبل الحصول على العمالة النظامية، حتى يمكن تدريبه، والاستفادة من جهوده.

ثامناً: الاستثمار الزراعي يحتاج إلى إمكانيات مادية، وجهود فنية وهذا دواء لا يوجد في صيدليات المنطقة، فهل يفزع أصحاب رؤوس الأموال بالتصدي لهذه القضية، والعمل على استئجار الأراضي من أهلها واستثمارها بما يعود بالنفع العام على المواطن والمستأجر.

ذلك ما أحسبه سيسهم إلى حدٍ كبير في لفت الانتباه لهذه المنطقة واستفادة أراضيها، وتشجيع أصحاب الحيازات الصغيرة للاستفادة من حيازاتهم، والخروج عن الفهم الذي يحول بينهم وبين التطور الزراعي الحديث.

تاسعاً: وأخيراً يجب أن يصاحب التوجه الزراعي وتنميته في المنطقة وغيرها احتسابٌ للأجر عند الله سبحانه وتعالى فيما يقدمه المزارع والمستثمراً فإن في الزراعة أجراً يدخره الله لمن قصد وجهه وابتغى عمارة الأرض، ليستفيد منها الطير والحيوان والمسافر والمنقطع وذو الحاجة، والعامل الذي يعول أسرة في بلاده هي في أمس الحاجة إلى رفدِهِ وعطائه. فإذا توفرت هذه النية مع الأخذ بالأسباب الموجبة للإنتاج الحسن حصلت التنمية وسعدت الأرض والبلاد وسعد الناس وانتعشوا.

على أن هذه الوسائل يمكن تنفيذها على المستوى القريب، أما الوسائل التي يستفاد منها على المستوى البعيد فمحلها كتب الأبحاث والدراسات الأكاديمية والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المعهد في صبيا يستقبل طلابه المعلمين

بعد مضي عشر سنوات من تأسيس المعهد العلمي في صبيا، بدأ المعهد يستقبل الدفعات الأولى من طلابه الذين تعلموا فيه، وذلك بعد حصولهم على الشهادات الجامعية. ومن توفيق الله لطلاب المعهد الذين واصلوا دراساتهم الجامعية أن يعودوا وقد أنشئت بمحافظة صبيا إدارة لتعليم البنين، تستقبل وتستوعب الأعداد مهما كثرت. فجزء من المتخرجين عاد للمعهد وجزء عاد ليعمل في التعليم العام، وبعضهم واصل دراسته العليا، وبعضهم تم ترشيحه للقضاء، وبعضهم اتجه للكليات العسكرية.

وقد كان أغلب الطلاب المتخرجين من ذوي الهمم العالية، والشيم الوافية، يحفظون لمشائخهم قدرهم، ويعترفون لهم بفضلهم، وقد عادوا ليقوموا بالدور المنوط بهم من تعليم الأجيال، والإسهام في رفع الجهل عن كاهل أبناء الأمة.

وقد أعانهم على أداء رسالتهم ما يتمتعون به من قدرات فائقة، ومواهب متعددة، وأخلاقٍ عززتها دراساتهم الجامعية الموجهة. فما أن بدأت الدفعات الأولى تأخذ مواقعها في إدارة التعليم حتى لَـمَسْتَ انتشارهم في المدارس وفي إدارة التعليم. يشعر كل واحد منهم أنه على ثغرة لا يعطى للشيطان فرصة للدخول منها.

وكم هو جميل وسار أن ترى ثمار غرسك، وتقطف زهرة جهدك وأنت على قيد الحياة. فيزيدك ذلك الأمر سعادة وغبطة وسروراً. وأنت تباهي بهؤلاء الرجال الذين هم على قدر كبير من الوعي والاستيعاب والاستشراف للمستقبل. قلوبهم عامرة بالإيمان، وأعمالهم مكللة بالإحسان، ونفوسهم مشوقة لرضا

الديان، وكلهم ممن تعلموا في يوم من الأيام على يديك، وسمعوا منك النصيحة، وأنصتوا للتوجيه. وأنت ترجو أن تكون شريكاً لكل مثاب منهم في ثوابه، وتأمل ألا يحرمك الله دعوة من صالحيهم، كيف وقد كنت السبب بعد الله في تهذيب أخلاقه، وتوجيه مسيرته. وهذا الأمر هو الذي يميز المعلم والمربي عن غيره، ممن يحتسب أجر هذا التعليم ويبتغي به وجه الله، ويرجو أن يكون له ذخراً يوم لقائه.

حلقات القرآن الكريم في الظبية

القرآن الكريم نور وهداية، هو حبل الله المتين وسراجه المبين، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن ابتغى الهدى من غيره ضل. تعلمه في الصغر يكفل لطالبه استقامة اللسان، وحسن البيان، وثبات الجنان، والتفوق على الأقران. وإذا تولى تعليمه مرب فاضل يرجو ما عند الله، ويبتغي ما أعدّ الله لأهل القرآن انعكس أثر تعليمه على طلابه، وغدوا صورة حسنة وقدوة طيبة في مجتمعهم. وقد وُفِقَتْ إدارة التعليم في محافظة صبيا -وهي تحتضن عدداً من مدارس تحفيظ القرآن الكريم- لاستقدام عدد من المعلمين الفضلاء، ممن نحسبهم والله حسيبهم كانوا أصحاب حرص على نشر ثقافة تعليم كتاب الله وحفظه، وإشاعة ذلك في صفوف الناشئة من خلال مدارس التحفيظ النظامية ومن خلال حلقات تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في المساجد.

وقد كان للشيخ الفاضل محسن بن جبران السبعي رحمه الله اليد الطولى في الحث على إقامة الحلقات، ونشرها في المساجد، ومتابعتها، وجلب المكافآت للعاملين فيها من أهل الخير والفضل والصلاح. وقد كان يتواصل مع بعض الموسرين في مكة المكرمة ممن يدعمون الحلقات والمدرسين العاملين فيها، ويصرفون بعض المكافآت التشجيعية للطلاب.

وقد أعانه على مشروعه المبارك عدد من المدرسين في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، وكان في مقدمتهم الأستاذ الفاضل/ محمد أبو ليلى -رحمه الله رحمة واسعة- وهو مدرس من الفضلاء كان يحمل هم تعليم كتاب الله، ويحرص على نشره بين الناشئة، ويبذل في سبيل ذلك كثيراً من الجهود، ويضحي بالغالي

والنفيس لدعوة الناس إلى تَعَلُّم كتاب الله، ولا يُفوت فرصة ولا لحظة من وقته إلا ويستغلها لهدفه الذي جعله نصب عينيه. وكان ينتقل من مكان لآخر للإشراف على الحلقات والاطمئنان على سير التعليم فيها، وكان يوم الخميس هو يوم الزيارات الميدانية لحلقات التحفيظ البعيدة عن مقر عمله، يزور الحلقات مع الشيخ محسن السبعي ولا يطلب من وراء جهده ذاك إلا الأجر والثواب من الله، بل ويدفع من دخله المحدود الكثير لتشجيع طلابه، ويوفر أجرة السيارة التي يتنقل فيها.

وقد تيسر لي التعرف على ذلك الشيخ والاستفادة منه في فتح الحلقات الأولى بقرية الظبية في المسجد المجاور لداري. وقد نفع الله به كثيراً، وأقبل الطلاب على الحلقة التي بدأها، وقد كان يحسن التعامل مع الطلاب، ويجيد تحفيزهم على التلاوة والحفظ، وقد زاد عدد الطلاب مما جعلنا نستعين بمدرسِيْن آخرين، ونفتح الباب للراغبين. وقد شاركه في مهمته عدد من الفضلاء من أهل القرية ومن زملائه ممن يحملون نفس الهم وهم:

الشيخ المبارك/ حسين بن علي العُمَاري رَحِمَهُ اللهُ، والوالد/ موسى بن علي الحازمي رَحِمَهُ اللهُ، والوالد/ عبد الله بن يحيى بن أحمد خواجي رَحِمَهُ اللهُ، والأستاذ/ كنعان الخطيب -وفقه الله-. هؤلاء كانوا النواة الأولى لحلقات التحفيظ بقرية الظبية، وقد انتظم معهم الجيل الأول من طلاب المعهد واستفادوا من جهودهم، وقد كانت البساطة واليسر والسهولة والتشجيع هو الحافز الذي يدفع بالطلاب للاشتراك في الحلقات.

بقي العمل فترة مع هؤلاء الفضلاء، حتى تم تأسيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بمنطقة جازان، ثم انضمت الحلقات للجمعية، وتطورت

الحلقات، وأنشئت لها فروع في كثير من المراكز والمحافظات، ولا تزال تواصل نشاطها وتوالي جهودها، ويشرف عليها نخبة من طلاب العلم وأهل الخير والفضل، نسأل الله أن ينفع بها، ويبارك في جهود العاملين عليها ويرزقنا وإياهم الإخلاص والتوفيق.

زيارة الدكتور السالم بعد تعيينه مديرا للجامعة

لقد تعاقب على إدارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد من القامات العلمية العريقة، فبعد أن ودعها معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، استلم الدور الدكتور محمد بن عبد الله العجلان وهو زميل الدكتور على مقاعد الدراسة وقد كان وكيلاً للجامعة مع سلفه. ثم تبعه الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، واستلم الدور بعدهم الدكتور محمد بن سعد السالم.

والدكتور السالم ابن الجامعة ومن أوائل المعيدين فيها، تخرج في كلية اللغة العربية ثم واصل دراسته العليا خارج البلاد، وتدرج في المراكز حتى وصل لإدارة الجامعة وقد حرص بعد توليه إدارة الجامعة أن يحيي سنة سلفه وشيخه، الدكتور التركي في زيارة المعاهد ليرى عن كثب جهود المعاهد العلمية، ودورها القيادي في المناطق التي تقوم فيها، وقد أُعد له برنامج للزيارة، وتم إبلاغه للمعاهد.

وقد جاءت زيارة الدكتور السالم في الفترة التي بدأ النشاط فيها ينحصر ويُضيّق عليه الخناق؛ بسبب شرارة الإرهاب التي أشعلتها فئة حاقدة لم تراع أمن المجتمع، واجتماع كلمة رجاله مع قياداتهم، وتوحد صفوف أبنائه مع معلميهم، فعاثت في الأرض الفساد وحاولت عبثاً نشر الرعب وتفريق الكلمة، وتوهم بعض الموتورين ظلماً وزوراً أن النشاط الطلابي وحلقات التحفيظ كانت تمول الإرهاب وتساعد على تفريخ عناصره. وهي فرية ظالمة، وحقد لا يستند على دليل، ولا يمت إلى الحقيقة بصلة.

وقد أعد الدكتور السالم مؤتمراً عالمياً بجامعة الإمام دعا للمشاركة فيه نخبة من علماء العالم الإسلامي واستكتبهم في عدة موضوعات عن الإرهاب وطرقه ووسائله، وكيفية علاجه، وقد خرج المؤتمر بتوصيات جيدة، وكتبت في الموضوع مجموعة من الأبحاث، استفاد منها المشاركون في المؤتمر والمدعوون إليه من مختلف فئات المجتمع وشرائحه.

جاءت زيارة الدكتور السالم في هذه الفترة، وقد أعدت المعاهد العلمية كل في مقره برنامج الاستقبال وخطة الزيارة، وقد استقبله الجميع بما يليق به، وكان الرجل يدرك رسالة الجامعة، ويعرف مسؤولية أبنائها في نشر العلم الشرعي، وتأصيل ثقافته.

واطلع على أنشطة المعاهد العلمية، وجهودها في التعليم والتربية والدعوة. وقد وجه الجميع بما يتناسب مع رسالة الجامعة، وتحقيق أهدافها العلمية والدعوية. وقد تولّد لدى معاليه بعد زيارته للمعاهد العلمية في جميع مناطق المملكة وتبادل الآراء مع مديري المعاهد ووكلائها ومدرسيها فكرة لقاء عام في الجامعة يحضره كل مديري المعاهد العلمية ووكلاء الجامعة وعمداء الكليات تطرح فيه هموم المعاهد وآمالها وآلامها، وتعالج بعض القضايا المشتركة بما يكفل سير العملية التربوية بأمان.

وقد حُدِدَ موعد اللقاء سنوياً عند استلام أسئلة الشهادة الثانوية التي كانت تُعد من قبل الجامعة، وينتدب مديرو المعاهد لاستلامها. وقد كُلِّفْتُ في اللقاء الأول بالتحدث باسم مديري المعاهد في الحفل الذي أعد بمناسبة اللقاء.

وقد كانت الكلمة التالية وهي تمثل المرحلة التي كانت تعيشها الجامعة في ذلك الوقت. ولربما كان من بين الزملاء من هو أقدر مني على الحديث وأبلغ في

إيصال رسالة المعاهد العلمية وصوتها إلى الجامعة، ولكنه حسن الظن وتقدير السن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

صاحب المعالي مدير الجامعة أصحاب الفضيلة والسعادة أيها الإخوة الحضور أصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي مديري المعاهد العلمية أحييكم في هذا اللقاء المبارك وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاء نافعاً ومفيداً وأشكر لمعالي مدير الجامعة ووكيل الجامعة لشؤون المعاهد العلمية تفضلهم لتنظيم هذا اللقاء والدعوة إليه وتشريفه بالحضور والمشاركة.

أيها الأعزاء: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية شامة بيضاء في جبين مجتمعنا ودولتنا الغراء، والانتساب إليها شرف لا يوازيه إلا شرف الانتماء لعقيدتنا السمحة، وأي شرف أعظم من أن تكون وارثاً لمهمة الأنبياء الذين كان همهم إسعاد البشرية وإنقاذ الإنسانية من ظلام الشرك وانحراف الوثنية. فالجامعة وهي تقوم بهذا الدور منذ تأسيسها حسب توجيه ولاة الأمور بهذا البلد لا يزيدها ذلك إلا شرفاً ورسوخاً وثباتاً على الحق إن شاء الله وشرف العلم مرهون بشرف المعلوم.

وقد ظهر أثر هذه الجامعة من خلال الكوكبة العظيمة من الرجال الذين تخرجوا فيها فكانوا نجوماً تضيء للسائرين دربهم وللحائرين طريقهم، فما تكاد تطرق باباً تنشد فيه الخير وترجو من خلاله الفضيلة إلا وجدت لجامعة الإمام في ذلك الباب حارساً أميناً يوجه طريقك وينير سبيلك. وهذا لعمر الله العز الذي

ينشده العقلاء وتتزاحم على اكتسابه وتحقيقه همم الفضلاء. وهذه حقيقة لا يجحدها إلا مكابر ولا ينكرها إلا حاقد.

وليس يصح في الأذهان شيءُ ❋❋ إذا احتاج النهار إلى دليل

أيها الإخوة: ويأبى الله إلا أن تكون النواة الأولى لهذه الجامعة المعاهد العلمية، فالمعاهد العلمية كانت النواة الأولى لمسيرة التعليم في هذه الجامعة المباركة حيث بدأت بالمعهد العلمي بالرياض ثم تتابعت المسيرة بكلية الشريعة واللغة العربية وبقية المعاهد والكليات.

ولذلك فقد ارتبطت مناهج المعاهد العلمية بالجامعة ارتباطاً وثيقاً فغدت مناهج الجامعة تبسط ما أوجز في معاهدها، وتوضح ما أبهم في مناهجها، وتفتح آفاقاً جديدة لكل طالب علم يرجو المزيد، وينشد المفيد من كل طارف وتليد، وقد ظهر أثر هذا الارتباط من حسن اختيار المدرس في المعاهد العلمية والذي توليه الجامعة كل عناية، فتصنعه على عينها، وتربيه بيدها؛ ليقوم على شؤون التربية والتعليم في المعاهد العلمية، وتعينه على مواصلة دراسته العليا، وتهيئ له الدورات التربوية والإدارية بين فترة وأخرى.

أيها الأعزاء: ولا يقف الارتباط بين الجامعة والمعاهد العلمية في حدود المناهج وما تدعو إليه، والمدرس وما يهدف إليه، بل هو ارتباط يشمل الأهداف والوسائل والغايات، ارتباط يعطي طالب المعاهد العلمية الحق في القبول بالجامعة قبل غيره من طلاب التعليم العام.

أيها الإخوة: والمعاهد العلمية عقد في منظومة التعليم التي توليها حكومة خادم الحرمين الشريفين -وفقه الله- جُلَّ عنايتها، وجميل رعايتها. تؤدي رسالتها في وقت قد انبهر كثير من الناشئة بسوق العمل، وما يحتاجه من التعليم المهني

والتقني والصناعي، وذهب الشباب يتزاحمون على تلك الموارد. وهي موارد لا نستغني عنها ونحتاج إلى رجال يسدون النقص فيها، ولكن على ألا تُسخر كل الطاقات وتوجه كل القدرات والإمكانات إلى تلك الموارد، وينضب مورد الدعوة والتوجيه من القدرات المميزة، والطاقات القوية. فأمتنا أمة دعوة وهي محتاجة في هذا الميدان إلى رجال يستظهرون النصوص، ويحسنون الفهم، ويستفيدون من الجديد، ويَـخرُجون لكل معضلة بحل.

ولا يقوى على هذا العمل ضعفاء الهمم، وقليلو البضاعة. بل لابد من رجال يحسنون المعالجة لقضايا المنهج القويم في الاعتقاد والفكر والأدب والسلوك. فوجود مثل هذا النوع من الرجال أصبح ضرورة ملحة، ولم يعد من نوافل الجهود وهوامش الاهتمامات. خاصة في مثل هذا العصر الذي رُزِئَت فيه الإنسانية بما أتلف أعصابها من كثرة التفرق والانحرافات، وانتشار الأهواء والمغريات. وأصبحت الأمة في هذه المرحلة الحرجة بحاجة إلى ضوء كاشف ينير لها الطريق ويجلي لها الأمر في جميع المشكلات والعقبات التي تعتري طريقها، ويقدم لها الحلول الناجعة والمعالجات التأصيلية الجادة، وهذه وصفة لا تُصنع إلا في جامعة الإمام، ولا تستخرج إلا من مناهجها ذات النهج الأصيل، والهدف الواضح النبيل على أيدي رجال يستطيعون مواجهة الانحراف بالدليل القاطع من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وهذا يقتضي البحث عن الطالب الأمثل والعنصر الأفضل والتركيز على الجادين ممن يحسنون استظهار النصوص ويَقْدِرُون على فهم معانيها ومعالجة قضايا الأمة.

صاحب المعالي: بقي أن أشير في آخر حديثي هذا المقتضب أن زيارة فروع الجامعة -كما يحلو لكم أن تسموها- سنة حميدة، تُوقِفُ معاليكم على أمور لا تغطيها التقارير، ولا يحسن وصفها التحرير. وقديماً قيل: "ليس الخبر كالمعاينة" أو "وما راء كمن سمع". فحبذا لو تكررت الزيارات ودامت الاتصالات فهي لا تأتي إلا بخير.

نسأل الله أن يرزقنا شكر نعمه ويوفقنا لطاعته وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التواصل بين المعهد والمتخرجين

يعمل المصلحون على أن تكون شؤون أممهم الاجتماعية في نظام وصفاء، ولا تستقيم هذه الشؤون وتخلص من كل كدر إلا حيث تكون الأمة قد استوفت وسائل القوة والمنعة، وهي:

الارتواء من مناهل المعرفة، والرسوخ في مكارم الأخلاق، والاعتصام بحبل الائتلاف والاتحاد، وتوفير الأيدي على العمل لكسب الأرزاق. وهذه الوسائل الأربع إنما تعود على النفس بالطمأنينة، وتذيقها طعم حياة لذيذة، متى سبقها إيمان يضرب بأشعته في كل سبيل.

والسياسة الرشيدة تعلم يقيناً أن للإيمان فضلاً في تقوية صِلَاة الإلفة والاتحاد. وفضلاً في تهذيب النفوس، وانتظام الأمن في البلاد، فتوجه عنايتهم إلى تربية الناشئ على تعظيم أمر الله تعظيماً يتجه بهم إلى أفضل السبل والسير وأحمدها عاقبة. والمعاهد والمدارس التي تُعنى بالأخلاق ويكون معلموها مُثلاً كاملة للأخلاق الراقية. تكون هي الكفيلة بأن تخرج لنا نشأ نباهي بسمو أخلاقهم، قبل أن نباهي بغزارة علومهم، ورجاحة عقولهم، وطلاقة ألسنتهم.

والتعاون الفردي والاجتماعي إنما يصدر عن ائتلاف وتعاطف يجعل الأمة كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، فإن تفرقت القلوب ضاعت المصالح الفردية، واختل أمر المصالح الوطنية، وصارت البيوت بحال القبور، وإن كانت مفتحة الأبواب. وسكانها بحال الجثث الهامدة وإن كانوا لا يستغنون عن الطعام والشراب. والتواصل بين كل مؤسسة تعليمية وتربوية وبين المنتمين إليها بأي صورة من صور الانتماء مطلب ينشده العقلاء والمصلحون ويحرص عليه

العاملون الجادون، وذلك من أجل الحفاظ على الرؤية الصحيحة، وتطوير العمل والارتقاء بمخرجاته، وإبداء الآراء والمقترحات والأساليب والوسائل التي من شأنها أن تضفي على أبناء المؤسسة والعاملين فيها روح الجدة، ومسايرة الواقع الذي لا يدوم على حال. وتقديم الخدمات حسب حاجة المجتمع. وإذا توفر لدى المؤسسة التعليمية نماذج من أصحاب القدرات الحسنة، والمواهب المميزة ممن تدرجوا في السلك التعليمي والمعرفي فسيكونون معالم هدى ومنارات خير يستهدي بها السالكون، ويسير على نهجها العاملون.

وقد حرص المعهد العلمي في صبيا من هذا المنطلق على التواصل مع أبنائه من الطلاب الذين كانوا في يوم من الأيام يستفيدون من مشائخ المعهد ويتلقون على أيديهم رسائل التوجيه ومبادئ الأخلاق وأصول الفضيلة. وقد كان جلّ الطلاب يعودون إلى المنطقة بعد إتمام الدراسة الجامعية ليمارسوا العمل إما في التعليم وإما في سلك القضاء، وإما في السلك العسكري، وإما في وظائف إدارية وبعضهم واصل دراسته العليا وآثر البقاء في مواقع دراسته لعدم توفر الوظائف المناسبة لمستواه التعليمي، وللحصول على المزيد من المعلومات والترقي في الحصول على الدرجات العلمية.

وكان لزاماً على المعهد وهو المهتم بمتابعة أبنائه، والتواصل معهم، كان لزاماً عليه أن يوجد حلقة وصل يلتقي فيها السابقون باللاحقين، ويستفيد فيها المتأخرون من المتقدمين، ويروا ما حققه سلفهم من رتب علمية، ومراكز اجتماعية ومناصب إدارية، وخدمة إنسانية، لعل ذلك يدفعهم لبذل المزيد من الجهد، والحرص على التحصيل، ويحرك فيهم كوامن الخير وحسن التأسي. وقد تيسر ذلك بفضل الله أولاً، ثم بجهود المخلصين من القامات العلمية التي كانت تعمل

في المعهد، وطُرِحَت فكرة اللقاء على الزملاء، وتم تبادل الرأي حول أهميته، وقد نادى الجميع بأهمية الفكرة وجدواها. وبُذِلَت الأسباب مع الجامعة والجهات ذات العلاقة في المنطقة.

على أن ينفذ اللقاء من خلال أسبوع ثقافي يحيي أنشطته طلاب المعهد الذين تخرجوا فيه، ويصحب ذلك معرض للكتاب، يفتتحه صاحب السمو أمير المنطقة مع معالي مدير الجامعة.

هذا اللقاء يتعرف فيه طلاب المعهد على سلفهم الذين سبقوهم في الدراسة وحققوا مراكز علمية متقدمة. وقد وجهت الدعوة للجامعات التي يعمل بها طلاب المعهد خارج المنطقة، وذلك للسماح لهم بالمشاركة في الأسبوع الثقافي وشهود حفل الافتتاح، وقد طُلب من أصحاب الرسائل العلمية طبع رسائلهم، وتقديمها في نسخ فاخرة لراعي الحفل وقد حصل.

وقد اشتمل الأسبوع على عدد من المحاضرات والندوات واللقاءات الفكرية والأمسيات الشعرية، وقد أدى اللقاء الرسالة التي أُنيطت به، وكان محل إعجاب طلاب العلم الذين استفادوا وأفادوا من تبادل الآراء، وتلاقح الأفكار. وقد أدى معرض الكتاب رسالته في تقديم عدد من كتب التراث وتوفير الجديد من الكتب الثقافية والرسائل العلمية. وقد جاء في حفل الافتتاح الكلمة التالية:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبد العزيز أمير منطقة جازان.

صاحب المعالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور محمد بن سعد السالم. أصحاب الفضيلة والسعادة أبنائي الطلاب أيها الحفل الكريم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومرحباً بكم في صرح من صروح العلم والمعرفة وقلعة من قلاع التربية والتوجيه. ومرحباً بكم في لقاء طالما تمنيناه وفي اجتماع طال شوقنا إليه.

صاحب السمو: الطيب من معدنه لا يستغرب والوفاء من أهله لا يستنكر.

وهـل ينبـت الخطـي إلا وشـيجه ** وتغـرس إلا في منابتهـا النخـل

إن تشريفكم حفلنا هذا شرف عظيم نعتز به، وتاج كبير نفاخر به، وهو تشجيع منكم لأبنائكم الطلاب، وشد على أيديهم لمضاعفة الجهد، وبذل المزيد، فشكر الله سعيكم، وبارك في أعمالكم.

صاحب السمو: قبل ثلاثين عاماً كان هذا المعهد نبتة صغيرة غرست في عهد الملك الراحل خالد بن عبد العزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته-، غرست بعناية في محافظة صبيا وقراها لتساهم مع غيرها من دور التعليم في نشر العلم والتربية بين أبناء المحافظة، وقد سُقِيَت هذه النبتة بمياه الجد وعزيمة الصبر، وروح المثابرة، وإخلاص الطلب؛ فأثمرت رجالاً يساهمون في تشييد حضارة هذا الكيان الكبير، المملكة العربية السعودية.

وهاهم اليوم أبناء المعهد الذين تخرجوا فيه، ونهلوا من موارده، ممن يعملون في ردهات الجامعات أو سلك القضاء أو الإفتاء، أو على الثغور حراساً أمناء، أو في التحقيق والإدعاء، أو في مجال التربية والتعليم، أو في مجال الصحافة والإعلام، يجتمعون الليلة في هذا اللقاء المشهود ليشجعوا زملاءهم ممن يسيرون على نفس الطريق، أن ضاعفوا جهودكم، وابذلوا وسعكم. فالطريق ممهد والأمة في شوق إلى بُنَاةِ مجد لحضارتها، وتأصيل حيّ لثقافتها، وهذه وصفة شاءت إرادة الله أن تكون جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هي الجامعة القادرة على إخراجها، وصناعتها، بما فيها من مناهج موجهة وقدرات مؤهلة، ورجال أبصروا الطريق فلزموه، وساعدهم على ذلك دعم سخي وتأييد قوي من حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز -وفقه الله وسدد على درب الخير خطاه-.

صاحب السمو: اجتمع أبناؤكم هذه الليلة في هذا المعهد وفاءً منهم لمعهدهم الذي رباهم صغاراً وشجعهم كباراً ليقولوا للمجتمع الذي يعيشون فيه:

إن التعليم هو الوسيلة المثلى للحياة الفضلى، التعليم هو طريق النجاة وسبيل السعادة في الحياة، التعليم هو خير زاد وأفضل عتاد لطريق المعاد.

وليقولوا أيضاً: التعليم ليس محصوراً فيما يطلبه سوق العمل اليوم من تقنية وأعمال مهنية وطب وهندسة وصيدلة وحاسوب وإن كانت الأمة في حاجة إلى هذه التخصصات، ولكن التعليم في ميراث النبوة. الذي يقول عنه المصطفى ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر»**.

نعم أيها الأعزاء: إن أمتنا الإسلامية أمةُ دعوة، أمة دعوة إلى كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ ولابد أن تكون رائدة في هذا السبيل، ولابد أن يكون فيها علماء

ربانيون، يهدون الناس إذا ادلهمت الخطوب وتعثرت الخطى وتشعبت الدروب. خاصة في مثل هذه الأيام التي رُزئت فيها الأمة بما أتلف أعصابها من كثرة التفرق والانحرافات، وانتشار الأهواء والمغريات، وأصبحت الأمة في هذه المرحلة الحرجة بحاجة إلى ضوء كاشف ينير لها الطريق، ويجلي لها الأمور في جميع المشكلات، والعقبات التي تعتري طريقها، ويقدم لها الحلول الناجعة والمعالجات الجادة.

وهذا يقتضي منا التركيز على الواعين من أبناء الأمة ممن يحسنون استظهار النصوص ويَقْدِرون على فهم معانيها ومعالجة قضاياها، ولا يقوى على هذا العمل ضعفاء الهمم وقليلو البضاعة بل لابد من رجال.

رجال يحسنون المعالجة لقضايا المنهج في الاعتقاد والفكر والأدب والسلوك. فوجود مثل هذا النوع من الرجال أصبح ضرورة ملحة، ولم يعد من نوافل الجهود ولا من هوامش الاهتمامات.

تستطيع الأمة أن تستقدم الطبيب والمهندس والصيدلي وخبير الحاسوب وتستفيد من جهودهم وخبراتهم، ولكنها لا تستقدم العالم الرباني ولا الداعية السلفي ولا القاضي الشرعي. فهؤلاء لابد أن يستنبتوا في تُرْبَتِنا، ويرضعوا من لِبَاننا، ويعيشوا في بيئتنا، ويفهموا نصوص شرعنا، ويقدموا الحلول لقضايانا، وهذه مهمة لا يقوى على القيام بها إلا رجال تعلموا في الكليات الشرعية أو المعاهد المتخصصة، وتربوا على كتب السلف وعرفوا ما فيها.

أيها الأعزاء: لقد آن الأوان لأن يعيد رجال التربية وخبراء التعليم النظر في أوراقهم وتقليب ملفاتهم، وينفضوا ما قد ران عليها من غبار، ليقدموا للأمة رسالة حديثة تتفق مع ما يشهده العصر من تطور وما ينشده العالم من قيم ومثل.

إن المنون باتت تتخطف العلماء الراسخين والمرشدين الربانيين، ولا يلوح في الأفق ما يسد مسدهم أو يقوم مقامهم، وإذا ظهر على الساحة طالب علم عليه ملامح الجد، ومخائل النجابة، وجه للكليات التطبيقية، وبقي للكليات النظرية المتردية، والنطيحة، وما أكل السبع. فمتى يستوعب الناس الدرس وتوجه طاقات الناشئة حسب الاستعداد والمواهب، وتشكل مجالس تربوية في المدارس لإرشاد الطلاب حسب ما يظهر لديهم من ميول وقدرات، وتعطى لهم الحوافز المناسبة التي تغريهم بمضاعفة الجهد وزيادة التحصيل.

صاحب السمو: والكتاب وما يقدمه للناس من تراث عريق ودراسات ميدانية وبحوث متخصصة لا يزال مع تنوع وسائل التعليم هو المصدر الأول الذي يروي غلة الدارسين، ويسد حاجة الباحثين. وكم هو جميل أن تستجيب جمعية الناشرين السعوديين، فتدعو دور النشر والمكتبات للمشاركة في معرضنا اليوم فشكر الله للقائمين عليها جهودهم وبارك في مساعيهم.

وقد وجدها المعهد العلمي في صبيا مناسبة كريمة يدعو من خلالها أبناءه البررة ممن تعلموا فيه وحازوا على درجات علمية أو مراكز عملية، ليشاركوه فرحته باستقبال سمو أمير المنطقة الذي جعل التعليم نصب عينيه وضاعف جهوده حتى أثمرت جامعة جازان.

فشكر الله لسموه هذا الحرص والمتابعة وجعل ما يقدم في ميزان حسناته.

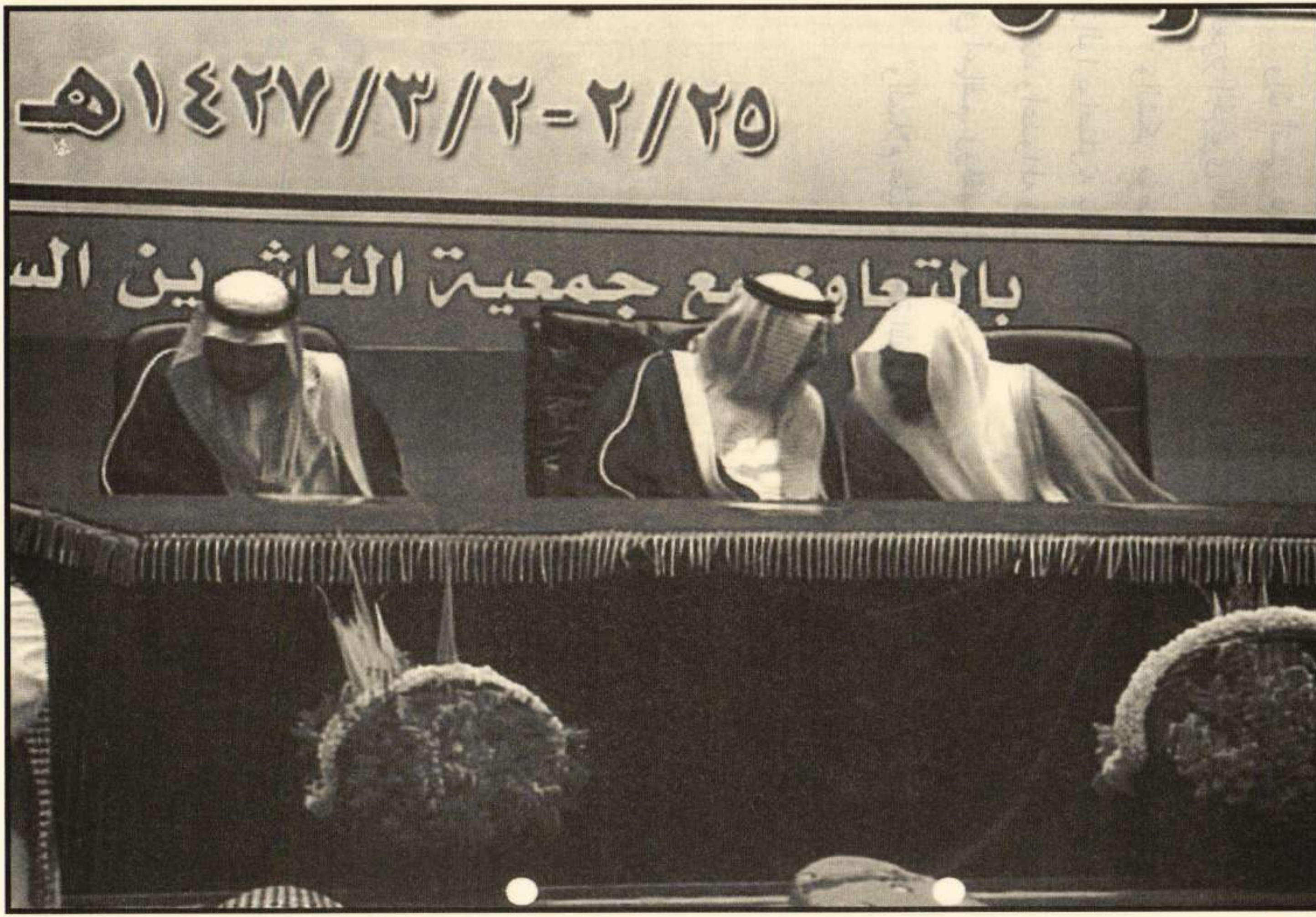
وشكر الله لصاحب المعالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تشريفه حفلنا هذا ومشاركته لقاءنا ودعمه وتأييده لمسيرتنا.

وشكر الله لوكيل الجامعة لشؤون المعاهد العلمية الأب العطوف على المعاهد العلمية الدكتور/ بندر بن فهد السويلم متابعته الجادة لأعمالنا وأنشطتنا.

وإن أنسى فلا أنسى سعادة محافظ محافظة صبيا الأستاذ/ خالد بن عبد العزيز الجريوي الذي يدعمنا برأيه ويسعفنا بتوجيهه.

والشكر موصول لأبنائنا ضيوف هذا الحفل ممن تعلموا في هذا المعهد ولا زالوا يواصلونه بالمشورة والنصح والتوجيه، وللزملاء الذين أشرفوا على هذا اللقاء وأعدوا له ولرجال الصحافة والإعلام فشكر الله للجميع جهودهم وبارك في أعمالهم. ووفقهم لكل خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.


٢٥/٢-٢/٣/١٤٢٧هـ


جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العلمي في محافظة صبيا
تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير
محمد بن ناصر بن عبد العزيز
معرض الكتاب والملتقى الثقافي
٢٥/٢-٢/٣/١٤٢٧هـ


٢٥/٢-٢/٣/١٤٢٧هـ






معرض





قبل الختام

هذا باب كان من حقه أن يتقدم، والذي جعله قبل الختام لأن الحديث عنه كان صعب الولادة، وهكذا كل موضوع يحتل مكاناً هاماً من قلب كاتبه تكون الكتابة فيه متعسرة. قد يكون هذا لدى بعض الناس، وأنا من أولئك الناس الذين إذا غضب أحجم عن الكلام، وإذا أساء لم يحسن الاعتذار، وإذا سره شيء قَصَّر في وصف شعوره، وهذه قدرات ومواهب يمنحها الله من شاء من عباده.

ولقد رأيت من الصعب عليَّ وأنا أسجل ذكرياتي عن المعهد العلمي في صبيا أن أختم الحديث دون أن أشير ولو بكلمات موجزة عن زملائي وأصفيائي وأحبابي في المعهد العلمي من المشائخ والطلاب المشائخ وهم الذين منحوني مساحة واسعة من صدورهم، فقبلوا مني الشدِّة، وأنصتوا مني إلى التوجيهات، ونفذوا التعليمات، ولم يخالفوا لي أمراً، ولم يعتذروا في يوم من الأيام عن طلب وجهته إلى أحد منهم، وكانوا يفهمون مني مالا أحب البوح به، فيقرأون لغة العيون، ويفهمون نبرات الصوت، ويدركون خلجات النفس، ويتعاملون مع أخيهم الأكبر معاملة الابن البار شديد البر بأبيه، هكذا وجدتهم جميعاً، وفيهم من هو أكبر مني سناً كالشيخ غالب النمازي يرحمه الله، والشيخ مشهور الشماخي يحفظه الله، وفيهم من هو قريب من سني كالمشائخ أحمد الحازمي، وحسين قاضي، وعلي الذروي، ومحمد شريف، وحسن جلال، وحسين جريبي، وحسين معافى. ومنهم من هو في درجة ابني وهذا ينساق تحته كل طلابي الذين عادوا للعمل معي كزملاء.

ولم يقف الأمر عند المعلمين وهم قدوات في المجتمع، بل تعدى ذلك إلى الإداريين على اختلاف تخصصاتهم، وتعدد مشاربهم، وتنوع علاقاتهم. فلقد كان الجميع يعمل بروح الفريق الواحد. ويرى أن من مسؤوليته حماية جناب المعهد والحفاظ على سمعته. وعدم التفريط في أيّ جانب من الجوانب التي تمس المعهد أو تخدش سمعة العاملين فيه.

وإذا قدم الضيف أو جاء مسئول أو أقيمت مناسبة فالكل على استعداد للمشاركة بالرأي والجهد والمال. الأمر الذي جعل المعهد يتبوأ منزلة عالية لا على مستوى المنطقة ومعاهدها بل على مستوى الجامعة بأسرها.

وهنا لا أنسى إخوة جمعتنا بهم مهنة التعليم من مصر والسودان والشام كانوا جميعاً رجالاً، نعم كانوا رجالاً لا تلهيهم مصالحهم عن الواجب، ولا تثنيهم رغباتهم الشخصية عن مسؤولية العمل، وما كانوا يحسبون ساعات العمل بالدقيقة والثانية. ولكن متى ما رأوا أن من المصلحة الاجتماع والنشاط والرحلة والزيارة واللقاء، قدموا ذلك على رغباتهم الخاصة.

وكان التنافس بينهم على أشده لإظهار صورة المعهد بالمستوى اللائق، علمياً وثقافياً وفنياً واجتماعياً.

وهنا حق لي أن أبوح بسر لا يعلمه كثير من أصحاب المسؤوليات ومديري الإدارات وهو أنه منذ تأسس المعهد حتى ودعت أروقته وعلى مدار ثلاثين عاماً ما كَتَبْتُ فيه ورقه شكوى من أحد، ولا حررت محضراً بغياب أحد، ولا تلقيت شكوى من أحد.

لا أقول هذا وأدعي أني لم أخطئ، بل كنت أخطئ وقد يكون الخطأ كبيراً، ولكنه وإن وجد فإنه غير مقصود. ومع وجود الخطأ فالزملاء على اختلاف

مشاربهم، وتعدد هواياتهم كانوا على مستوى المسؤولية من رحابة الصدر وسعة الأفق واحتمال الأذى. وهذا الذي جعل العمل في المعهد يسير بروح طيبة وتعاون غير مسبوق.

ولقد هممت بأن أكتب عن كل فرد من الزملاء والأبناء بما أعرف وكلهم - كما يعلم الله- محل الرضى، ولكن الحديث سيطول، وستتحول هذه الذكريات إلى كتاب تراجم. وربما تراجم غير محدودة بالسير الذاتية القصيرة، بل ربما دخلت فيها العواطف فأحالتها إلى سير وجدانية والسيرة الوجدانية لا تخضع لقواعد التقييم الدقيق.

لذلك فضلت أن أذكرهم جميعاً بفضلهم، وأدبهم، وحسن تقديرهم ووفائهم وطيب معشرهم وجميل تعاملهم. راجياً من الله أن يرحم الميتين ويسكنهم في عليين، وأن يوفق الأحياء ويجزل مثوبتهم ويحسن ختامهم، ويعينهم على أداء رسالة التعليم التي هي أشرف الأعمال وأفضل ما تحلت به الرجال والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

التقاعد وحرية النشاط

العمل في الأجهزة الحكومية وفي التعليم له طعم مميز ومذاق خاص بشروطه ومواصفاته، ومن أهم شروطه حسن التفاهم بين العاملين، وإدراك كل عامل لمسؤوليته، والقيام بها حسب الأهداف المرسومة، ووفق المبادئ المتفق عليها. فإذا أُدِيَّ العمل حسب الأهداف ووفق المبادئ والأسس السليمة شعر عند ذلك الموظف بالراحة النفسية والسعادة والغبطة، وضاعف جهده وأثمر نشاطه.

وعندما أقول: العمل في التعليم له طعم ومذاق فلأن التعليم شرف لا يدانيه شرف، فهو مهنة الأنبياء، ورسالة الأوفياء، وسبيل الأتقياء. وهو الشرف في الدنيا والذخر في الآخرة، وهو إذا انقطعت السبل وتوارت الوسائل بقي نوراً يمدك بالزاد، ويؤنسك عند المعاد. واسمع معي يا رعاك الله قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقول المصطفى ﷺ : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: منها علم ينتفع به**» .

نعم: فالمعلم هو الذي ينير للناشئة الطريق، طريق المستقبل، ويأخذ بأيديهم إلى بر الأمان. وهو الذي يوسع المدارك، وينير العقول، ويمد الطلاب بما يحتاجون إليه في مسيرتهم، فإذا استصحب في أدائه النية الحسنة، واستشعر أهمية ما يقدم، وأتقن عمله، لقي من الأبناء الإقبال والتجاوب والحب والتقدير. كيف لا ؟! وهو يبني وينشئ الأنفس والعقول:

أعلمت أشرف أو أجل من الذي ** يبني وينشئ أنفساً وعقولاً

أقول هذا وأنا أودع زملائي وإخوتي وأبنائي بالمعهد العلمي في صبيا أودعهم في عملي معهم بالشكل النظامي، ولا أودع الرجال، ولا المهنة. فالرجال قد حفروا حبهم في حشاشة قلبي، والمهنة أصبحت جزءاً من حياتي، وصفة لازمة من صفاتي. كيف وقد أمضيت فيها مالا يقل عن سبعة وثلاثين عاماً، وهي تمثل الذروة من أيام عمري الزمني ونشاطي العملي. وقد لمست أثناء عملي وبعد تفرغي أثر هذه المهنة وجدواها، فما أكاد أدق باباً من أبواب المؤسسات الحكومية العلمية أو الخدمية أو المهنية أو الصحية إلا وأجد طالباً يتعلق بي ويصافحني بحرارة عارضاً خدماته، مبدياً رغبته في تقديم العون والمساعدة.

وما كل المتقاعدين يلقون مثل ذلك، وذلك لأن المعلم هو الذي تمر عليه أعداد وفيرة من البشر، إذا أحسن التعامل معهم، وقدم لهم عصارة فكره وثمرة تجربته آتت تلك العصارة ثمارها، وأينعت تلك التجربة عند قطافها. وهنا يحسن أن أذكر أصحاب هذه المهنة -مهنة التعليم- بتقوى الله عز وجل، وأن يروا أبناءهم من أنفسهم خيراً في حسن الأداء، والمعاملة باللطف، والاعتدال في حالتي الرضى والغضب. ليطبعوا على قلوب أبنائهم الخلال الحميدة والأخلاق النبيلة.

وما أجمل أن يودع المرء زملاءه وأحبابه وهو لا يزال قادراً على العمل وفيه بقية من نشاط، يستطيع توظيفها في الأعمال الخيرية والأنشطة الإنسانية.

وهنا أذكر اليوم الذي صدر فيه قرار التقاعد حيث جلست مع الزملاء الأعزاء جلسة وداع، أتشاور معهم فيها عمن يصلح للعمل، ويكلف به بعدي. وقد كانوا جميعاً على قدر من الوعي والكفاءة، كل واحد منهم على اقتدار بأن يدير المعهد، ويسير العمل. وعرضت عليهم رغبتي في التسامح والصفح وأن المرء مهما

كان واسع الصدر لابد أن تمر به حالات تعكر صفوه، ولربما بدرت منه كلمة أو هفوة لم يلق لها بالاً تركت عند غيره أثراً، «**وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

وبما أن الأيام الأخيرة قبل التقاعد لا تحتمل ضغوط العمل وشدته فقد فضلت أن استفيد من إجازاتي ورصيدها. فودعت الزملاء حاملاً لكل واحد منهم أجمل الذكريات متمنياً للجميع التوفيق والسداد والهدى والرشاد.

وقد أكرمتني أسرة المعهد بحفل وداع دعوا إليه وجهاء المجتمع ورجال التعليم وقد أصدروا بمناسبة الوداع نشرة سموها "عاجل البشرى" وهي فأل خير إن شاء الله على غرار النشرة التي كُتِبَت في وداع الشيخ غالب النمازي رحمه الله استكتبوا فيها عدداً من الزملاء والأصدقاء والمشائخ والمحبين، وقد جاء فيها من الوصف والثناء ما أحسبني أدنى منه بكثير، ولكنها مشاعر المحبين التي تستسلم للعواطف ولا تُحكِّم العقل إلا نادراً.

وقد طلب إليّ بعض المحبين إلحاقها بهذه الذكريات، ونظراً لطول مادتها فقد اكتفيت بالمقابلة التي أجراها فضيلة الشيخ/ محمد بن إسماعيل الحازمي، وذلك لعلاقتها بالسيرة، ولأنها تسلط الضوء على جانب من الحياة العلمية والعملية خلال المسيرة التعليمية. وذلك في شكل ملحق.

آملاً أن يجد قارئ هذه الصور من الذكريات بعضاً مما كان يؤمله راجياً منه دعوة صالحة بأن يغفر الله ذنوب كاتبها، ويتجاوز عن سيئاته ويحسن ختامه ويتقبله في الصالحين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

في ضيافة الشيخ

أجرى المقابلة/ محمد بن إسماعيل الحازمي

نسيج وحده ، اجتمعت فيه من الخلال ما لم يدركها غيره في هذا الأوان ولعل أبرزها من خلال معرفتي به وملازمتي إياه وقربي النفسي والحسي منه (الحلم بكافة صوره ورؤاه والذي ربما ظنه الآخرون صورة من صور العجز ، ومعرفة الرجال ودقة الحكم عليهم ، والإدارة الواعية المتوازنة ، والاستيعاب لكافة الأطياف والرؤى والفئات الفكرية والاجتماعية ، وسلامة الفكر والرؤية للإنسان والحياة ، والكرم الجبليّ غير المتكلف ، وحب الخير للناس وإيصاله إليهم وصدق النصح لهم ، وقدرته العجيبة على جذب الآخرين واحتوائهم ، والوفاء الذي ندر في هذا الزمان لأهله وذويه وأصحابه وأصدقائه ، والاعتزاز بالنفس والسمو بها عن كل ما يشين ، وقول الحق ولو كان مراً لاسيما في المواقف الصعبة ، وصفة عظيمة مراقبة الله والخوف منه) .

نعم ! إن ضيفنا في هذا اللقاء القصير أكثر مما ذكرت ولولا أني أخشى الملامة لسطرت الكثير مما أعرف ... وحسبه أنه ممن يصدق فيه قول الشاعر:

من معشر حبهم دين وبغضهم ** كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ** أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

إنه الوالد الجليل والصديق الأثيل والشيخ المفاضل والأخ المنهال أبو عبد الإله متعه الله بالسلامة والعافية ومتع به في عمل صالح متقبل ...

وإلى ثنايا هذا اللقاء ...

* نرجو التكرم بإلقاء الضوء على أبرز معلومات البطاقة الشخصية والعائلية.

الاسم / العباس بن أحمد عبد الفتاح الحازمي .

الميلاد / من مواليد قرية الظبية في شهر رجب عام ١٣٦٨هـ .

الحالة الاجتماعية : متزوج وعندي عدد من الأولاد بعضهم قد أتم دراسته وانتظم في سلك الوظائف الحكومية ، وبعضهم لا زال في رحلة الطلب ، أسأل الله جل وعلا لهم ولأبناء المسلمين جميعا الهداية والصلاح .

* مرحلة الطلب من أخصب المراحل في حياة الإنسان وأثراها خاصة قبل توفر معطيات الحياة المدنية الحديثة ... كيف عشتها ؟ وما أبرز ملامحها التي بقيت في الذاكرة ؟

الحديث عن طلب العلم في أيام دراستنا الأولى حديث تحسن روايته للأجيال المتأخرة في شكل حوار أو قصة قصيرة ليأخذ منها الجيل المتأخر عبرة ، ويستفيد من تجربة تنفعه في حياته ، ففي الوقت الذي كانت فيه الطرق وعرة ، ووسائل النقل شبه معدومة ، والإمكانيات المادية قليلة ، والمطبوعات مفقودة ، كان الإقبال على التعليم شديداً ، وكان التنافس عالياً ، مما أعطى الفرصة لنضج العملية التربوية واكتمال فصولها . فقد كان المعلم يحسب للطلاب حسابهم ، ويستعد لتحضير مادته ، ويقف أمام أبنائه الطلاب وقد ألم بشوارد مادته وسائر مفرداتها .

وكان من أبرز ملامح تلك الفترة حرص الطلاب على بيوت الله والجلوس الطويل في المساجد وإحياؤها بمذاكرة العلم ومدارسته .

* النفوس جنود مجندة وعالم عميق من التجاويف والأسرار ... ولكنها تتلاقى وتتآلف بحسب خصائصها واستعداداتها أو تتنافر وتتناكر ... ولا شك أن منها من ترك بصمات في حياتكم سواء من عشت معها من خلال السطور أو في دنيا الواقع ... من الشخصية أو الشخصيات التي تركت أثرها في شخصكم الكريم ؟

نعم النفوس جنود مجندة ،والذي يعيش مع سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته الأجلاء يجد القامات السامقة والقدوات الفارهة ، التي تملأ النفس يقينا بأن ذلك الجيل قد اختاره الله لصحبة مصطفاه وقد ضربوا المثل الأعلى في تطبيق شرعه وفهم مدلولاته والوقوف عند حدوده.

ولا تزال أمتنا بخير إذا سارت على نفس الطريق واقتفت الآثار ، وقد تركت سير أولئك الأمجاد بصماتها على كثير من سلف أمتنا ولا أدعي أن سلوكهم قد ترك بعض الأثر لدي ولكن :-

أحب الصالحين ولست منهم ** لعلي أن أنال بهم شفاعة

* رحلتكم العلمية امتدت أكثر من ثلاثة عقود تنقلتم خلالها في مواقع عدة ... هلا سلطتم بعض الإضاءة عليها ؟

رحلتي العلمية بدأت من الشمال ، ولعله خير ففي الشمال طبع الهدوء والروية ، ومع أنني جنوبي عجل في أكثر تصرفاتي ، إلا أن عملي في الشمال فترة من الزمن قد خفف كثيراً من هذه العجلة ثم انتقلت من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب الشرقي من تبوك إلى نجران ، ولك أن تتصور في ذلك الوقت النقلة الفكرية والاجتماعية واختلاف التركيبة السكانية ، وكيف يستطيع المرء أن يوائم بين هذه المواقع ، ويكتسب من طبائع أهلها .

وقد عملت خلال تلك الفترة مدرسا ووكيلاً وعدت إلى صبيا مديراً لأعمل مع عدد من الزملاء كان لهم الفضل علي بعد الله في ترشيد مسيرتي وتوجيهي في مهمتي ، وإعانتي في رحلتي .

عاصرتم – بارك الله في حياتكم – أكثر من جيل ، الجيل الأول (جيل زمالة الدراسة والطلب) والجيل الثاني (جيل زمالة العمل) والثالث (جيل التلاميذ من الأبناء ..) ولكل منها ملامح حياتية تميزه عن غيره ... ترى ما أبرز الفروق بينها ؟ وكيف رأيتم استعدادها النفسي طموحا وإبداعا ؟

لا أستطيع أن افرق بين جيل الزمالة في الطلب والعمل فهما جيل واحد يمثل فترة تميزت بكثير من الايجابيات من حيث الحرص على التعلم واحترام المعلم والاستفادة منه والتأدب معه والقيام ببعض حقوقه

وحسن الأداء في العمل ولكني أفرق بين الجيل الثالث جيل التلاميذ من الأبناء فهم جيلان جيل أتى على حين قوة واستعداد للعمل وحسن أداء وتزامن معهم صفوة من الزملاء كان عندهم القدرة على الإبداع والمنافسة والعمل الدؤوب ،وكانت هناك فرص متاحة للنشاط والتشجيع على المشاركة فيه ، وقد ساعدنا هذا الجيل على الترقي في مصاف الفضلاء .

وجيل آتي على حين غفلة من التوجيه، وانحسار في النشاط، وضعف في الأداء ، وتزاحم في الوسائل المؤثرة ، فخرج هذا الجيل على ما قدر ما أسدى إليه من العطاء ، تعرف منهم وتنكر

* المعهد العلمي في صبيا العلامة الفارقة في حياتكم ... نرجو أن تقلب صفحات الماضي لنرى البدايات الأولى لقيام هذا الصرح وما واكبها من طموحات وما أعترضها من عقبات ؟ وما ابرز محطات التحول في مسيرة المعهد من وجهه نظركم ؟

لكل حي مرحلة عمرية تميز حياته ، وتظهر من خلالها شخصيته ،والمعهد العلمي في صبيا هو المحطة التي تشكلت فيها استعداداتي للعمل ،ومشاركة المجتمع في همومه ، وتقديم ما يمكن تقديمه من توجيه وإرشاد ، لا من خلال أعضاء هيئة التدريس بالمعهد بل ومن خلال أبنائنا الطلاب الذين ساهموا معنا في تبصير الناس بأمور دينهم ، وتوجيههم لما ينفعهم في حياتهم .

وقد أعاننا على العمل رجال مخلصون كانت لهم بصمات واضحة في التوجيه والإرشاد والمتابعة والبذل، كان هؤلاء الرجال من خلال أعمالهم ومتابعتهم يدفعونك للعمل دفعاً ، ويزرعون فيك الثقة ويعينونك على مسؤولياتك بتفهمهم الكامل لرسالة الجامعة وشجاعتهم على إطلاق يدك فيما ترى فيه الخير والصلاح، ولم تكن هناك عقبات تحول دون العمل والحمد لله منذ نشأة المعهد، وإن كان تحولات في مسيرة المعهد فهي إلى الأفضل دائما، خاصة بعد انتقاله من مبناه المستأجر إلى مقره الجديد ، ماعدا ما أصاب النشاط من تراجع بسبب شرارة الإرهاب التي أضرمها جماعة حاقدون ، ذهب ضحيتها فتية غرر بهم ، فعمت الفتنة ، وكان من أثرها التحفظ على عدد من ألوان النشاط المفيد .

الطلاب الضلع الأهم في مثلث العملية التربوية ... لكم معم ذكريات وذكريات ... هلا وقفت بنا برهة على شاطئ الذكريات مع أبنائك الطلاب ؟

الطلاب في أي حقل من حقول التعليم هم الضلع الأهم في مثلث العملية التربوية ، وهم الحقل الذي يستنبت فيه الخير لتجني ثماره إن عاجلاً أو أجلاً ولا ينافس المدرس الناجح أحد في تشكيل طلابه ، ويقدر تفهمه لواقع أبنائه وحرصه على مصالحهم، تقوى الصلة بينهم وتتوثق العلاقة معهم .

وذكرياتي مع أبنائي الطلاب لا يحصرها لقاء كهذا ، وأذكر على سبيل المثال أحد طلابي بالمعهد العلمي في تبوك ، لقيته بعد عقدين من الزمان وهو يعمل عميداً في إحدى الجامعات بادرني بالتحية وذكرني بنفسه ، وأشعرني أنه كان طالباً بين يدي يوماً ما في المعهد العلمي بتبوك وكم كانت سعادتي وأنا أرى مثله قد حصل على درجة الدكتوراه وراح ينافس أقرانه في نشر التعليم والقيام بمسؤولياته في المجتمع .

* لكم تجربة ثرية في العمل الخيري التطوعي شغلت مساحة واسعة في حياتكم.. هل أدى رسالته؟ ما توجيهكم للقائمين عليه وهل أنتم مرتاحون لتجربتكم فيه ؟

العمل الخيري باب واسع يدلف إليه الناس على مختلف مشاربهم وتنوع مقاصدهم وإذا حسنت النوايا فيه كانت الثمار طيبة والنتائج حسنة .

أما هل أدى رسالته، فلا زالت أمام العاملين في العمل الخيري التطوعي مساحات شاسعة تحتاج من يكمل النقص فيها ويسدد الخلل ، والعمل القائم حالياً لم يبلغ مرحلة النضج والاستواء وكل ما تراه اليوم بدايات تحتاج إلى تطوير وتكميل وتأصيل ليؤدي العمل الخيري دوره ويقوم بمسؤولياته .

وأما عن راحتي للتجربة فيه فلولا أنني أجد الراحة في ممارسته لما طرقت بابه ، ولكن لو قلت هل أنت راض عن مستوى الأداء فيه لقلت : لا وإن كان هناك من نصيحة للعاملين فهي تقوى الله والإخلاص في العمل ، والصبر على الأذى ، والاستفادة من تجارب الآخرين .

* جازان الإنسان والمكان ... عشت واقعها وخبرتها عن قرب دراية الخبير المتمرس ... كيف ترى إنسانها ؟ وما الصورة التي تراها للمنطقة واقعاً وتستشرفها للمستقبل ؟

هذا سؤال كبير والإجابة عليه تحتاج إلى وقت طويل، ولذلك أحيل السائل والقارئ الكريم إلى كتاب جميل يجيب على هذا التساؤل ويلقي الضوء على تاريخ المنطقة وهو كتاب مطبوع محقق طبعته دار الملك عبد العزيز رحمه الله . موسوم بـ (نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود) تأليف العلامة الشيخ / عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، وتكملة الشيخ العلامة / الحسن بن أحمد عاكش ودراسة وتحقيق الشيخ / محمد بن أحمد العقيلي .

وبتصفح الكتاب سيجد القارئ والسائل الإجابة في ثنايا صفحات الكتاب، قد لا يجدها صريحة ولكنه سيلمس الجواب تلميحاً أحياناً وتلويحاً تارة أخرى، وعلى ضوء القراءة ستتضح الصورة التي نستشرفها للمنطقة مستقبلاً

* لاشك أن لكل إنسان يعيش مرحلة ذهبية في حياته يشعر فيها بالتفوق ... في أي مراحل حياتك عشت هذا الشعور ؟

كل إنسان يعيش مرحلة ذهبية في حياته يشعر فيها بالتفوق وهذا التفوق يختلف باختلاف طموحات المتفوق وهمومه، فبعض الناس يعتقد أن حصوله على مال وفير هو التفوق، وبعضهم يعتقد أن حصوله على زوجة جميلة ذات حسب ونسب هو التفوق، وبعضهم يرى التفوق هو تحقيق مركز وظيفي يدير من خلاله مجموعة من الناس، بل إن بعضهم يظن إن التفوق في ممارسة شهواته ورغباته القصيرة، وإذا قيس التفوق بهذا المنظور فإن المتفوقين في العالم كثير، والحقيقة أن التفوق هو في طاعة الله والعمل بما يرضيه ، وكم يشعر المرء بنشوة التفوق إذا هو صفح عمن ظلمه ، وعفا عمن أساء إليه، وكم يشعر المرء بالتفوق إذا هو استطاع أن يؤلف بين قلبين، ويحسم النزاع بين متخاصمين، هذا التفوق لا يقف عند حدود ولا تحصره فترة زمنية معينة ، بل هو باق كلما وجد المرء الطريق للإصلاح والتوجيه .

* لكل إنسان في بداية حياته العملية آمال وطموحات ... وبين انطلاقة البداية واستراحة النهاية لحظات طويلة من العطاء والبذل والنجاحات والإخفاقات ... ما أبرز ما بقى في النفس من وهج البدايات ؟ وهل يا ترى قد تحققت تلك الآمال والطموحات وقد ألقيتم عصا الترحال ورسا مركبكم في محطة التقاعد ؟

نعم لكل إنسان في بداية حياته العملية آمل وطموحات ، هذا السؤال يذكرني بسيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ فكل مرحلة من عمر الإنسان لها مطالبها، ففي البداية يحرص الإنسان على تأسيس نفسه علميا وثقافيا واجتماعيا ، وطلب العلم لا تقف طموحاته عند حد ، فهو في كل وقت وحين يطلب المزيد من العلم (وقل رب زدني علما) وأما هل تحققت الآمال والطموحات بعد أن رست بنا مراكبنا في محطة التقاعد فأقول : لا بل هي من الآن تبدأ ، لأن دورة العمل الوظيفي يأخذ المرء عليها مقابل ما قدم وقد لا يؤدي العمل كما طلب منه ، فتأتي فترة التقاعد ليتقدم من خلالها فلعلة بجبر النقص الذي لحقه أثناء عمله النظامي . فالعمل بعد التقاعد أشبه ما تكون بالنافلة بعد الفريضة ، ولا راحة لمؤمن حتى يلقى ربه وهو راض عنه .

* عشت مربيا على امتداد أكثر من ثلاثة عقود ... ما أبرز الثمار التي جنيتها في رياض التربية ؟

التربية فن لا يقدر على ممارسته إلا من وهبه الله القدرة على الصبر ، ومن الثمار التي جنيتها في رياض التربية التعرف على شرائح متعددة في المجتمع ، كل شريحة تحتاج إلى أسلوب معين لتصحيح وضعها ، أو تغيير سلوكها ، أو الرفع من مستوى الأداء لديها، وهذا التنوع يثري العملية التربوية ، ويعدد لديك الطرق والوسائل في التعامل مع أفراد المجتمع .

وإذا كان من ثمار قريبة جنيتها فهي تطبيق ما فهمته من خلال التجربة الطويلة على ما حولي من أبناء وأقارب وأصدقاء بحيث يعطي كل واحد ما يتناسب مع ميوله وتوجهاته .

* عاصرتم عددا من الرموز الإدارية والتربوية والدعوية في جامعة الإمام وخارجها ، ولا شك أن أمثال هؤلاء لا يغادرون الذاكرة ... أرجو أن تجول بنا مع تلك القامات الفارهة من خلال تعاملكم معهم ... ومن الشخصية الأبرز في تلك المنظومة الذهبية ؟

جامعة الإمام جامعة عريقة ، قامت على بنيان راسخ وأسس متينة ، وبنظرة بسيطة يلقيها المتأمل على رجالات الجامعة والذين تخرجوا فيها يلمس الناظر أثر هذه الجامعة في المجتمع ودورها في تخريج الرموز الدعوية والإدارية والتربوية لا أقول هذا لأني أحد المتخرجين فيها ، ولكن هذه الحقيقة يشهد بها العقلاء والمنصفون .

ومن القامات الفارهة التي عاصرتها وأسأل الله أن يطيل في عمر من بقي منهم على طاعته ويتجاوز عمن سلف منهم ، معالي الدكتور / عبد الله التركي ، وصالح بن سعود العلي وعبد العزيز السعيد وعبد الله الشبل ومحمد العجلان والشيخ عبد الله السعد رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، وغيرهم كثير .

هؤلاء رجال تعاقبوا على إدارة الجامعة والمعاهد العلمية ، وقد كانوا رجالاً يعرفون مقاصد التربية ، ويسخرون طاقات الجامعة للمقاصد الحسنة والبناء الأمثل .

أسأل الله أن لا يحرمهم أجر ما قدموا وأن يعين من بعدهم على اقتفاء طريقهم والتأسي بفعالهم .

* يعيش جيل اليوم أزمات كثير... الانفتاح على الآخر الفراغ العاطفي، ميكانيكية الحياة، الأمية الثقافية... في ظل هذه الأوضاع ما السبيل من وجهة نظركم لإخراج جيل مؤهل لمواصلة حمل الرسالة.

جيل اليوم يعيش ولا شك أزمات وهذه الأزمات تضاعف من مسؤولية التربية والمربين لاختيار الطريق الأمثل للناشئة وعلى المربى إن يعد نفسه جيدا ليواجه ما تعج به الساحة من انفتاح بلغ ذروته

ومن فضل الله على بلادنا إن هذا الانفتاح ليس إلى الأسوأ، فبقدر ما تنتشر الفضائيات والصحف والمجلات والشبكات العنكبوتية، فهناك حلقات للتحفيظ، ودورات للتدريب، وندوات للتوجيه، ومراكز للتعليم، وجمعيات ترعى هذه الأنشطة، وتفتح أبوابها لكل جديد ومفيد.

هذا عدا الجهود المبذولة داخل دور التعليم من خلال الأنشطة الموجهة فما على المربين الفضلاء إلاّ مضاعفة الجهد وبذل المزيد من الوقت مع أبنائهم الطلاب ليعلموهم السباحة في هذا البحر المتلاطم الأمواج والله المستعان

الإدارة فن لا يتقنه إلا القليل وقد عشتم اغلب فترات حياتكم العملية تمارسون الإدارة ما الموقف الإداري الذي لا زال محفورا في ذاكرتكم ؟ وكيف يمكن للإنسان إن يكون إداريا ناجحا ؟

الصدق والصراحة والوضوح والعدل والإنصاف وسائل لابد من اصطحابها لكل إداري يريد لمنشأته الديمومة والبقاء، والموقف الإداري الذي لا زال محفورا في الذاكرة لا يبعد عما ذكرت ففي يوم من أيام العمل التي لا تنسى، زارني محب وقريب، وطلبا إلى تحويل مبلغ مالي من حساب الجامعة إلى حسابهم، لمدة أسبوع فقط ليكتب لهم البنك شهادة رصيد بان حسابهم يزيد عن المائة ألف

ريال، وربما كانا صادقين في طلبهما ولكن الحكمة تقتضي غير ذلك، وكان بإمكاني الاستجابة للطلب والموافقة عليه في ظل النظام المعمول آنذاك، ولكنني آثرت الحرص والتحفظ والوضوح في التعامل وعدم المغامرة بأموال لا امتلكها، وعاقبة عودتها ليست مضمونة، فاعتذرت لصاحبي، وأشعرتهما إن ما طلبا لا يتفق مع ابسط القواعد النظامية، وأنها مخالفة لا يحسن بمثلي الدخول فيها

* العباس بن احمد رجل علاقات اجتماعية وصداقات واسعة على مستوى المنطقة وفي خارجها ..ما ابرز الدروس التي خرجت بها من بحرها الخضم ؟

العلاقات الاجتماعية لا تكتسب بالدراسة، ولا تنال بالتعلم، وإنما هي طبع جبل عليه بعض الناس، وخير الناس كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم انفعهم للناس، وكيف يستطيع المرء إسداء المعروف للآخرين، وجلب النفع لهم، وهو منغلق على نفسه، منكفئ على ذاته، لا ينظر للناس إلا من زاوية مصلحته، ولا يتحرك إلا من اجل منفعته، ولئن تختلط بالناس، وتصبر على أذاهم، وتقدم النفع لمحتاجهم، خير من إن تبني لنفسك وتعيش بمفردك، وتوسيع دائرة المعارف والصداقات تتسع معها دائرة الخير، شريطة إلا تكون على حساب الأسرة والواجبات الضرورية

* صور ومشاهد ترتاح لها في مجتمعنا وأخرى تستقبحها وتنفر منها ؟

صور ومشاهد أرتاح إليها في مجتمعنا :

الحرص على التعلم، ودفع الناشئة من بنين وبنات لحلقات تحفيظ القران الكريم ودور الفتاة والتنوع في التخصصات العلمية، والتنافس في الحصول على مراكز متقدمة في الوظائف الرسمية، ومواساة من فقد عزيزاً بشهود الجنازة، والصلاة عليها، والتطور العمراني المشهود بإقامة مباني جميلة، وعمائر على طراز ينبئ عن أذواق رفيعة.

صور ومشاهد أستقبحها وأنفر منها :

انقطاع بعض الشباب عن الدراسة، ووقوعهم تحت تأثير الموضات الوافدة، وتأخرهم عن الحضور المبكر للمدارس، وإطالة الثياب والشعور لدى بعضهم، وانتشار ظاهرة القات بشكل ملفت للنظر، وتعاطي بعض المنبهات والمخدرات، والتجمع في كثير من الساحات الداخلية في الحارات، للعب الكرة وركوب الدبابات، والتفحيط بها، وانشغال طلاب العلم بأمورهم الخاصة، والتراجع الشديد في الأنشطة الثقافية، والاجتماعية وضيق الشوارع الداخلية، وإثارة النعرات القبلية.

*** عرف شخصكم بشغفه بالقراءة ... أمل إن تسمحوا ببعض الوقفات مع هذا الشغف ...ما الكتاب الذي استهواك كثيرا؟ ومن الكاتب الذي لا تمل العودة للعيش مع أفكاره ؟ وهل تختلف اهتمامات الإنسان الثقافية والفكرية من مرحلة إلى أخرى في حياته ؟**

لا ادعي إنني شغوف بالقراءة كما وصفتني وإنما هي جزء من اهتماماتي وسأجيب على هذا التساؤل من الأخير فالإنسان تختلف اهتماماته بالقراءة حسب مراحل عمره فهو في صباه يبحث عن الوسيلة التي تنمي ثقافته، وتصقل موهبته، وتكسبه القدرة على التعبير، وجمال العبارة، وحسن التأثير وفي هذه المرحلة يبدو أمامه عدد من الكتاب يستفيد منهم هذه الصفة يأتي في مقدمتهم الجاحظ ومصطفى المنفلوطي، والرافعي، والعقاد، والمازني، وعلى الطنطاوي، وإذا تقدم به العمر ذهب يبحث في كتب التراجم والسير يتلمس من خلالها القدوة ويتأسي بالفضلاء، وإذا خطا خطوة إلى الأمام راح يبحث في كتب الملاحم والحديث، ليعرف ما هي أشراط الساعة، وما يظهر منها في آخر الزمان، وما أهوال القبر،

والبعث والنشور، وهو في كل مرحلة من مراحل حياته لابد إن يستضيء بنور القران الكريم ويقف مع هديه وتوجيهاته، ولا مثل القران يستهوي العاقل، ليعود إليه فيتدبر معانيه، ويستفيد من توجيهاته وأوامره ونواهيه، وقد ضل من استبدال بالقران غيره، وتلمس الهدى من سواه.

أما الكاتب الذي لا أمل العودة للعيش مع أفكاره فليس هناك كاتب بعينه ولكني اذكّر بعدد من الكتّاب والمفكرين ممن أجد السعادة في العيش مع أفكارهم، ويأتي في مقدمتهم ابن القيم رحمه الله، وابن الجوزي، وابن جماعة، وسلطان العلماء، والبيجاني، والدكتور محمد محمد حسين، والغزالي، والرافعي، وسيد قطب، ومحمد قطب، ويوسف العظمة، وبكر أبو زيد، وعبد الكريم بكار.

* عالمنا الإسلامي يعيش أحوالا متقلبة متغايرة ...كيف ترى حاضره وتستشف مستقبله؟

نعم عالمنا الإسلامي يعيش أحوالا متقلبة متغايرة ورغم ما نراه من المشكلات وأزمات تضرب في كل بقعة من دياره وفي كل صقع من أراضيه إلا إن التفاؤل بعودته للأمة اليوم أكثر منه في أي وقت مضى ولقائل إن يقول :لماذا هذا التفاؤل والصراعات على أشدها والقتل والسحل والتشريد والتعذيب يصب جامه على المسلمين في شرق الأرض وغربها ووسطها.

وللإجابة على هذا التساؤل نذكّر بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [آل عمران: ٢١٤].

نعم الابتلاء سنة كونية، ولابد من التمحيص لعباد الله المؤمنين وإذا صدق المؤمنون في جهادهم فإن بشائر النصر تلوح بعد الشدة وأن الصحوة تشهدها

شعوب الأمة الإسلامية اليوم، والعودة إلى الله سبحانه وتعالى لتؤكد موعد الله بالنصر وهو قريب بإذنه: يقول تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

* بصراحة هل حقق العباس بن احمد ما يطمح إليه ؟

أما في الدنيا فنعم وتجدني أردد في كل وقت الدعاء المأثور : اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيما أعطيتني، ولكن هل هذا هو كل هم المؤمن إن الطموح لا يقف عند حد دون الجنة نسأل الله أن يرزقنا هداه ويوفقنا لما يحبه ويرضاه

* مدرسة الحياة أكبر من إن تحيط بها كلمات أو أسطر ...ولكن لابد من وقفة تأمل عندها ... ماذا أخذت منكم؟ وماذا أعطتكم؟

مدرسة الحياة تعطي للجميع المتعلم، والأمي، وقد أخذت مني زهرة عمري وباكورة حياتي، وأعطتني الكثير؛ فهي المحل المناسب لمعرفة الرجال، وأشباه الرجال، وهي المحل المناسب لرد الجميل، وإسداء المعروف، والاعتراف بالفضل لذويه، وهي مدرسة مفتوحة لكل الناس ولا يتعلم فيها إلا العقلاء.

* لاشك إن لكل إنسان أمنية أو أكثر يريد إن يحققها ... ما الأمنية التي تحققت لكم وما الأمنية التي تنتظرونها بعد ؟

نعم لكل إنسان أمنية يرجو أن يحققها وقد تحققت عندي كثير من الأماني والحمد لله والتي لا زالت انشدها ثلاث :

خاصة: وهي الصلاح في الذات والاستقامة على شرع الله حتى نلقاه وصلاح الذرية

عامة: وهي جمع كلمة المسلمين على الحق والتأليف بين قلوبهم

أخروية: وهي إن يلحقني الله بالصالحين ويجعلني من أصحاب جنة النعيم

محمد بن حسن الحازمي من الله عليه بالعافية غالب بن إبراهيم النمازي رحمه الله الحسين بن إبراهيم جبرة رحمه الله ...ثلاثة أسماء عايشتها طويلا أرجو أن تقف مع كل منها وقفة ولو يسيرة

محمد بن حسن الحازمي : اسأل الله إن يمن عليه بالشفاء ويجعل ما ألم به في موازين عمله يوم القيامة عرفت فيه المعلم المخلص والصديق الصدوق ويصدق فيه قول القائل : من إذا حاورته وجدته حكيما، وإذا غضب كان حليما، وإذا ظفر كان كريما، وإذا وعد وفى وان كان الوعد عظيما، وإذا شكي إليه وجد رحيما.

غالب بن إبراهيم النمازي :اسأل الله جل وعلا إن يتقبله في الصالحين ويسكنه جنات النعيم أخ عزيز وزميل كريم ومرب فاضل أمضيت معه في العمل ما يزيد على عشرين عاما فما سمعت منه كلمة تغضب وما بت ليلة في قلبي عليه مثقال الذرة وقد جمع المجد والشرف من ابتغاء المكارم، ومنع النفس من ارتكاب المحارم، وكرم الجوار، وبذل المطلوب في اليسر والإعسار

الحسين بن إبراهيم جبرة : أرجو إن يعوضه الله بشبابه في الجنة خيراً، وأن يفرغ عليه شآبيب رحمته ويخلف بخير على أسرته، أديب وحبيب عند البعيد والقريب اخترمته المنية ولا يزال عوده طريا يصدق فيه قول ابن المقفع : من تزود بخمس خلال آنسته في كلّ غربة وقربت له بعيد الإخوان : كف الأذى، وحسن الأدب، ومجانبة الريب، وكرم الخلق، والنبل في العمل. وأحسب إن فقيدنا قد جمع الخلال الخمس اسأل الله إن يتجاوز عنه ويسكنه فسيح جناته.

* ما كلمتكم الأخيرة في هذا اللقاء ؟

الكلمة الأخيرة لن تكون لي ولكن أنقلها عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي عظة للجميع "من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس،

ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن أقام من نفسه واعظا كان عليه من الله حافظ ".

وفي الختام نشكر لشيخنا الكريم هذه الدقائق التي اقتطعتاها من وقته ونسأل الله له العمر المديد في صحة وسلامة وعمل مبرور ... والحمد لله رب العالمين.

الختام

وختاماً هذه سيرة ذاتية سجلت أغلب فصولها من الذاكرة استجابة لطلب كثير من المحبين، ممن أحسنوا بي الظن، وقد جاءت صورة لحياة صاحبها وبيئته التي يعيش فيها، وفيها بعض التجارب، وهي لا ترقى إلى تجارب أصحاب الطموحات الكبيرة، والهمم العالية. ومع ذلك لا تخلو من فائدة. وفائدتها حسب تقديري تتجلى في أمور منها:

١- الحديث عن جهود أم كان قدرها فقد زوجها في وقت مبكر، ورعاية أبنائها الصغار بعد فقد أبيهم، رعاية لم تستمد مادتها من أصول التربية الحديثة ولا من ردهات الجامعات، وإنما رعاية الفطرة التي أودعها الله في قلوب بعض من عباده، رعاية لم تلوثها عوامل الترف، ولا مستجدات التغريب.

٢- المناهج التي أعدتها وزارة المعارف، واعتمدتها وزارة التربية والتعليم، وقام بتنفيذها جيل يستوعب رسالته، ويدرك مسئوليته، ويستشرف مستقبل الناشئة، ويحرص على الترقي بهم في مسالك الخير.

٣- الدور الجميل الذي قام به المعلمون في تربية طلابهم وحرصهم الشديد على تفوق أبنائهم، وبذل كل الأسباب في ذلك ابتغاء وجه الله، وأداءً للمهمة التي كلفوا بها واستشعاراً للأمانة التي تحملوها.

٤- إشارة عابرة إلى الدور الذي قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تأصيل العلوم الشرعية واللغة العربية، والقامات التي شاركت في ذلك ودور المعاهد العلمية في بناء جيل واعد يتطلع للمزيد من التربية والتعليم ويشارك في الدعوة والتوجيه والإرشاد.

٥- ذكر بعض رجالات المجتمع الذين كان لهم دور في حياة صاحب السيرة والاعتراف بفضلهم وهو أقل ما يمكن تسجيله نحو أولئك النفر المبارك. وربما تلمس من خلال قراءتك في هذه السيرة تزكية صاحب السيرة لنفسه وهذا أمر اقتضته طبيعة المادة المكتوبة، وأسأل الله أن يعفو عن ويتجاوز عن سيئ عملي.

وقبل أن أودعك أرجو ألا تحرمني دعوة بظهر الغيب أن يلهمني الله وإياك رشدنا، ويصلح سائر أعمالنا، ويحسن ختامنا.

وهو سبحانه المسئول أن يستجيب الدعاء ويأخذ بالأيدي لكل خير وبر، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١٦	الشيخ الأستاذ/ قاسم بن علي شماخي رَحِمَهُ اللَّهُ	٥٦
١٧	أثر الجيل الأول في طلابهم	٥٨
١٨	مناهج المعاهد العلمية	٦١
١٩	طلاب المعهد العلمي في صامطة	٦٧
٢٠	كن صقراً	٧٠
٢١	كلية اللغة العربية	٧٣
٢٢	الوظيفة والانتساب	٧٧
٢٣	الحج	٧٩
٢٤	العود أحمد	٨١
٢٥	الصحبة والصداقة	٨٣
٢٦	رحلة أسرية للرياض	٨٦
٢٧	علماء كلية اللغة العربية	٨٩
٢٨	البحوث والتعرف على طريقة البحث	٩٤
٢٩	التخرج من الكلية والزواج	٩٦
٣٠	تبوك	٩٨
٣١	العمل الميداني	١٠٠
٣٢	التعليم مهنة شريفة	١٠٣

م	الموضوع	الصفحة
٣٣	الخبرة	١٠٦
٣٤	التواضع وحسن الخلق	١١١
٣٥	النشاط في تبوك	١١٥
٣٦	الموجهون في المعاهد العلمية	١١٧
٣٧	رجال عرفتهم في تبوك	١٢٠
٣٨	فارس الجميل	١٢٠
٣٩	أحمد السهلي	١٢٤
٤٠	محمد التويجري	١٢٩
٤١	نجران المحطة الثانية للعمل التربوي	١٣١
٤٢	البيئة في نجران	١٣٣
٤٣	أصدقاء المهنة	١٣٧
٤٤	الفكر يستنير	١٣٩
٤٥	طلاب المعهد العلمي في نجران	١٤٢
٤٦	رجال صحبتهم في نجران	١٤٥
٤٧	نجران محطة النضج	١٥٦
٤٨	إرهاصات الانتقال إلى صبيا	١٥٨
٤٩	صبيا في عيون أهلها	١٦٠